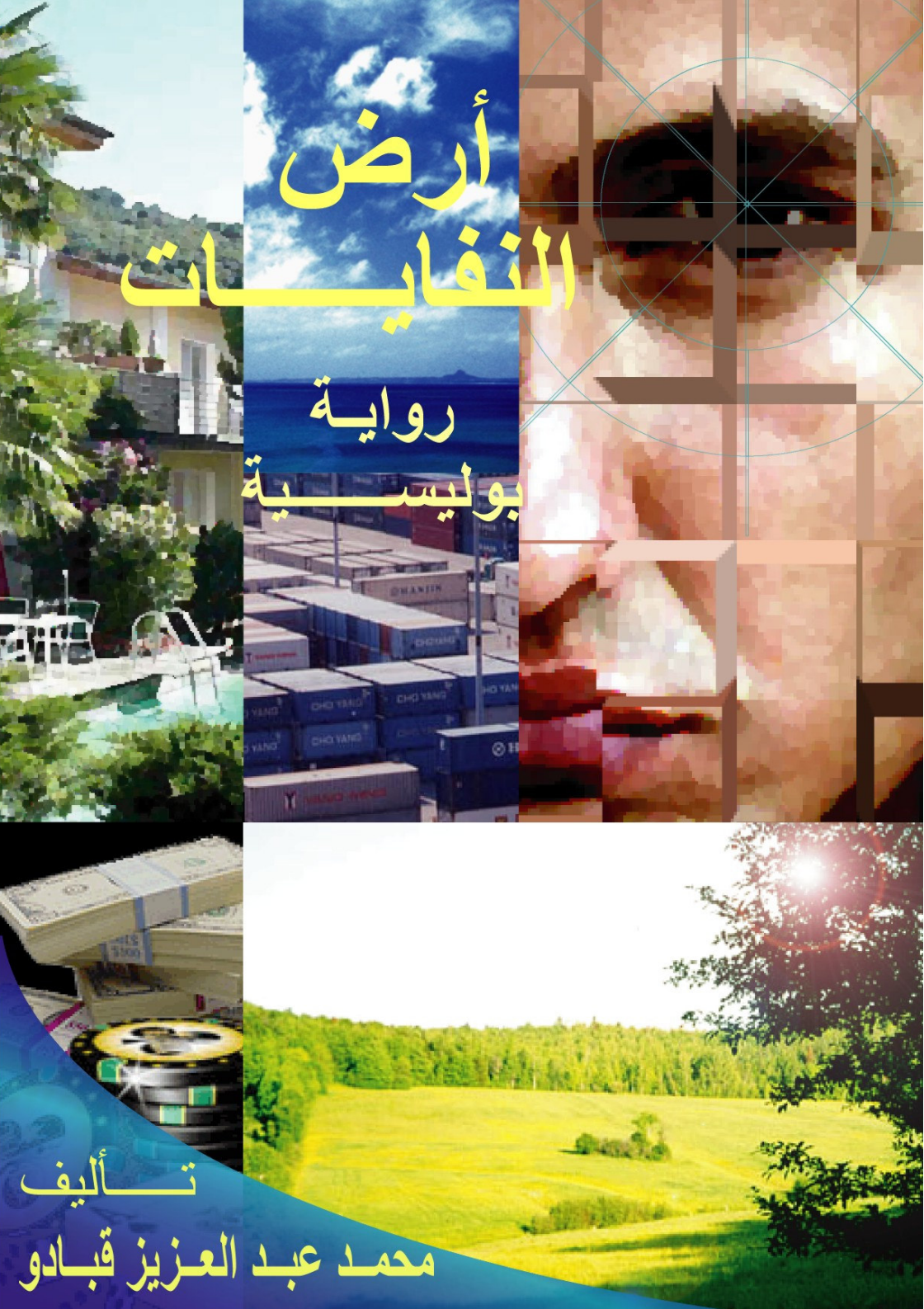
أرض
النفايات
رواية
بوليسية
تأليف
محمد عبد العزيز قبادو

أرض النِّفايات

تأليف

محمّـد عبـد العزيـز قبـادو

٢٠٠٧

صورة الغلاف:

صورة الغلاف من تصميم و تنفيذ المؤلف. جميع الحقوق محفوظة.

أحداث الرواية :

بعض أحداث هذه الرواية واقعية و حدثت فعلا أو أنَّه كانت هناك شائعات تؤكد وقوعها لكن لم تسنى التأكد منها.

بقية الأحداث هي رؤية الكاتب و مستمدة دائما من الواقع.

أتمنى لكم قراءة ممتعة و أسعد جدًّا بتلقي ملاحظاتكم على العُنوان الإلكتروني التَّالي:

mohamedkabadou@yahoo.fr

☒ الثلاثاء ٩ يناير الواحدة ليلا بمنزل المُفتِش سامي

يرِنُّ جرس الجوَّال في تمام السَّاعة الواحدة بعد منتصف ليلة الثلاثاء. يستيقظ المُفتّش سامي من نومه متثاقلا. يبحث عن الجوَّال في الظلام و بعد تخبط تقع يده عليه. يتباطأ في الرد على الهاتف فتفيق زوجته أيضا.

المُفتّش سامي: السلام عليكم. المُفتّش سامي على الخط. من المتكلم؟
المساعد وليد: و عليكم السلام. المساعد وليد معك سيِّدي. معذرة على الإزعاج لكن هناك أمر طارئ يستوجب حضورك.
المُفتّش سامي: يا ساتر يا رب. ما هذا الأمر؟
المساعد وليد: حادث سيَّارة قاتل في الطريق الجنوبية الفرعية، على مستوى الكيلو خمسة. مات السائق على الفور و يبدو أنَّه كان بمفرده.
المُفتّش سامي: أنا قادم على الفور. هل استدعيت الطبيب الشرعي و خبراء الأدلَّة الجنائيَّة؟
المساعد وليد: نعم سيِّدي و هم الآن على مسرح الحادث.
المُفتّش سامي: جيِّد . نلتقي بعد قليل. مع السلامة.

يُقفل المُفتّش سامي الخط و تسأله زوجته:
الزوجة: خيرا إن شاء الله؟ هل ستخرج الآن في هذه الليلة الباردة؟
المُفتّش سامي: "نعم فللضرورة أحكامها. حادث سيَّارة قاتل و يجب أن أعاينه فورا".
الزوجة: متى ستنتقل للعمل الإداري و تتوقف عن العمل الميداني؟ لقد سئمت إزعاجَ العمل المستمر هذا.
المُفتّش سامي: لا تقلقي يا عزيزتي فالمسألة لا تتعدى إجراءا روتينيا و سأعود في أقرب وقت. نامي أنت و لا تقلقي.

يرتدي المُفتّش ملابسه بسرعة و لا ينسى كعادته دفتره الصغير الذي يدون فيه كلّ ملاحظاته أثناء التّحقيق في أي قضيَّة تواجهه.

الجو شديد البرودة في الخارج. إنَّه شهر يناير. كلّ شيء هادئ و نائم. تراوده للحظة فكرة الرجوع للفراش الدافئ لكن سرعان ما يطرد هذه الأفكار و يركب سيارته و ينطلق بها نحو مكان الحادث.

الطريق الفرعية الجنوبية طريق ضيقة، كثيرة المنعطفات و تنقصها الإضاءة. المُفتّش سامي يقود بحذر خاصة و أنّ عينيه متثاقلتين بسبب النعاس.
يلاحظ أنوارا عن بُعد فيُدرك أنَّه اقترب من مكان الحادث. يُخفِّض من السرعة و يركن سيارته على بعد عشرين مترا تقريبا عن مكان الحادث حتَّى لا يطمس الأدلَّة الممكنة.

يستقبله مساعده وليد الذي يبادره بالتَّحيَّة.
المُفتّش سامي: ما هي الأخبار؟
المساعد وليد: تلقينا اتّصالا من نادل المقهى ذاك (المقهى يبعد مائة متر فقط عن مكان الحادث)، أعلمنا فيه عن وقوع الحادث فأعلمنا بدورنا الإسعاف و حضرنا إلى هنا. اكتشف المسعفون أنّ السائق قد فارق الحياة فور حصول الحادث و لقد قمت باستدعاء الطبيب الشرعي و خبراء الأدلَّة الجنائيَّة و اتّصلت بك.
المُفتّش سامي: جيِّد . و ما رأيك في الموضوع؟
المساعد وليد: يبدو أنَّه حادث سيَّارة قاتل جديد ينضاف إلى إحصائيات الحوادث القاتلة و الناتج غالبا عن تهوّر السائق بالإضافة لخطورة الطريق ففي هذا المكان بالتحديد تُسَجَّل العديد من الحوادث الخطيرة نتيجة انعطاف الطريق الشديد و ضيقه و قلة الإنارة فالقيادة بسرعة في هذا المكان وخيمة العواقب.
المُفتّش سامي: هذا صحيح فقد اضطرتني حالة الطريق إلى التَّخفيض من السرعة و مضاعفة الانتباه. هل تعرَّفتم على الضَّحية؟

المساعد وليد: نعم سيِّدي. لقد تبيَّن من تَفَحُّص هوية السائق أنَّه يدعى "حسين مالك"، موظف بمصلحة الجمارك، يبلغ من العمر اثنتين و أربعين سنة و يسكن بالضاحية الجنوبية على مستوى الكيلو عشرة.

يدوِّن المُفتِّش سامي هذه البيانات الأوَّلية في دفتره الصغير ثم يتقدَّم نحو السيَّارة
المُفتِّش سامي: لِنُلقي نظرة على السيَّارة.

يطوف المُفتِّش بالسيَّارة و يلاحظ أنَّها سيَّارة "مرسيدس" من طراز هذه السنة. يقترب من مقصورة القيادة و يشاهد القتيل و قد ضغطت عجلت القيادة على رأسه و صدره و اخترق جزء من الباب جنبه الأيسر. كانت وسادات الأمان الهوائية مفتوحة لكنها لم تقدر على حماية السائق. كان المنظر بشعا و على الرغم من أنَّه شاهد مثله لعديد المرات إلاّ أنَّه كان في كلّ مرَّة يتأثَّر و يتأسَّف.

المُفتِّش سامي: من الواضح أنَّ القتيل كان يقود سيَّارته بسرعة فائقة.
المساعد وليد: يبدو ذلك فعلا سيِّدي. فحتَّى أجهزة السلامة المتطوِّرة في هذه السيَّارة الفخمة لم تفعل شيئا. ثم أنَّه تلقَّى صدمة مواجهة بجذع الشجرة هذه ثم دارت السيَّارة حول نفسها و تلقّى صدمة أخرى على يساره بعد أن ارتطمت بهذا العمود الحديدي و الذي كان يُجهَّز لحمل لافتة إعلانية.

يتقدَّم الطبيب الشرعي إلى المُفتِّش سامي و مساعده وليد و يلقي التَّحيَّة.

المُفتِّش سامي: كيف حالك يا دكتور عبد الله
الدكتور عبد الله: الحمد لله.
المُفتِّش سامي: ما هو تقريرك المبدئي عن الحادث؟
الدكتور عبد الله: من الواضح أن الوفاة كانت فوريَّة و ذلك نظرا لقوة الصدمة.
المُفتِّش سامي: و ما هو سبب الوفاة بالتحديد؟

الدكتور عبد الله: من الصّعب الآن الجزم بسبب الوفاة قبل التّشريح لكن يبدو أنّه إمّا توقّفٌ للقلب ناتج عن تحطّم القفص الصدري و الضغط القوي عليه أو توقّفٌ للدماغ ناتج عن الارتطام الشديد بعجلة القيادة. حتّى لو لم تكن هذه الأسباب الفعلية للوفاة فإن التريف الداخلي في المخ و القفص الصدري كافي ليموت في فترة قصيرة جدًّا فضغط الدم ينخفض في هذه الحالات بسرعة كبيرة. على كلّ حال سأوافيك بتقريري المُفصَّل في الغد.

المُفتّش سامي: إذًا أنت ترَجِّح أيضا فرضيَّة الوفاة الناتجة عن الحادث؟

الدكتور عبد الله: نعم سيِّدي هذا أغلب الظَّن خاصَّة و أنّه يبدو أنَّ السّائق قد تناول بعض المشروبات الكحولية.

المُفتّش سامي: ماذا؟ هل كان بحالة سكر؟

الدكتور عبد الله: لا يمكنني الجزم بذلك. يجب عليَّ أوَّلا القيام بتحليل عيِّنَةٍ من دمه غدا في المعمل حتَّى أتأكَّد من نسبة الكحول لكنَّ الأكيد أنَّ رائحة الكحول تنبعث منه. هذا مؤسف حقّا فحياة شاب في هذا العمر تنتهي بهذه الطريقة نتيجةَ التّهوّر أمر أتأسَّف عليه كثيرا.

المُفتّش سامي: ليهدي الله الجميع.

المساعد وليد: كلّ الدلائل تشير إلى حادث ناتج عن سرعة مفرطة و تهوُّر بالإضافة لحالة السكر التي كان عليها السّائق.

المُفتّش سامي: هذا ما يبدو فعلا.

الدكتور عبد الله: اسمحوا لي بالانصراف فعليَّ أن استيقظ صباحا باكرا.

المُفتّش سامي: تُصبح على خير يا دكتور و شكرا على مجهودك.

في الأثناء يواصل خبراء الأدلَّة الجنائيَّة مسحهم لمكان الحادث و تصوير كلّ التَّفاصيل.

يقترب المُفتّش سامي من الضّابط الأوّل المسؤول عن الأدلَّة الجنائيَّة و يُبادره بالتَّحيَّة. يرد الضابط بتحية عسكرية أوّلا ثمّ يصافح المُفتّش سامي.

المُفتّش سامي: ما هو تقريرك المبدئي عن الحادثة؟

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: مِن الواضح أنّ السيَّارة كانت تسير بسرعة كبيرة و ذلك نظرا: أوّلا للضّرر الكبير المُلاحظ على مقدِّمة السيَّارة و جانبها الأيسر و الناتج عن قوة الصدمة و ثانيا لآثار

الفرامل الطويلة و التي لم تنجح في تخفيف الصدمة. السيَّارة كانت على الأرجح تسير بسرعة تفوق المائة كيلو في السَّاعة في طريق لا يجب أن تتجاوز فيه السرعة السبعين.

المُفتّش سامي: إذًا أنت تأكَّد أنَّ الفرامل كانت تعمل بصفة عاديَّة و لم تتعرض لتخريب؟

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: أستبعد ذلك قطعيا فيبدو أنَّها كانت تعمل بشكل جيِّد

المُفتّش سامي: هل يمكن أن تكون السيَّارة قد تعرضت لمضايقة أو صدمة من سيَّارة أخرى تسببت في الحادث؟

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: هذا مستبعد أيضا سيِّدي فلا وجود لآثار سيَّارة أخرى على الطريق أو على السيَّارة المصدومة. على كلّ حال فالفحص الدقيق للسيَّارة غدا في المعمل سيقرر ذلك.

المُفتّش سامي: متى يمكنني الاطلاع على تقريرك النهائي؟

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: بعد غدٍ على أقصى تقدير

المُفتّش سامي : إذًا أنا بانتظار تقريرك. مع الشكر.

يشير المساعد وليد لنادل المقهى الذي أبلغ عن الحادثة

المساعد وليد: هذا سلامة نادل المقهى و الذي أبلغ عن الحادث.

المُفتّش سامي: ماذا شاهدت يا سلامة؟

سلامة: لقد كنت أجمع الكراسي لأقفل المقهى فوقت فترة عملي ينتهي عند منتصف الليل لأفتح بعد أربعة ساعات أي الرابعة فجرا. فجأة مرت بالطريق هذه السيَّارة بسرعة كبيرة فهذه السيَّارات سيِّدي جديدة و قوية و تسابق الريح لكنها كانت سبب في نهايَة هذا المسكين.

يقاطعه المُفتّش سامي

المُفتّش سامي: اكتفِ بوصف ما شاهدت و سمعت فقط

سلامة: حاضر سيِّدي. فجأة فَرملت السيَّارة و اصطدمت بالشّجرة ثم دارت على نفسها و اصطدمت بالعمود.

المُفتّش سامي: هل شاهدت الحادث كُلَّه مِن البدايَة إلى النهايَة ؟

سلامة : في الحقيقة لا. لقد سَمِعت صوتَ الفرامل و الصَّدمة الأُولى فلمَّا التفتُ نحو السيَّارة شاهدتها تدور على نفسها ثمّ اصطدمت بالعمود. لقد تمَّ الأمر بسرعة كبيرة جدًّا. لمحة بصر!... لمحة بصر واحدة كانت كافية لتقتُل هذا المسكين.

المُفتّش سامي: هل شاهدتَ سيَّارات أُخرى في الطريق أثناء الحادث؟

سلامة :لا يا سيِّدي. لم تكن هناك أيَّة سيَّارات أخرى. كانت هذه السيَّارة لوحدها فكَما تعلم إنَّ الوقت متأخرٌ و الجوُّ بارد و تقِلّ الحركة في هذه الأوقات فلذلك نُغلِق المقهى. الحركة ترجع مع الرابعة فجرا مع حركة الشَّاحنات الكبيرة و التي تُمنع من استعمال الطرق الرَّئيسية لدخول المدينة فتسلك هذا الطريق. إنَّ مُعظم زبائننا من سائقي هذه الشّاحنات يا سيِّدي فهم يشربون القهوة الساخنة حتَّى تدفئهم و تعينهم على برودة الطقس و طرد النعاس.

المُفتّش سامي: من الذي كان في الطريق؟ هل كان هناك أحد المارة؟

سلامة :لا يا سيِّدي فالطريق كان خاليا و مخيفا حتَّى أنَّني أتسلَّح دائما بهذه العصا (و أخرج من تحت جلبابه عصا غليظة) فأولاد الحرام خطرون وهذه تساعدني في إخافتهم إذا ما حاولوا مضايقتي و سرقة البقشيش الذي أجمعه.

يصمت سلامة لبرهةٍ ثم يواصل

سلامة: لم يكن هناك سوى عامل نظافة بلدي يكنس الشارع

يلتفت المُفتّش إلى مساعده مستغربا عدم إبلاغه بهذه المعلومة

المُفتّش سامي: و أين هو الآن؟

المساعد وليد: لا أعلم. لم أجده عند وصولي إلى هنا كما أنّ سلامة يُخبِر عنه لأوّل مرَّة الآن أمامك.

سلامة: لا بُدَّ أنَّه أكمل عمله و انصرف إلى بيته.

المُفتّش سامي: هل لديك ما تَودُّ أن تُضيفه؟

سلامة: لا شيء سيِّدي فقد قلتُ كلّ ما رأيتُ و سمعت و نحن دائما في خدمة الشرطة.

المُفتّش سامي: جيِّد . شكرا لك يا سلامة لا تنسَ أن تُدلي بأقوالك هذه في المكتب غدًا.

سلامة: هل مِن الضَّروري أن أدخل مَقرِّ المباحث؟

المُفتّش سامي: هل تخاف من شيء معيَّن؟ هل لك سوابق مثلا؟
سلامة: لا أبدا يا سيِّدي أُقسم لك. سأحضر غدا إن شاء الله. السلام عليكم.

يهمُّ سلامة بالانصراف ثُمَّ يتوقَّف لِلحظة يتردَّد في الالتفات للمُفتِّش ثم يواصل طريقَه. يستوقفه المُفتّش ثانية و يقول له.
المُفتّش سامي: هل هناك شيء آخر تريد إضافته؟
يلتفت سلامة مترددا ثم يقول:
سلامة: أظُنّ أنَّني سمعت انفجارا مباشرة قبل الحادث لكنَّني لست مُتأكِّدا. الله أعلم.
المُفتّش سامي: ماذا؟ انفجار؟ من أيِّ نوع؟
سلامة: أظنُّه انفجارُ عَجَلةٍ فقد تعوَّدتُ على سماع انفجارات عجلات الشاحنات القديمة التي تمرُّ من هذا الطريق يوميًّا.

ينصرف سلامة و يُدوِّن المُفتّش كلّ هذه البيانات و التفاصيل في دفتره الصَّغير.
المساعد وليد: ماذا يدور ببالك سيِّدي؟ هل توافقني الرَّأي على أنَّه مجرَّد حادث عادي؟
المُفتّش سامي: أغلب الظن أنَّه كذلك. لكن دعنا ننتظر تقارير الطبيب الشرعي و الأدلَّة الجنائيَّة.

يوصي المُفتّش مساعده بالإشراف على نقل الجثّة للمشرحة و جرّ السيَّارة للمعمل و يتواعد معه غدا صباحا. ينظر للساعة فإذا بها السَّاعة الثالثة. يُودِّع مساعده و ينطلق بسيَّارته.

☒ الثلاثاء ٩ يناير التاسعة صباحا بالمباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي مكتبه عند السَّاعة التاسعة صباحا و آثار الإرهاق و قِلّة النَّوم واضحة على وجهه. يلقي التَّحيَّة على مساعده وليد

المُفتّش سامي: ماذا لدينا اليوم يا وليد؟

المساعد وليد: لقد قدم النَّادل سلامة و أدلى بشهادته في قضيَّة البارحة. لقد وجدته ينتظر أمام المبنى عند السَّاعة الثامنة إلاّ خمس دقائق.هُناك أيضا بلاغ عن سرقة سيَّارة و حادثة تشاجر بين سكرانين أدَّت بأحدهما للمستشفى و الثّاني تمَّ إلقاء القبض عليه و أخيرا بلاغ عن اختفاء رجل من بيته منذ يومين.

المُفتّش سامي: مَن الذي أبلغ عن اختفاءه؟

المساعد وليد: زوجته سيِّدي

المُفتّش سامي: (مبتسما) آمل إلاّ يكون قد هرب من نكدها

المساعد وليد: أظُنّ ذلك سيِّدي فهي امرأة سليطة اللسان و كثيرة الكلام حتَّى أنَّني لم أستطع تدوين كامل شهادتها.

المُفتّش سامي: الله يكون في عون هذا الرَّجل.

يدخل الساعي راضي يحمل قهوة المُفتّش سامي. قهوة بدون حليب و قليلة السُّكر في فنجان أبيض كما تعود أن يشربها منذ سنوات.

الساعي راضي: تفضّل سيِّدي قهوتك كالمعتاد هل تريد أن أُحضر لك كروسان؟

المُفتّش سامي: لا شكرا يا عمّ راضي.

ينصرف السَّاعي و يرتشف المُفتّش سامي قهوته محاولا طرد ما بقي من نعاس البارحة. ينظر إلى المساعد وليد و يطلب منه مِلَفّات حوادث الليلة البارحة حتَّى يُلقي عليها نظرة مبدئية.

المُفتّش سامي: كم من حادثة سرقة سيَّارات منذ بداية السَّنة و حتَّى الآن يا وليد؟

المساعد وليد: أربعة يا سيِّدي.

المُفتّش سامي: بداية قوية لعصابات سرقة السيَّارات لم تمضي سوى تسعة أيام على بداية السَّنة و سجلنا أربعة سرقات إلى حد الآن. لا أعرف لماذا تأخّرت إدارة الأمن في الرّد على خُطتي لمكافحة هذه الظاهرة؟ يجب فعلا خلق فرقة خاصة بها.

المُفتّش سامي: وليد! هل تمَّ إبلاغ إدارة المرور بمواصفات السيَّارة المسروقة و إقامة الحواجز على مداخل المدينة حتَّى لا يتم تهريبها؟

المساعد وليد: نعم سيِّدي.

المُفتّش سامي: هل تمَّ استجواب الشهود؟

المساعد وليد: ليس بعد سيِّدي فالسرقة تمّت في ساعة متأخرة من اللَيل و ليس هناك من شهود حسب ظني.

المُفتّش سامي: تأكَّد أن هناك دائما شهود و لكن الصعوبة تكمن في تحديدهم و التوصُّل إليهم. لقد تمَّت السّرقة في شارعٍ رئيسي في الحي الشمالي الجديد و في هذا الشارع هناك العديد من المحلات كَكُشك الجرائد و السوبر ماركت و بعض المطاعم ... كما أنَّ في هذا الشارع مسجِدا و أكيد أنَّ بعض سُكَّان الشارع يؤدّون صلاة الفجر فيه. لاحظ أيضا أن عربة النظافة تمرُّ في ساعة متأخرة في هذه المنطقة. اتّصل بالبلدية و استجوب عُمّال النظافة الذين عملوا في هذا الشارع البارحة علّهم رأوا أو لاحظوا شيئا يدلّنا على السارق.

المساعد وليد: إذًا سأستجوب عددا كبيرا من النّاس رغم ضعف إمكانية الحصول على معلومات مفيدة.

المُفتّش سامي: افعل ذلك فحسب؟ فحتَّى لَو لم تصل لأيَّة نتيجة فإنَّ ذلك سيُطمئن المواطنينَ الذين سيشعرون أنَّ الشرطة مُهتمّة بالموضوع و تقوم باللازم. لا تنسَ أنَّ الصَّحافة بدأت تهاجمنا منذ فترة و تتَّهمنا بالتَّخاذل أو على الأقل العجز عن إيقاف المجرمين و حماية مُمتلكات المواطنين. أنَّها أصبحت قضيَّة تشغل الرَّأي العام. و تأكَّد أنَّ تكثيف مجهودنا على الميدان سيشعُر به المجرمون و يُضطرون لتقليص نشاطهم.

المساعد وليد: نعم سيِّدي. كلامك صحيح فحتَّى أصحابي في النادي بدءوا يسخرون منا و يطلقون النِّكات غير اللطيفة بشأننا.

المُفتّش سامي: انطلق في الحال و لا تُهمل أيَّة معلومة و لو بدت لك تافهة فهي التي يمكن أن توصلك للحقيقة. أنت مساعد جيِّد و رجل شرطة ذكي لكن يجب أن تكون إيجابيا و متفائلا أكثر. أريد تقريرك بعد الظهر و لا أريد أن أُسجِّل هذه القضيَّة ضد مجهول. مفهوم؟

المساعد وليد: مفهوم سيِّدي. لكن ماذا حول قضيَّة الاختفاء؟

المُفتّش سامي: ليس هناك خطورة فليس هناك جرائم اختطاف في مدينتنا و أغلب المختفين يظهرون بعد أيّام و يعودون لمنازلهم فغيابهم يكون لمعاقبة أهلهم لا غيْر. على كلّ حال سنقوم بالإجراءات القانونية اللازمة و نبدأ تحقيقنا في الموضوع. سأوكل التَّحقيق في هذه القضيَّة للمساعد أشرف. هل أكمل تدريبه أم لا؟

المساعد وليد: أظُنّ أنَّ تدريبه اكتمل سيِّدي و هو الآن بصدد كتابة التقرير.

المُفتّش سامي: فليكتب التقرير لاحقا. استدعه حالا لو سمحت.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي.

يتَّصل المساعد وليد بالمساعد أشرف بالهاتف و يستدعيه لمقابلة المُفتّش سامي و يهنِّئه بأوَّل قضيَّة سيُحقِّق فيها.

يَحضر المساعد أشرف مسرعا لمكتب المُفتّش سامي. يُحيِّيه تحية عسكرية تُظهر حزما و نشاطا شديدين. المساعد أشرف شاب في الخامسة و العشرين من عمره، رياضي و تبدو عليه علامات الذكاء.

يطلُب المُفتّش سامي منه أن يجلس و يبادره الحديث.

المُفتّش سامي: مرحبا بك معنا يا أشرف. أتمنَّى أنَّ تدريبك كان مفيدا و ممتعا.

المساعد أشرف: هو كذلك سيِّدي.

المُفتّش سامي: ما هو الشيء الذي لفت انتباهك أكثر من غيره خلال التدريب؟

المساعد أشرف: من خلال إطلاعي على أرشيف القضايا لاحظت أن قضايا سرقة السيَّارات كثيرة و أغلبها سُجِّل ضدَّ مجهول.

المُفتّش سامي: هذا صحيح و هذه هي أولويَّتنا لهذه السَّنة. كيف تريد أن تكون بدايتك معنا؟

المساعد أشرف: أنا مُستعد للتَّحقيق في أيَّة قضيَّة مهما كان مجالها و خطورتها.

المُفتّش سامي: ما رأيك في قضيَّة اختفاء رجُلٍ في الخمسين من عمره، غائب عن البيت منذ يومين. زوجته أبلغت عن اختفاءه و تظن أن مكروها حصل له. من أين ستبدأ التَّحقيق؟

المساعد أشرف: سأبدأ بإبلاغ جميع أقسام الشرطة عن بيانات المختفي كما سأتأكد من إمكانية تواجده بإحدى المستشفيات. ثُمَّ سأستجوب عائلة المختفي و أصدقاءه المقربين.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. يبدو أنَّك استوعبت التدريب لكن يجب أن تُركِّز بالخصوص على الأربع و العشرين ساعة السَّابقة لاختفائه و التدقيق في كلّ أحداثها. كما يجب أن تُحدِّد ملامح شخصيّة المختفي و عاداته و سلوكيَّاته و أصحابه فهي التي ستساعدك في اقتفاء أثره.

المساعد أشرف: صحيح سيِّدي. يبدو أنَّني سأتعلَّم الكثير من خلال العمل معك.

المُفتّش سامي: هذا هو مِلَفّ القضيَّة. أريد تقريرا مفصلا غدا صباحا.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي.

يتسلَّم المساعد أشرف مِلَفّ القضيَّة و يُقدِّم التَّحيَّة للمُفتِّش سامي، تحية عسكرية منضبطة، ثم ينصرف لمكتبه.

المُفتّش سامي: جيل الضباط الجديد هذا يُبشِّر بكُلُّ خير.

المساعد وليد: عسى إلاّ يتلاشى حماسه أمام نَقص الإمكانيات الماديَّة و البشرية و يستسلم للروتين و الإجراءات الإدارية الرسميَّة

المُفتّش سامي: هذا ما أتخوَّف منه فعمل الضَّابط يجب أن يكون عملا ميدانيا خلاقا يتَّسم بالذكاء و الفطنة و التَّجديد فالمجرمون يستنبطون كلّ يومٍ أساليب إجرامية جديدة و يستعملون التَّقنية المُتطورة في جريمَتِهم و أساليب عملنا لا تتطور بالسرعة الكافية.

يفتح المُفتِّش سامي مِلَفّ قضيَّة الشجار و يطلب من الحارس استدعاء المعتدي للتحقيق معه و يطلب من المساعد وليد الاتِّصال بالمستشفى للتَّعرف على حالة الضَّحية الصحية.

يقوم المساعد وليد بالاتِّصال و يُعلِم المُفتِّش بأنَّ الضَّحية يشكو من ارتجاج في المخ و كسر في يده اليسرى و جرح عميق في فخذه الأيمن ناتج عن طعنة سكين و أنَّ حالته مستقرة إلاّ أنَّه يحتاج لأكثر من شهر من العلاج قبل مغادرة المستشفى.

المُفتّش سامي: هل بإمكاننا استجواب الضَّحية؟ و متى يمكننا الحصول على التقرير الطبي النهائي؟

المساعد وليد: التقرير الطبي سيكون جاهزا في نهايَة هذا اليوم و يمكن استجواب الضَّحية اليوم أيضا لكن مع عدم الإطالة كما يوصي به الطبيب.

يدخل الحارس ممسكا بالمُتَّهَم. إنَّه رجل في الثلاثين من العمر ضخم الجثة. يبدو من ملابسه أنَّه عامل في الميناء.

المُفتِّش سامي: افتح المحضر يا وليد.

و يبدأ التَّحقيق...

☒ الثلاثاء ٩ يناير الثالثة بعد الزوال بالمباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي مكتبه برفقة وليد بعد التَّحقيق في المستشفى مع المصاب في شِجار البارحة. يطلب المُفتّش سامي من مساعده أن يكتب ما يلي في مِلَفّ قضيَّة الشجار.

المُفتّش سامي: إنَّ القضيَّة الحالية تتلخص في خلاف حول مبلغ مالي بين عاملين في الميناء في حالة سكر ينتهي باستعمال العنف من قِبَل المُتَّهَم الذي اعترَف بما نُسب إليه ممَّا أدَّى لأضرار بدنية بالغة للضحية. و قد أُقفِل المحضر في تاريخه و يُحوَّل للقضاء.

ينظر المُفتّش سامي لمساعده وليد و يقول:

المُفتّش سامي: هذه القضيَّة انتهت بسرعة. أنَّها قضيَّة واضحة و مكتملة. آمل أن تكون كلّ القضايا بهذه البساطة. ماذا عن قضيَّة السيَّارة المسروقة؟ هل اكتمل تقريرك؟

المساعد وليد: نعم سيِّدي. هذا هو.

المُفتّش سامي: ما هي خلاصة التقرير؟

المساعد وليد: لقد أفاد عامل النَّظافة أنَّه شاهد سيَّارة حمراء اللون قريبة من السيَّارة المسروقة و انتبه لها لأنَّ محركها كان يدور و السائق بداخلها في حين كان شخصان آخران يقفان بجانب السيَّارة المسروقة.

المُفتّش سامي: هل حصلت على مواصفات السيَّارة، نوعها، طراز أيَّة سنة، رقم لوحتها؟...

المساعد وليد: إنَّه ا سيَّارة كورية الصنع طرازها حديث و هي نادرة في بلدنا

المُفتّش سامي: هذا جيِّد هذه هي بداية الخيط الذي سيوصلك للعصابة. على الأقل نحن نعلم الآن أنهم يعملون بتشكيل ثلاثي. الأول في سيَّارة قريبة من السيَّارة المستهدفة و هو الذي يؤمِّن الهرب للبقية في حالة الخطر. الاثنان الباقيان يفتحون السيَّارة، يشغلونها و ينطلقون بها. أفترض أن أحدهما خبير في إبطال أجهزة الإنذار و أنَّ الثاني سائق ماهر. اطلب من إدارة المرور قائمة بكُلِّ السيَّارات من هذا النَّوع من موديلات السنوات الخمسة الماضية و تعرَّف على أصحابها ثم قُم بفرزها و استبعاد الأشخاص غير المحتملين من القائمة.

المساعد وليد: نعم سيِّدي لقد طلبت أيضا مِلَفّات أصحاب السوابق في سرقة السيَّارات.

المُفتّش سامي: هذا جيِّد فمع قليل من الحظ لو قمت بتقاطع للقائمتين و وجدت تكرار نفس الاسم فهذا سيوصلك للمجرم.

المساعد وليد: هذا ما سأقوم به في الحال سيِّدي.

المُفتّش سامي: جيِّد . لكن قبل ذلك هل وصل تقرير الطبيب الشرعي الخاص بحادثة البارحة؟

المساعد وليد: نعم سيِّدي لقد وصل للتوِّ و هو على مكتبك و ليس هناك مفاجآت فالوفاة ناتجة عن توقُّف القلب بسبب تحطم القفص الصدري و الضغط الشديد عليه. الوفاة كانت فورية و نسبة الكحول في دم السائق عالية.

المُفتّش سامي: و ماذا عن تقرير الأدلَّة الجنائيَّة؟

المساعد وليد: لم يصل بعد.

يتَّصل المُفتّش سامي بإدارة الأدلَّة الجنائيَّة مستفسرا عن التقرير المبدئي.

المُفتّش سامي: ألو! السلام عليكم

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: و عليكم السلام

المُفتّش سامي: هل من جديد في تقرير حادثة البارحة؟

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: لقد انتهيت للتّو من المعاينة و ليست هناك مفاجآت تُذكر فالحادث ناتج عن السُّرعة الكبيرة. السَّائق لم يتمكَّن من التحكم بسيَّارته في المنعطف الضَّيق. الفرامل سليمة و لم تتعرض لتخريب و السيَّارة لم تُصدم من أيَّة عربة أخرى.

المُفتّش سامي: إذًا فلا توجد أيَّة آثار أو شبهة لجريمة في الحادث

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: لا فكُلُّ المؤشرات تدلُّ على أنَّه حادثُ قضاء و قدر و لقد أرسلت لك تقريري الكتابي.

المُفتّش سامي: شكرا جزيلا لك و مع السلامة.

يلتفت المُفتّش سامي للمساعد وليد و يقول:

المُفتّش سامي: هذه القضيَّة تبدو أيضا بسيطة و واضحة. فلنغلق مِلَفّ القضيَّة يا وليد. أكتب:" أثبتت التحريات و تقرير الطبيب الشرعي و تقرير الأدلَّة الجنائيَّة أنَّ مقتل "حسين مالك" كان ناتجا عن

حادث مرور عادي يعود السبب فيه للسرعة الكبيرة التي كان يقود بها السيَّارة و حالة السكر التي كان عليها السائق إضافة لخطورة المنعطف. و أُقفِل المحضر في ساعته و تاريخه."

المساعد وليد: سأتّصل بأهل الضَّحية لتسلُّم الجُثة و السيَّارة.

المُفتِش سامي: من حقِّنا أن نحتفل بإغلاق قضيتين في نفس يوم وقوعها.

يطلب المُفتِّش قهوة من الساعي راضي فيُحضرها له في الحال. و بينما يحتسي المُفتِّش سامي قهوته بارتياح يصل تقرير الأدلَّة الجنائيَّة. يطَّلع على التقرير و يقرأه بسرعة. كلّ ما جاء في التقرير غير مفاجئ فسبب الحادث هو السرعة الكبيرة و خطورة الطريق و تهوُّر السائق. حالة السيَّارة بعد الحادث: صدمة كبيرة في مقدمة السيَّارة و في بابها الأمامي الأيسر، العجلات منفجرة و ليست هناك آثار لاصطدام مع سيَّارة أخرى.

يُسلِّم المُفتِّش سامي التقرير إلى وليد ليُرفقه بملَفّ القضيَّة و يُحوله للأرشيف.

☒ الثلاثاء ٩ يناير السادسة و النصف مساء.

تُشير السَّاعة للسادسة و النصف و يستعد الجميع لمغادرة المكتب. يُودِّع المُفتِّش سامي مساعديْه و يستقل سيارته باتجاه بيته. في الطريق يتوقف في إشارة مرور. يقترب منه عامل نظافة يكنس الشارع ببدلته الخضراء المُميَزة و يطلب منه كبريتا ليشعل سيجارة. يناوله المُفتِّش ولاَّعة سجائر السيَّارة. يشكره العامل و ينصرف يكنس جوانب الطريق و يجمع التراب و النِّفايات في عربته الصغيرة. يراقب المُفتِّش سامي هذا العامل و حركاته. إنَّه عمل شاق و مُمِل و لكنه في نفس الوقت مُهم فبدونه تملأ النِّفايات الشوارع. تتحوَّل الإشارة للأخضر و تنطلق سيَّارة المُفتِّش و فجأة يتوقف. يقرر المُفتِّش العودة للمكتب.

يدخل المُفتِّش سامي مكتبه و يتَّصل بإدارة الأدلَّة الجنائيَّة

المُفتِّش سامي: أردت أن أستفسر على أمر بخصوص تقريرك حول سيَّارة المرسيدس.

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: تفضّل سيِّدي أنا في الخدمة

- **المُفتِّش سامي**: لقد ذكرتَ في التَقرير أنَّ العجلات الأربعة مُمزقة فهل من الطبيعي أن يقع هذا في الحادث الحالي؟
- **ضابط الأدلَّة الجنائيَّة**: الاصطدام كان من الأمام و من الطبيعي أن تنفجر العجلات الأمامية لكن ليس من المفروض أن تنفجر العجلات الخلفية.

المُفتِّش سامي: إذا هل يمكن استنتاج أنَّ انفجار العجلات كان سابقا للحادث و مُسبِّبا له و ليس نتيجته؟

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: نعم سيِّدي هذا صحيح. لقد فاتتني هذه الجزئية.

المُفتِّش سامي: إذا أريد تقريرا إضافيا عن أسباب انفجار العجلات الخلفية و في أسرع وقت ممكن.

ضابط الأدلَّة الجنائيَّة: حاضر سيِّدي. لكن هل تشكُّ في أمر معين؟

المُفتِّش سامي: نعم. ابحث خاصة عن آثار مسامير أو أجسام حادة يمكن أن تمزق العجلات. سأنتظر تقريرك غدا صباحا. مع السلامة.

☒ الأربعاء ١٠ يناير الثامنة والنصف صباحا بالمباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي مكتبه و يبادر بتحية مساعده وليد وقبل أن يشرب قهوته كالمعتاد يطلب من مساعده مِلَفّ قضيَّة حادث سيَّارة المرسيدس.

المساعد وليد: ماذا حصل؟ هل هناك شيء لم نستكمله بعد في هذه القضيَّة؟

المُفتّش سامي: أجل. لقد أهملنا نقطة مُهِمَّة، فتقرير الأدلَّة الجنائيَّة يذكر أن العجلات الأربعة للسيَّارة منفجرة في حين أنَّه من المفروض أن تنفجر فقط العجلات التي تعرّضت للصدمة و هي العجلات الأمامية. السؤال إذا هو ما سبب انفجار العجلات الخلفية؟

المساعد وليد: و ما هو السّبب حسب رأيك؟

المُفتّش سامي: سأعرف ذلك بعد قليل. لقد طلبت من الأدلَّة الجنائيَّة التدقيق في أسباب انفجار العجلات الخلفية بالذات. كما أنّ شهادة النَّادل سلامة تفيد أنَّه استمع لانفجار عجلة مباشرة قبل الحادث. هذا كلّه يفيد أنّ الانفجار كان سابقا للحادث و مسببا له و ليس نتيجته.

المساعد وليد: أُهنِّئك على هذه الفطنة سيدس، لكن كيف انتبهت لهذه الجزئية؟

المُفتّش سامي: لو نرجع دائما لشهادة سلامة لنلاحظ وجود عامل نظافة ساعة وقوع الحادث أي في منتصف الليل.

المساعد وليد: و ما الغريب في ذلك؟

المُفتّش سامي: لقد لاحظت البارحة و أنا أغادر المكتب عامل نظافة يكنس الشارع في حدود السَّاعة السابعة مساءا بينما العامل المتواجد في مسرح الحادث كان يعمل في منتصف الليل. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا كان يفعل هذا العامل في منتصف الليل في مسرح الحادث؟

المساعد وليد: هل تعتقد أنّ له علاقة بالحادث؟

المُفتّش سامي: نعم فلو جمعنا مسألة انفجار العجلات الخلفية الغريب مع وجود عامل نظافة في مسرح الحادث و في وقت غريب لأمكننا استنتاج إمكانية تسبُّب هذا العامل في إلقاء مسامير أو أجسام حادة في الطريق مباشرة قبل مرور السيَّارة مِمَّا أدى لانفجار العجلات و وقوع الحادث.

المساعد وليد: و لماذا إذًا بقي عامل النظافة في نفس المكان بعد وقوع الحادث؟

المُفتّش سامي: بكُلُّ بساطة لِيُنظِّف الطريق من المسامير التي لم تعلق بالعجلات و بذلك يطمس أداة الجريمة. لاحظ أنَّني سلكت نفس الطريق مباشرة بعد الحادث و لم تنفجر عجلات سيارتي و هذا يعني

عدم وجود مسامير فيها أو بالأحرى جمعُها و إخفاءُها و هذا لا يثير الشبهات بما أنَّ الذي جمعها هو عامل نظافة عمله أن يكنس الطريق.

المساعد وليد: هذه فرضية مذهلة تفتح التَّحقيق من جديد

المُفتّش سامي: اِتّصل بالبلدية و تأكَّد من مواعيد كنس الطريق في منطقة الحادث و استجوب عُمَّال النظافة الذين عملوا يوم الاثنين و الثلاثاء في نفس المنطقة.

يرِنُّ جرس الهاتف. يردُّ المُفتّش سامي. يستمع باهتمام لمخاطبه ثم يشكره.

المُفتّش سامي: لقد عثَرَت الأدلَّة الجنائيَّة على مسامير عديدة من نفس النَّوع في عجلات السيَّارة الأربعة و هي التي تسببت في انفجارها.

في نفس الوقت يتَّصل المساعد وليد بالبلدية

المساعد وليد: مسؤول البلدية يؤكِّد أنَّ آخر وقت يُسلِّم فيه عمَّال النظافة عِدَّتهم هو الثامنة مساءا و لا يوجد أيّ عمل في منتصف الليل في تلك المنطقة.

المُفتّش سامي: إنّنا أمام جريمة قتل محكمة التدبير. افتح مِلَفّ القضيَّة من جديد و اكتب:" نظرا لظهور قرائن و أدلَّة جديدة قرَّرنا إعادة فتح التَّحقيق في قضيَّة مقتل "حسين مالك" فالموت كان ناتجا عن عمل إجرامي و ليس عن حادث مرور عادي"

يستدعي المُفتّش سامي الساعي راضي و يطلب منه إحضار اللوحة التي يستعملها عادة عندما يكون التَّحقيق شائكا فيُسجِّل فيها كلّ المعلومات و يَظل يراقبها و يُحدِّثُها باستمرار حتَّى يتمكَّن من ربط بعض العناصر ببعضها و يستنتج معلومات تقوده لحل القضايا.

يغيب الساعي فترة ثم يحضر للمكتب و يضع اللوحة في ركن المكتب على يسار المُفتّش سامي. يمسح عنها الغبار و يُسلِّم المُفتّش سامي أقلام اللوحة و ينصرف.

يتوجه المُفتّش سامي للوحة و يقسمها إلى أربعة مربعات. يكتب في أعلى المربع الأول "*اداة الجريمة*"، في أعلى المربَّع الثاني "*منفِّذ الجريمة*"، في أعلى الربع الثالث "*دوافع الجريمة*" و في أعلى المربع الأخير "*ملاحظات مُهمَّة*".

لقد تعوَّد المُفتّش سامي أن يُشرك مساعديه في التَّحقيق في القضايا الصعبة و ذلك بأن يُفكِّر بصوت عالي أمامهم و يطلب آراءهم.

المُفتّش سامي: دعنا نكتب كلّ المعلومات التي حصلنا عليها إلى حدِّ الآن على هذه اللوحة.

أداة الجريمة: مسامير من نفس النَّوع و بكمية كبيرة

مُنفِّذ الجريمة: عامل نظافة غريب و ضع المسامير في الطريق ثم أخفى الباقي منها.

دوافع الجريمة: ؟؟؟

ملاحظات مُهِمَّة: الجريمة مُحكَمة التدبير و نتيجة عمل جماعي منظم.

المساعد وليد: ليس لدينا الكثير من المعلومات و الأدلَّة للبدء بالتَّحقيق فكُلُّ ما لدينا هو بعض مسامير و عامل نظافة شبح لا أثر له. تبدو أن مُهمَّتنا هذه المَرّة صعبة و شبه مستحيلة.

المُفتّش سامي: تذكَّر يا وليد أن تكون إيجابيا و متفائلا فالجريمة مهما كانت مُتقنة تحتوي دائما على ثغرات يُمكن النفاذ منها لكنَّنا يجب أن نتحلَّى بالصبر و الإصرار و نعمل بجد.

المساعد وليد: من أين سنبدأ في هذه الحالة إذًا؟

المُفتّش سامي: يجب أن نعرف نوع المسامير المستعملة فإن كانت من النَّوع النادر الذي يستعمل في مجالات صناعيَّة خاصة فإنَّ ذلك سيُقرِّبنا من المجرم أمَّا إذا كانت من النَّوع الشائع الاستعمال فإنَّ ذلك سوف لن يفيدنا كثيرا. يا وليد تابع مع الأدلَّة الجنائيَّة تقريرهم الإضافي عن المسامير المستعملة لتفجير العجلات و اطلُب منهم عيِّنة حتَّى نرفقها بملَفّ القضيَّة.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي

المُفتّش سامي: يبقى هناك تساؤل كبير و مُهمٌّ و هو: ما هي دوافع هذه الجريمة؟ لماذا قُتِل "حسين مالك"؟ لمعرفة ذلك يجب أن نبدأ التَّحقيقات مع عائلته، زملاءه في العمل و أصدقاءه و كلّ من تربطه بهم صلة. سجِّل عندك يا وليد: أريد جهاز جوّال الضَّحية على أن يَتمَّ تسجيل كلّ أرقام و أوقات الاتّصالات الأخيرة المحفوظة في ذاكرة الجوَّال على ورقة. و أيضا أريد قائمة بكُلُّ الأرقام المسجلة في أجندة الجوَّال. أريد أيضا كلّ الوثائق و الأشياء التي كانت بحوزة الضَّحية سواء كانت في جيوبه أو في السيَّارة و خاصة منها محفظة أوراقه.

المساعد وليد: ما هو الدافع الممكن لهذه الجريمة سيِّدي؟

المُفتّش سامي: لا أدري حتَّى الآن. يمكن أن يكون تنافسا في العمل أو غيرة زوجية أو خلافات مالية مع أحد الزملاء... كلّ شيء جائز لا يجب أن نستبعد أيَّة فرضية.

يرِنُّ جرس الهاتف و يردّ المساعد وليد.

المساعد وليد: كان هذا المُفتِّش أشرف لقد عاد الرَّجل المختفي عن بيته. لقد اتّصلت به زوجة المختفي و أخبرته بذلك.

المُفتّش سامي: و أين كان مختفيا طيلة ثلاثة أيام؟

المساعد وليد: لقد كان عند صديق له و لقد أوصاه بعدم إعلام زوجته حتَّى يعاقبها على سلوكها السّيئ معه

المُفتّش سامي: استدعي المُفتِّش أشرف ليلتحق بنا في تحقيقات هذه القضيَّة و اتّصل بأرملة القتيل و أبلغها أنَّنا قادمون للتحقيق معها.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي.

☒ الأربعاء ١٠ يناير الحادية عشرة صباحا أمام بيت القتيل

يرِنُّ جرس الباب في بيت القتيل "حسين مالك". شقّة كبيرة في وسط البلد. يفتح ابنه الصغير "أسامة" الذي لم يبلغ بعد العاشرة من العمر. يقدِّم المُفتِّش سامي نفسه و مساعده وليد و يسأله إن كانت والدته موجودة. يسمح لهما بالدخول و يسبقهم ليُعلم أُمَّه.

يقف الضابطان وسط بهو الاستقبال و يقوم المُفتِّش كعادته بمسح سريع و دقيق لمحتويات البهو علَّه يُسجِّل بعض الملاحظات المفيدة.

المُفتِّش سامي: يبدو أنَّه تمَّت إعادة دهن الشقّة حديثا. الأثاث جديد و غالي الثمن و على الأرجح أنَّ مهندس ديكور قام بتصميم كلّ الديكورات و ذلك للتناغم و الذّوق الرفيع لكل عناصره.

المساعد وليد: يبدو ذلك فعلا و أظُنّ ذلك مُكلفا جِدًّا.

على رفٍّ وُضِعت صورة العائلة يظهر فيها القتيل، زوجته و أبناءه الاثنان. هي صورة قديمة بعض الشيء فأسامة لا يتخطى فيها السنتان. يبدو من الصُّورة أن العائلة كانت تعيش في سعادة و لم تكن علامات الثَّراء واضحة في الصورة.

تَقدِم إليهما زوجة القتيل "سماح"، و تظهر عليها علامات الحزن و التأثُّر البالغ.

سماح: مرحبا بكما

المُفتِّش سامي: آسف كلّ الأسف لما حصل لزوجك سيدتي و نقدِّم لك التعازي.

سماح: شكر الله سعيكم

المُفتِّش سامي: أعرف أنَّ الوقت غير مناسب بالنسبة لك للتحقيق و طرح الأسئلة لكن هذا هو واجبنا.

سماح: لا عليك. كيف يمكنني أن أساعدكم؟ أنَّه حادث سيَّارة عادي كما علمت من مساعدك بالأمس.

المُفتِّش سامي: يؤسفني أن أُعلِمكِ بأنَّه ليس بحادث سيَّارة عادي كما أخبرناك و كما كنَّا نظن بل أنَّها جريمة قتل مدبرة.

صمتت لبرهة و لم تبدو عليها علامات الاندهاش أو الاستغراب و لم تقم برد فعل يناسب حجم المفاجأة و كأنَّها كانت تتوقع أن يحصل هذا.

سماح: جريمة مُدبَّرة؟ لكن كيف كان ذلك؟ و من الذي قام بها؟
المُفتّش سامي: ما زال الوقت مُبكِّرا لمعرفة من الذي قام بالجريمة و نأمل منك مساعدتنا على ذلك، لكنّنا نعرف كيف تمت. لقد وضع أحدهم مسامير في طريق القتيل مِمَّا تسبَّب في الحادث.

تكتشف "سماح" أنَّها لم تدعو الضابطين للجلوس و لم تقم بواجب الضيافة.
سماح: تفضّلوا اجلسوا في الصالون. معذرة لقد أربكتني وفاة زوجي حتَّى أنَّني نسيت أن أقوم معكم بواجب الضيافة. تفضّلا أرجوكما. ماذا تشربان؟
المُفتّش سامي: قهوة لو سمحت؟
المساعد وليد: نفس الشيء.

تطلب "سماح" من ابنتها "مريم" ابنة السادسة عشرة إحضار القهوة. يبدو من عينيها أنَّها بكت طويلا و أنَّها لم تتماسك بعد من الصَّدمة ربَّما لأنَّها كانت متعلِّقة جِدًّا بأبيها.
المُفتّش سامي: كما قلت لكِ فالحادث كان مدبَّرًا و ليس عاديًّا و علينا الآن أن نعرف كلّ ما يمكن أن يفيد التَّحقيق و نرجو مساعدتك.
سماح: أنا تحت أمركما. لكن كيف سأساعدكما؟
المُفتّش سامي: بأن تركزي و تجيبي على كلّ أسئلتنا بكُلِّ دقة و أن لا تخفي أو تهملي أيَّة تفاصيل يمكن أن تقودنا لمرتكب الجريمة.
سماح: حاضر. أنا ليس عندي أي شيء أخفيه.
المُفتّش سامي: بداية جيِّدة. فلنبدأ بعلاقتك مع زوجك و علاقته مع أبناءه. كيف كانت؟
سماح: كان زوجا عاديا و أبا حنونا على أولاده
المُفتّش سامي: ماذا تقصدين بزوج عادي؟
سماح: كان يُلبِّي احتياجات البيت و يقوم بواجباته الزوجية كأي رجل آخر و كان يصرِف عليَّ و على أولاده بشكل جيِّد و لم يتركنا نحتاج أيَّ شيء.

المُفتّش سامي: كيف كان مزاجه في البيت في الفترة الأخيرة؟ هل كان هادئا أم عصبيا؟ هل يتدخَّل في صغائر الأمور أم لا؟

سماح: في العادة كان هادئا ودودا لكن في الأشهر الأخيرة تغيَّر مزاجه و صار دائم التَوتُّر.

المُفتّش سامي: في الأشهر الأخيرة؟ منذ كم شهر تقريبا؟

سماح: منذ ثمانية أشهر تقريبا.

تحضر "مريم" القهوة. تقدِّمها للضيوف و تنصرف دون أن تنطق بكلمة.

المُفتّش سامي: أريد أن أعرف أكثر حول هذا التغيُّر في سلوك المرحوم. ماذا لاحظت عليه في الأشهر الثمانية الماضية؟

سماح: لقد بدأت مشاكلنا عندما بدأ يسهر بالليل خارج البيت. كان يعود في بعض الأحيان قبيل الفجر تارة سعيدا و مبتهجا و طورا عصبيًّا و متوترا. و كانت تحصل بيننا بعض المشادات الكلامية حول هذا الموضوع.

المُفتّش سامي: كيف كان يجيبك عندما تلومينه على السهر خارج البيت و العودة متأخرا؟

سماح: كان يقول لي "أنا رجل أفعل ما أريده و ليس من حقك أن تحاسبيني على تصرفاتي" و كان يلقي لي في بعض المرات بمبالغ كبيرة من المال و يقول أنَّه يُوفِّر لي كلّ شيء و ليس من حقِّي أن أطلب أكثر. لكن لم يكن المال وحده ما أحتاجه.

المُفتّش سامي: كان يرمي لك بمبالغ كبيرة من المال؟ ما هو مصدر هذا المال؟

سماح: لا أدري فقد كان يتهرب من الإجابة على أسئلتي و يقول أنَّه كسب هذا المال بفضل ذكاءه و فطنته و أن زمن الفقر و الخصاصة ولَّى دون رجعة و سنعيش كبقية النّاس السعيدة و أنَّ أبواب الحياة انفتحت لنا على مصراعيها. لكن للأسف لم نجني من وراء هذا المال إلاّ الحزن و التعاسة.

المُفتّش سامي: إذًا بدأ يكسب هذا المال منذ حوالي ثمانية أشهر و كانت مبالغ كبيرة يربحها في كلّ مرة.

سماح: ليس في كلّ مرة. كان في البدايَة يربح المال في كلّ ليلة تقريبا لكن في الشهرين الأخيرين لم يعُد يربح كالأوَّل بل أنَّه كان يطلب منِّي في الأسابيع الأخيرة حتَّى المبلغ الذي أحتفظ به لمصروف البيت. و لقد ساءت حاله أيضا بسبب الخمر فقد كان يثقل في الشرب كلّ ليلة.

المُفتّش سامي: يبدو مِمَّا تقوليه أنَّه كان مقامرا. هل لاحظت شيئا آخر بخصوص المال؟

سماح: نعم. مِن ستة شهور تقريبا عاد إلى البيت في إحدى الليالي و أعلمني أنّنا سننتقل لشقّة كبيرة و فخمة في وسط البلد و هي هذه الشقّة التي نحن فيها و أنّه سيشتري سيَّارة مرسيدس من آخر طراز حتَّى أنّه أراني الكتلوج و أخبرني أنّه وقّع عقد شراءها و سيستلمها في ظرف أسبوع. كنت سعيدة لذلك لكنَّني في نفس الوقت بدأت أشعر بالخوف لأنَّني كنت أجهل مصدر هذه الأموال الطائلة التي نزلت علينا فجأة واحدة. و كلَّما سألته عن مصدر هذه الأموال كانت إجابته هي ذاتها "إنَّه الذَّكاء و الفطنة. يجب على الإنسان في هذا الزَّمن الصَّعب أن يكون ذكيًّا و يستغلَّ الفُرص ثم ما شأنك أنتِ بمصدر المال تمتَّعي فقط به و دعيني و شأني".

المُفتّش سامي: إذًا أنتِ تؤكدين أن ثراء زوجكِ كان مفاجآ و منذ ستة أشهر فقط و لا تعلمين مصدر هذه الأموال. هل لك أن تخبرينا كيف كانت حياتكم قبل هذا الثَّراء المفاجئ؟

سماح: لقد كانت حياتنا عاديَّة و بسيطة منذ أن تزوَّجنا. المرحوم هو ابن عمي و تزوَّجنا منذ سبعة عشرة سنة عندما كان يبلغ من العمر الخامسة و العشرين. كان زواجا عائليا تقليديا. كان قد عُيِّن حديثا بمصلحة الجمارك بمرتب بسيط. أقمنا مع أهله في بيتهم في البدايَة ثم بعد ولادة ابنتنا مريم بسنتين تُوفي والداه في حادثة طائرة عند عودتهما من أداء العمرة. كان وحيد والديه و بقينا نعيش في ذلك البيت المؤجر حتَّى اشترينا هذا البيت و انتقلنا إليه منذ ستة أشهر تقريبا.

المُفتّش سامي: كيف كانت تصرفاته طيلة هذه الفترة؟

سماح: كان عاديًّا. يركب المواصلات العامة كلّ يوم و يعود في المساء و يشتكي من الزحمة و الانتظار الطويل للحافلة. كان يشتكي من المشي لمسافات طويلة كلّ يوم على رجليه، و يشكو من قلة ذات اليد و عدم تحقيق طموحاته. كان يقول دائما أنَّ الحياة التي يعيشها ليست حياته و كان كثير الانبهار بحياة الأثرياء. لم يكن مقتنعا بما كان لديه. حتَّى أنّه كان ينجذب لأي امرأة جميلة أو تضع زينة كثيرة و كان ذلك يسبب خلافات بيننا. كنت أحاول دائما أن أُصبِّره و أشير له للنعم التي منحنا الله إياها كالأولاد و الصحة و الإيمان لكن كلامي لم يكن ليعجبه و لا ليقنعه.

المُفتّش سامي: إذًا بقي لسبعة عشرة عاما يعيش حياة عاديَّة مثل عامة النّاس و لم يكن راضيا بحياته و كان يتوق للتغيير و الثَّراء إلى أن ظهرت الثروة فجأةً. ألم يُلمِّح لك بأيِّ شيء حول مصدر هذه الثروة؟

سماح: لا أبدا كان شديد التكتّم.

المُفتّش سامي: ألم تسمعيه يتحدث في الهاتف مع شخص ما حول موضوع المال؟ أو تجدي في جيوب ملابسه عند غسلها وثائق ذات صلة بالموضوع؟

سماح: لم أكن أجد أيَّة وثائق فقط كنت أجد المال في جيوبه و أحيانا كان يوضع بشكل فوضوي. أمَّا فيما يخصُّ المكالمات الهاتفية فكنت ألاحظ مكالمات تأتيه دائما على جوَّاله و كان يدخل غرفته و يغلقها جيِّدا قبل أن يتكلم. لكنَّني اكتشفت أنَّ مِن بين مخاطبيه امرأة. كانت تتَّصل به بكثرة و كان يخرج من البيت بعد البعض من هذه الاتِّصالات. حتَّى أنَّه صار في الأشهر الأخيرة يبيت خارج البيت و لم نعد نراه طيلة يومين أو ثلاثة.

المُفتّش سامي: هل تعتقدين أنَّه كان على علاقة بامرأة أخرى؟

سماح: هذا أكيد. لقد واجهته لمرات عديدة. كان يتهرَّب في الأوَّل من الإجابة ثم اعترف لي بعلاقته و أنَّه غير مستعدٍّ لأنَّهائها و أنَّ لي خِيارين إمَّا الرِّضاء بذلك أو الطلاق. طبعا هذا كان قاسيا جِدًّا عليَّ و كنت أرغب في الطلاق لكن كما رأيت فلديَّ بنت في عمر المراهقة و من الخطر الطلاق في هذا الوقت و ابني مازال صغيرا و لا يستطيع استيعاب هذه الأمور. صبَرت على ذلك مِن أجل أبنائي و دعوت الله أن يهديه و يعيده إلى رشده و أن تكون فقط نزوة تمرُّ مع الوقت.

المُفتّش سامي: هل تعرفين هويَّة هذه المرأة؟

سماح: اسمها "جيهان". لقد سمعته مرَّة ينطق بهذا الاسم في الهاتف. كما أنَّني لمحتها مرَّة من النافذة و هي توصله بسيارتها قبل أن يشتري سيارته المشؤومة.

المُفتّش سامي: كيف كان شكلها؟

سماح: لم أتمكن مِن رؤيتها بوضوح لكنَّ الأكيد أنَّها كانت في منتصف العشرينات و جميلة.

تُجهش سماح بالبكاء ربَّما حُزنًا على زوجها أو حُزنًا و حسرة على نفسها أو غيرة من جيهان...

المُفتّش سامي: نكتفي بهذا اليوم و ندَعُك ترتاحين و سنُكمل كلامنا في وقت لاحق.

سماح: لا بأس

يودع الضابطان سماح و يستقلاَّن سيارتهما.

المُفتّش سامي: يبدو أنَّنا بدأنا نمسك بخيط مهم و هو مسألة الثَّراء المفاجئ للقتيل. علينا بطلب كشف حساب القتيل البنكي و التدقيق في العمليَّات البنكية للأشهر العشرة الأخيرة. مع قليل من الحظ يمكن

أن نعثر على هوية صاحب شيك أو تحويل مُتورِّط في إثراء القتيل. لا بُد أنَّ هناك علاقة بين الثَّراء و الجريمة

المساعد وليد: لا يجب أن ننسى علاقته العاطفية فربما كانت الجريمة من النَّوع العاطفي أي أنَّ عشيق "جيهان" مثلا، قتله حتَّى يبعده عن عشيقته أو أنَّ زوجته قتلته انتقاما لكرامتها.

المُفتِّش سامي: كلّ شيء وارد كما أنَّ إمكانية خلاف ناتج عن القمار يمكن أن يؤدي لضغينة تتبعها جريمة قتل.

المساعد وليد: لقد كان اللِّقاء مع أرملة القتيل مفيدا جِدًّا و زاخرا بالمعلومات.

المُفتِّش سامي: اِتّصل بأشرف و دعه يبحث عن أرقام "جيهان" و عُنوانها و يحدد لنا معها موعدا

المساعد وليد: حاضر لكن كيف سيعرف أرقامها؟

المُفتِّش سامي: من جوّال الضَّحية فقد كانت تتَّصل عليه باستمرار فليتَّصل على آخر المكالمات الواردة و يسأل إن كانت المجيبة جيهان

المساعد وليد: حاضر سيِّدي.

المُفتِّش سامي: يجب علينا الوصول لجماعة القمار التي كان يسهر معها القتيل.

المساعد وليد: سأعتمد أيضا على آخر المكالمات الصادرة و الواردة خاصة و أن القتيل كان في حالة سُكْر أي أنَّ هناك احتمالا كبيرا أن يكون خارجا من سهرة قمار قبل الحادث.

تشير السَّاعة للثانية عشرة و النصف. يودع المُفتِّش سامي مساعده على أن يلتقي به بعد الغداء.

☒ الأربعاء ١٠ يناير الثالثة والنصف عصرا بالمباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي مكتبه فيجد كلاً من المساعد أشرف و المساعد وليد يتحدثان عن تطورات الجريمة. يلقي عليهم التَّحيَّة و يتجه مباشرة للوحة.

المُفتّش سامي: دعونا نلخص ما حصلنا عليها من معلومات حتَّى الآن.

في مربع ملاحظات هامَّة يكتب

- ثراء مفاجئ في ٨ أشهر الأخيرة
- علاقة عاطفية
- القتيل كان مقامرا

في مربع دوافع الجريمة يكتب:

- عاطفية
- مالية
- قمار

لدينا الكثير من الخيوط التي يُمكن أن نبحث فيها و كلّ شيء جائز في هذه المرحلة و يجب علينا إلاّ نُهمل أيَّة جزئية. ما هو رأيكم؟

المساعد أشرف: أظُنّ أنَّ مسألة الثَّراء المفاجئ هي أكثر الأمور ريبة و لا شكَّ أنَّها تُخفي أسرار القضيَّة بين طياتها.

المساعد وليد: لقد حصلت على كشف الحساب البنكي للقتيل و الغريب أنَّه في السَّنة الماضية لم تدخل حسابه أيَّة مبالغ كبيرة لا عن طريق الشِّيكات و لا التحويلات و لا حتَّى نقدا. المبالغ التي تدخل الحساب عادة مبالغ بسيطة إضافةً لراتبه الشهري البالغ ٥٠٠ دولار تقريبا.

المُفتّش سامي: أكيد أنَّه كان حريصا على التَّعامل نقدا و ذلك حتَّى لا يترك أي أثر لتعاملاته المالية ممَّا يُؤكِّد أنَّها عمليَّات مشبوهة. السؤال المُهم هنا هو معرفة نوعية هذه العمليَّات.

المساعد وليد: من الممكن أن يكون مقامرا فكما قالت أرملته كان يعود بالمال الوفير في آخر سهراته.

المُفتّش سامي: هذا جائز لكنَّ المقامر يعتمد على الحظ. و كما تعلمون فالحظ مرَّة يُصيب و مرَّة يَخيب و بذلك لا يمكن أن يجمع هذه الثروة الكبيرة في وقت قصير من القمار.

المساعد وليد: لا تنسى أن أرملة القتيل أكَّدت أنَّه في الفترة الأخيرة صار يخسر كثيرا و يأخذ منها حتَّى مصروف البيت.

المُفتّش سامي: هذا أمرٌ محيِّرٌ فعلا. لكن دعنا نعتبر فرضية القمار على علَّتها

يكتب المُفتّش أمام ملاحظة الثَّراء المفاجئ "المصدر: القمار"

المُفتّش سامي: لا بُد أنَّ هناك مصدر آخر و رئيسي للثراء فماذا تُرى أن يكون؟

المساعد أشرف: إنَّ طبيعة عملِ القتيل تُثير بعض الشبهات فكونه مُوظف بالجمارك يدعو للشك بقبوله رشاوى مقابل غضِّ النظر عن بعض العمليَّات الغير قانونية.

المُفتّش سامي: هذا محتمل أيضا. دعنا نعتبر هذا الاحتمال

يكتب المُفتّش سامي أمام ملاحظة الثَّراء المفاجئ "المصدر: الارتشاء"

المساعد وليد: لو نريد التَّحقيق في موضوع الارتشاء يتوجب علينا التوجه إلى مَقرِّ عمل القتيل و زملائه.

المُفتّش سامي: جيِّد . هذا ما يجب فعله كما أن أصحاب القمار يكونون عادة من الأصدقاء و الزملاء القريبين من المقامر. دعنا نتوجه لمصلحة الجمارك و نكوِّن صورة واضحة على شخصيّة القتيل و علاقاته المهنية. فلترافقني يا وليد.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي

المُفتّش سامي: هل حصلت على رقم "جيهان" يا أشرف؟

المُفتّش أشرف: ليس بعد سيِّدي فالأرقام كثيرة اتّصلت بأكثر من نصفها إلى حد الآن و كلّ المجيبين هم من الرجال.

المُفتّش سامي: حاول ثانية و عند عودتنا أريد رقمها. أنَّها شخصيّة مُهمَّة و مُتَّهمة مُحتملة و أكيد أنَّها تمتلك الكثير من المعلومات الخطيرة. كما أريد القائمة الكاملة بكُلِّ الأرقام و أسماء أصحابها.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي سأبذل كلّ جهدي.

يواصل المساعد أشرف الاتّصال بالأرقام التي أخذها من ذاكرة جوّال القتيل و يكتب أسماء أصحابها أمامها.

☒ الأربعاء ١٠ يناير السَّاعة الخامسة مساءا أمام مَقرِّ الجمارك

تتوقف سيَّارة المُفتّش سامي عند بوَّابة الجمارك. يتقدم إليه موظف الأمن مُستفسرا عن هويته و الغرض من دخوله للميناء. يُبرز المُفتّش سامي شارته و يطلب منه أن يدله على مكتب رئيس الجمارك. يُقدم موظف الأمن التَّحيَّة و يشير إلى بناية تقع وسط الميناء و كأنَّها تراقب كلّ ما يحصل فيه.

يترجل الضابطان و يدخلان المبنى. يدلُّهم أحد الموظفين على مكتب الرَّئيس . يُعلِمان السَّاعي بقدومهما و برغبتهما في مقابلة الرَّئيس .

يستقبلهما الرَّئيس في مكتبه بابتسامة عريضة.

رئيس الجمارك: مرحبا بكما في مصلحة الجمارك. سُعداء بزيارتكما. ماذا تشربان؟

المُفتّش سامي: لا داعي لذلك فلدينا فقط بعض الأسئلة نودُّ طرحها عليك.

رئيس الجمارك: طيِّب لا ضير في أن نتحدث و نشرب الشَّاي مثلا. ما رأيكما؟

المُفتّش سامي: لا بأس بذلك.

رئيس الجمارك: يا "صادق" ثلاثة شاي و عبوة ماء معدني و لا تحول لي أي مكالمة الآن.

يخرج الساعي صادق من المكتب ليحضر الشاي.

رئيس الجمارك: كيف يمكن لي مساعدتكما؟

المُفتّش سامي: لقد تُوفي موظف جمارك يعمل معكم منذ يومين. هل لديك خلفية على هذا الموضوع؟

رئيس الجمارك: أجل للأسف لقد اتّصلت ببيته اليوم للاستفسار عن سبب تغيبه عن العمل فليس من عادته أن يغيب دون استئذان أو إعلام و أعلمتني أرملته نبأ وفاته. حقيقةً لقد تأثرنا كُلُّنا بهذا الخبر. لقد كان رجلا طيبا و قد ترك طفلين في أمسِّ الحاجة إليه.

المُفتّش سامي: في الواقع وفاته لم تكن نتيجة حادث بل نتيجة عمل إجرامي مدبَّر. لقد قُتِل "حسين مالك".

يمتقع وجه رئيس الجمارك و يضطرب و كأنَّ صاعقة حلت به. يسترجع تماسكه و يستنكر قائلا:

رئيس الجمارك: ماذا؟ قُتِل؟ كيف قُتِل و من الذي قتله؟ و لماذا قُتِل ؟

المُفتّش سامي: هذا ما نريد التوصل إلى معرفته.

يدخل الساعي "صادق" بالشاي. يسارع رئيس الجمارك بفتح عبوة الماء و يصب كأسا لنفسه و يداه ترتجفان. يشرب الماء بتوتر شديد و كأنّ حلقه جف تماما حتَّى أنَّه يُبلِّل قميصه.

ينظر إلى الضابطين و ينتبه لسوء تصرُّفه. يمسح العرق الذي بدأ يتصبَّب من جبينه.

رئيس الجمارك: آسف لقد ذُهلت من الخبر فهذه أول مرَّة أسمع فيها بجريمة قتل لأحد معارفي. كنت أظُنّ أن هذه الجرائم لا تحصل في بلادنا.

المُفتِش سامي: هلاَّ حدثتنا عن سيرة و سلوك القتيل "حسين مالك" منذ عمل معكم و خاصة في السَّنة الأخيرة؟

رئيس الجمارك: أنا أعرف المرحوم منذ ثلاثة سنوات فقط عندما عُيِّنت رئيسا لهذه المصلحة. و على ما أعتقد فإنَّه كان يشتغل هنا منذ زمن بعيد، خمسة عشرة سنة تقريبا. لقد كان يقوم بعمله على أحسن وجه. كان ذكيا، لمَّاحا و نشيطا حتَّى أنَّه كان في بعض الأحيان يقول أن مكانه ليس في مصلحة الجمارك.

المُفتِش سامي: و ماذا كان يعمل بالضبط؟

رئيس الجمارك: في الحقيقة لقد تدرَّج في السُّلم الوظيفي بسرعة و وصل لمنصب مسؤول عن مراقبة الحاويات المستوردة و استكمال إجراءات التصريح لها بمغادرة الميناء. و هذا أكبر منصب يمكن أن يشغله؟

المُفتِش سامي: لماذا لا يمكن أن يحصل على منصب أعلى؟

رئيس الجمارك: إنَّ مستواه التعليمي لا يسمح له حسب قوانين الجمارك بتجاوز هذا المنصب إذ يتطلب المنصب الأعلى الحصول على البكالوريوس بالإضافة لتدريب لسنة واحدة داخل إدارة الجمارك في حين أنَّه لم يكن لديه سوى الثانوية العامة.

المُفتِش سامي: هل كانت له مشاكل مع المراجعين و المستوردين؟

رئيس الجمارك: في الحقيقة طبيعة عمله تخلق له بعض المشاكل فكُلُّ المستوردين يرغبون في إخراج بضاعتهم من الميناء في أسرع وقت و بأيَّة طريقة حتَّى و لو كانت الإجراءات غير سليمة و لذلك هم يمارسون الكثير من الضغوط على المرحوم. لكنَّنا تعودنا على هذه المشاكل و هي "خبزنا اليومي"

المُفتِش سامي: هل تعتقد أن هذه الخلافات يمكن أن تؤدي للقتل؟

رئيس الجمارك: لا أظُنّ ذلك. إن هذا مستبعد جدًّا.

المُفتِش سامي: كيف كانت علاقة القتيل بزملائه؟

رئيس الجمارك: كانت علاقة طبيعية تشوبها بعض التشنجات من حين لآخر نتيجةً لضغط العمل لكن سرعان ما تصفو الأجواء بل أنَّه كان من أكثر الموظفين شعبية و استلطافا بين زملاءه

المُفتّش سامي: هل كان بينه و بين أحد زملاءه منافسة على العمل أو على المنصب أو الامتيازات يمكن أن تبرر القتل؟

رئيس الجمارك: لا أبدا فمنصبه غير مرغوب فيه من زملاءه نظرا لحساسيته و صعوبته و الضّغط الشديد الذي يمارسه المستوردون عليه فلا يوجد أحد من زملاءه يرغب في منافسته.

المُفتّش سامي: كيف كانت تصرفاته في الأشهر الماضية؟

رئيس الجمارك: كلّ شيء كان عاديا ما عدى تأخره المتكرر في الصباح. لقد كان كثير التأخر و قد لفتُ نظره لأكثر من مرَّة و اضطررت لأوجه له لفت نظر كتابي لَّما لم يمتثل لتنبيهي الشفوي. فكما تعلم مصالح النّاس تتعطل لَّما يتأخر موظف مهم مثل المرحوم أو يتغيب حتَّى أنَّه في بعض الأوقات يكون عدد المنتظرين لاستكمال إجراءاتهم كبيرا مِمَّا يخلق فوضى و تذمُّرا لديهم.

المُفتّش سامي: و ما سبب هذا التأخير المتكرر حسب رأيك؟

رئيس الجمارك: معذرة، لا فائدة في الإساءة للمرحوم. "اذكروا محاسن موتاكم".

المُفتّش سامي: للضرورة أحكامها. يجب أن نعرف كلّ شيء حتَّى تأخذ العدالة بحقه و تقتص من قاتله. أرجوك تكلم و اعتبر أن المعلومات التي تقولها ستبقى سرية.

رئيس الجمارك: لقد سمعت أن المرحوم كان في الفترة الأخيرة يسهر مع شلَّة أصحاب يشرب معهم الخمر حتَّى أنَّه كان مجهدا في الصباح لَّما يأتي للعمل.

المُفتّش سامي: كيف كانت وضعية المرحوم المالية؟

رئيس الجمارك: كان المرحوم موظفا بسيطا و راتبه كان بسيطا حتَّى أنَّه كان يستلم جله قبل نهايَة الشهر لمجابهة مصاريفه الكثيرة.

المُفتّش سامي: لكن السيَّارة التي قُتِل بداخلها كانت من النَّوع الفاخر و الغالي الثمن و كانت مُلكه.

رئيس الجمارك: صحيح لقد سأله زملاءه "من أين لك بكُلُّ هذا المال الذي ظهر عليك فجأة" و كان يجيب أنَّه ورث عمه الغني و الذي لم يكن له أطفال.

المُفتّش سامي: نودُّ استجواب بعض زملاء القتيل القريبين منه.

رئيس الجمارك: تفضّلوا بكُلُّ سرور. سيقودكم صادق إلى مكتبه و هناك ستجدون أكثر زملاءه قربا منه

المُفتّش سامي: شكرا لك على تعاونك معنا

رئيس الجمارك: لا شكر على واجب

يهم المُفتّش سامي بمغادرة مكتب الرَّئيس لكنه يتوقف و يلتفت إليه

المُفتّش سامي: هل هناك أحداث غريبة وقعت بالميناء في الأشهر القليلة الماضية. أي شيء غير مألوف؟

رئيس الجمارك: لا أذكر شيئا غير عادي فعملنا روتيني. حاويات تدخل و أخرى تغادر بلا توقف.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. إلى اللقاء

يدخل المُفتّش سامي المكتب الذي كان يعمل به القتيل. تحتوي الغرفة على ثلاثة مكاتب. يشغل اثنان منها موظفان في حين بقي المكتب الثالث شاغرا.

قدَّم المُفتّش سامي نفسه إليهما.

المُفتّش سامي: أنا المُفتّش سامي و هذا المساعد وليد من المباحث الجنائيَّة و نحن نحقق حاليا في جريمة قتل زميلكما "حسين مالك". نطلب منكما مساعدة العدالة حتَّى نتوصل للقاتل و ذلك بأن تُدليا بكُلِّ المعلومات التي تعرفونها عن القتيل و كلّ الحوادث التي وقعت حتَّى و لو كانت صغيرة و عاديَّة. و لنبدأ بالتعرف عليكما.

الساعي صادق: هذا "رشيد" مسؤول التنسيق مع شركات الشّحن و التفريغ و هذا "عبد العزيز" المسؤول عن المخازن. و هذا المكتب الفارغ كان للمرحوم "حسين مالك".

المُفتّش سامي: شكرا لك يا "صادق" يمكن أن تنصرف الآن و سنوجِّه لك بعض الأسئلة فيما بعد فلا تذهب بعيدا.

الساعي صادق: حاضر سيِّدي.

المُفتّش سامي: كيف كان سلوك القتيل بصفة عامة و في الفترة الأخيرة بالذات؟

رشيد: لقد كان المرحوم طيِّبا حسن المعاشرة مع أنَّه كان في بعض الأحيان عصبيا نتيجة الضغط الشديد الذي يمارسه عليه المستوردون.

عبد العزيز: كان أيضا نشيطا لا يؤجل العمل و دقيقا فلا يخطئ تقريبا أبدا حتَّى أنَّه كان يستخسر نفسه في هذه الوظيفة كثيرة المتاعب و قليلة الأجر.

المُفتّش سامي: هل كان يشكو من شيء معين؟

رشيد: لقد كان دائم التذمر من بساطة الراتب الذي لا يحقق له طموحاته و لا يوفِّر له مستوى الحياة الذي ينشده.

عبد العزيز: كان دائم الحديث عن رجال الأعمال و المستوردين و عن سيَّاراتهم و فِللهم و مستوى حياتهم الممتاز في حين كان يركب الحافلة العمومية يوميا و يعتبر ذلك ظلما شديدا.

رشيد: لقد كان يحلم دائما أحلام اليقظة. السيَّارة الفاخرة و الفِيلاّ الجميلة و الحساب البنكي المتين و الرحلات و التسوُّق من أحسن المحلات و مصاحبة الأثرياء و المشاهير. لطالما حذَّرته من مغبة التمادي في هذه الأحلام فكلَّما يفيق منها و يرجع لواقعه تسوء حالته و يتذمَّر. كنت دائما أدعوه لحمد الله الذي أنعم عليه بشتَّى النعم كالصحة و العائلة و البنين و الوظيفة... لكنَّه كان دائما يقول و ما فائدة الصحة و أنا لا أقدر أن أستمتع بها كما يجب فالحياة لا تستقيم إلاّ باكتمال النعم.

المُفتّش سامي: هل لاحظتم في الأشهر الأخيرة تغييرا في سلوكه؟

عبد العزيز: لقد لاحظت منذ عشرة أشهر تقريبا تغيُّرا واضحا على سلوكيَّاته. بدأ في البدايَة يتأخر عن العمل في الصباح و بدأت تظهر عليه علامات الثَّراء فتغيَّرت ملابسه و صارت غالية الثمن و من أحسن الماركات و صار يلبس الساعات الفاخرة و يضع العطور الغالية. كان يبدأ العمل بتكاسل شديد و ليس كعادته و ذلك بسبب قلة النوم على ما أظنّ. لقد صار شديد الولع بنفسه.

رشيد: لاحظت أيضا أنَّه صار يتلقَّى مكالماتٍ عديدةً سريةً فكان يغادر المكتب ليتحدث بعيدا عنا. أظُنّ أنَّها كانت مكالمات غرامية فلقد كان سعيدا بهذه الاتِّصالات و تتغير ملامحه و تبدو عليه السعادة بعد الفراغ منها.

المُفتّش سامي: هل أخبركم شيئا عن هذه المكالمات؟

رشيد: سألته مرَّة ممازحا عن سبب سعادته بهذه المكالمات و من تكون المخاطبة فأجابني أنَّها حورية من حوريات الجنة فتحت له أبواب السعادة.

عبد العزيز: لقد بدأ بارتكاب بعض الأخطاء في معاملات المستوردين و بدؤوا يشتكون من هذه الأخطاء و من التأخير في استكمال إجراءاتهم.

المُفتّش سامي: هل سبق و أن زارته عشيقته هنا؟

عبد العزيز: لا لم تأتي إلى المكتب إطلاقا لكنَّني لمحته من بعيد مرَّة في مطعم سياحي و كانت إلى جانبه. لقد كانت فعلا فتاة جميلة في الخامسة و العشرين من عمرها تقريبا و كان واضحا من ملابسها أنَّها من الأثرياء و ذات ذوق رفيع يعكس مستوى ثقافي رفيع.

المُفتّش سامي: هل لاحظتم اتّصالات أخرى غريبة؟

رشيد: عدد كبير جدًّا من الاتّصالات الهاتفية يردُّ عليها المرحوم و هذا داخل في طبيعة عمله و لم نكن نولي أهمية لمحتوى المكالمات فأكثرها من المستوردين.

المُفتّش سامي:منذ ستة أشهر تقريبا اشترى القتيل سيَّارة مرسيدس آخر طراز فما كان تفسيره لهذا الشراء؟

عبد العزيز: لقد سألناه عن مصدر كلّ هذا الخير الذي نزل عليه مرَّة واحدة فأخبرنا أنَّ له عمًّا تُوفي و ترك له ثروة لا بأس بها. عندما سألناه عن سبب ظهور هذا العم الآن فقط و لماذا لم يكن يساعده قال أنَّ عمَّه كان يعيش في كندا منذ ثلاثين سنة و لم يكن على اتّصال به و أنَّه مات دون أن يكون له أطفال ليرثوه.

رشيد: صدَّقنا الموضوع على غرابته و عزَّيناه في عمِّه و هنَّأناه بالميراث.

عبد العزيز: لقد أخبرنا أنَّه اشترى أيضا شقّة كبيرة في وسط المدينة. لكنّ الغريب في الأمر أنَّه بعد بضع أشهر من تسلُّمه الميراث بدأت حالته المالية تسوء و عاد ليطلب تسبقات على راتبه حتَّى أنَّه في الأسابيع الماضية طلب منِّي سلفة. لم أكن أفهم شيئا. هل بدَّد كامل الميراث بهذه السرعة؟ لقد كان يصرف المال بسرعة كبيرة.

المُفتّش سامي: كيف كان مزاجه في تلك الفترة؟

رشيد: لقد أصبح عصبيًّا جدًّا و كثير التَوتُّر. لم يعد له أي صبر أو رغبة في العمل.

المُفتّش سامي: هل تعتقدون أن للقتيل علاقات مشبوهة مع المستوردين، أي من نوع الرشوة؟

عبد العزيز: لم يثبت أيّ شيء ممَّا تقول. كما أنّ موظفي الجمارك و خاصة من يشغل وظيفة كوظيفة المرحوم هم محلّ شبهة دائمة و عادة ما تكون هناك مراقبة داخلية على عملهم من الرقابة الإدارية للجمارك. و لم يقع توجيه أي اتهام للمرحوم كما أنَّه يعمل في الجمارك منذ عشرين سنة تقريبا و لم يتورط قط في أيَّة قضيَّة من هذا النَّوع. إنَّ سمعته جيِّدة و هذا ما يخلق له المشاكل مع بعض المستوردين الذين يريدون التلاعب بالقوانين. لو كانت هناك و لو شبهات لتمَّ نقله لمكتب آخر للجمارك فورا.

رشيد: أستبعد ذلك أيضا فلا أظُنّ المرحوم مُتورِّطا في مثل هذه التُّهَم.

المُفتّش سامي: هل تريدون إضافة شيء آخر؟

رشيد: نحن في الخدمة للإجابة على أيَّة أسئلة أخرى.

عبد العزيز: نحن في الحقيقة لا نُصدق حتَّى الآن أن المرحوم قُتِل؟ لقد ترك فراغا كبيرا علينا فنحن نعمل معا منذ سنوات طويلة و هو بمثابة الأخ لنا.

المُفتِّش سامي: ستكون لنا لقاءات أخرى و من المحتمل أن أوجه لكم بعض الأسئلة الإضافية.

يُودعهم الضابطان و يغادران المكتب. في الأروقة يتقابلان مع الساعي "صادق". يقترب الساعي من المُفتِّش سامي و يخبره بأنَّ لديه معلومة من الممكن أن تفيد التَّحقيق.

المُفتِّش سامي: ما هي هذه المعلومة؟

الساعي صادق: لقد كان المرحوم يتردَّد في الفترة الأخيرة على فِيلاّ كبيرة في أطراف المدينة حيث كانت تُنظم الحفلات الليلية الحمراء مع ألعاب القمار و الرقص و الخمر و ما يتبعه.

المُفتِّش سامي: و من أين لك بهذه المعلومات؟

الساعي صادق: إنَّ ابن أخي أحمد يعمل في هذه الفِيلاّ و هو الذي يخدم الضُّيوف و لقد أخبرني أنَّه كان يشاهد المرحوم تقريبا كلّ ليلة على طاولة القمار.

المُفتِّش سامي: و كيف كان يعرف المرحوم؟

الساعي صادق: لقد كان ابن أخي يعمل في الميناء كعامل بسيط قبل أن يعمل في هذه الفِيلاّ و بالتَّالي كان يعرف جيِّدا المرحوم.

المُفتِّش سامي: نريد أن نستجوب ابن أخيك فلتعطي رقم هاتفه لمساعدي.

الساعي صادق: حاضر سيِّدي

المُفتِّش سامي: هل لك معلومات أخرى تريد إضافتها؟

الساعي صادق: لا يا سيِّدي أريد فقط أن أقول أن المرحوم كان طيبا و كان يعطيني البقشيش بكرم و سخاء و كان يشعر بمعانة الفقراء و الضعفاء من أمثالي. لقد كنت أحبه محبة خاصة و أنا مستعد للتعاون للكشف عن قاتله.

المُفتِّش سامي: شكرا لك يا "صادق". تأكَّد أن المجرم سيقع في أيدينا في أقرب وقت.

يركب الضابطان السيَّارة و ينطلقان بها و يسأل المُفتِّش سامي مساعده عن رأيه في ما استمع إليه من شهادات.

المساعد وليد: هناك الكثير من المعلومات المهمة التي يمكن أن تفيدنا في التَّحقيق كمصدر ثراء القتيل المفاجئ الذي يمكن أن يكون ببساطة إرثا عائليا و ليس كما ظننا.

المُفتّش سامي: لاحظ أن زوجة القتيل أكّدت لنا أن زوجها كان يرجع كلّ ليلة و معه مبلغ محترم من المال و هذا يعني أنّ حصوله على المال كان تدريجيا و ليس دفعة واحدة أمّا الإرث فكما تعلم يصرف مرَّة واحدة. كما أنّ الزّوجة لم تذكر قط هذا الإرث الغريب فمِن المفترض أنَّها أوّل من تعلم بذلك. أظُنّ أنّ القتيل اختلق قصّة هذا الإرث حتَّى يُبرِّر "مِن أين لك هذا؟". على كلّ حال يجب التّأكد من هذه النقطة و ذلك بسؤال أرملة القتيل عن إمكانية هذا الإرث. اتّصل بها في الحال لو سمحت.

يتَّصل المساعد وليد بالأرملة و تنفي أن يكون للقتيل عمّ و أن يكون قد ورث منه وتُأكِّد على ذلك كونها ابنة عمِّه و تعرف العائلة جيِّدا فلو كان هناك إرث لكان لها نصيب منه أيضا فهي وريثة شرعية مثلها مثل زوجها.

المساعد وليد: لقد تأكَّد كلامك سيِّدي، فقصّة إرث العمّ وهميّة و ليس لها أساس من الصحة.

المُفتّش سامي: إذًا بقي لنا مصدر القمار و الرشوة كمصادر ممكنة لثروة القتيل.

المساعد وليد: لدينا على الأقل الآن إثبات و شهود على أنّ القتيل كان مقامرا و يمكن لنا أن نحتفظ بهذا المصدر إلى حين التّأكد من المصدر الثاني.

المُفتّش سامي: لا تنسى أن تحدِّد لنا موعدا مع ابن أخ الساعي "صادق". ماذا كان اسمه؟

المساعد وليد: "أحمد" على ما أظنّ...(ينظر في دفتره) نعم هو كذلك "أحمد". متى تريد مقابلته؟

المُفتّش سامي: الليلة.

المساعد وليد: يبدو أنَّك مهتمّ جدًّا بهذه القضيَّة و متلهّف لحلِّها.

المُفتّش سامي: إنَّه ا قضيَّة غير عاديَّة و المجرم فيها شديد الحرص و الذكاء و لن أهنئ بالراحة قبل فكِّ رموزها.

المساعد وليد: إذا ستكون أمامنا أيَّام صعبة من العمل المتواصل. فليساعدنا الله.

تأخذ السيَّارة طريقا مختلفا عن طريق المكتب. يلاحظ المساعد وليد ذلك و يستفسر عن السبب.

المُفتّش سامي: إنَّ لدينا زيارة قصيرة يجب أن نؤدِّيها للنَّادل "سلامة". أظنُّه يبدأ عمله الآن.

المساعد وليد: نعم فالسَّاعة الآن تشير للسّادسة و النصف و هو يبدأ في السّادسة كما ذكر في شهادته.

يتَّصل المساعد وليد بأحمد الخادم في فِيلاّ القمار و يأخذ عُنوان بيته و يخبره بأنَّه سيزوره في الثامنة ليلا. تتوقف السيَّارة أمام المقهى الذي يعمل به "سلامة" النَّادل. يُراقب المُفتِّش سامي المكان لفترة ثم يستعمل منبِّه السيَّارة فيخرج النَّادل يُلقي نظرة على السيَّارة ثم ما يلبث أن يأتي مهرولا.

النَّادل سلامة: أهلا و سهلا سيِّدي. تفضّلا نُضيفكم

المُفتِّش سامي: لا داعي للضيافة فنحن هنا لطرح بعض الأسئلة فقط.

النَّادل سلامة: أنا في الخدمة سيِّدي

المُفتِّش سامي: لقد قلت في شهادتك أنَّك رأيت وقت الحادث عامل نظافة يكنس الشارع.

النَّادل سلامة: نعم سيِّدي رأيته بكلتا عيني مثلما أراك تماما الآن.

المُفتِّش سامي: ما رأيك لو أخبرتك أنَّ البلدية تنفي أن يكون لديها أيُّ عامل نظافة يعمل في هذه المنطقة بعد السَّاعة الثامنة ليلا و تعلم أن الحادث وقع عند منتصف الليل. هل كنت تتعاطى مستحضرات ممنوعة تُفقِد العقل؟

النَّادل سلامة: لا يا سيِّدي معاذ الله. أنَّني إنسان مستقيم و أخاف الله و لا أقترب من الحرام إطلاقا. أُؤَكد لك أنَّني رأيته بأُم عيني و أنا لا أشك و لو للحظة في ذلك و ليس لي أيَّة مصلحة في أن أكذب عليك.

المُفتِّش سامي: كيف تفَسر إذا قول البلدية؟

النَّادل سلامة: لا أدري و الله. ليس لديّ أيّ تفسير.

المُفتِّش سامي: قلت أنَّك رأيت عامل النظافة جيِّدا فهل لك أن تصفه لي وصفا دقيقا: ماذا كان يلبس ماذا كانت أدوات عمله، هل كان طويلا أم قصيرا... كلّ ما تتذكَّره بكُلُّ التفاصيل.

النَّادل سلامة: دعني أسترجع ذاكرتي...نعم لقد كان طويل القامة و سريع الحركة. لاحظت أنَّ ملابس البلدية التي كان يرتديها جديدة و كذلك الأمر بالنسبة للمكنسة و العربة التي يجمع فيها النّفايات. هذا كلّ ما أذكره سيِّدي فالوقت كان متأخرا و الحادث أخذ كلّ تركيزي في ذلك الوقت.

المُفتِّش سامي: جيِّد يا "سلامة". عُد إلى عملك و إذا تذكَّرت أي شيء يمكن أن يفيد التَّحقيق و لو كان بسيطا اتّصل بي على رقمي هذا (و يسلِّمه بطاقة زيارة)

النَّادل سلامة: حاضر سيِّدي كن واثقا من ذلك.

يودع المُفتِّش سامي النَّادل و ينطلق بالسيَّارة نحو المكتب.

المُفتّش سامي: سجل عندك يا وليد. اتّصل غدا بالبلدية و تأكَّد إن وَزَّعت بُدْلات جديدة على عمَّال النظافة أم لا و إذا كان كذلك فهل من بين هؤلاء العُمَّال طويلي القامة؟ إن كان بينهم طويلي القامة استدعهم غدا لاستجواب؟

المساعد وليد: بماذا تفكر سيِّدي؟

المُفتّش سامي: لكلِّ جريمة ركن مادي فلا يمكن لأي جريمة أن تقع بدون استعمال أشياء أو أشخاص أو أدوات فإذا تعذّر الوصول للمجرم عن طريق التَّحقيق مع المشتبه بهم فالتدقيق في ركن الجريمة المادي يمكن أن يوصلنا للمجرم. واضح من خلال شهادة النَّادل أنَّه واثق تماما بمشاهدته لعامل نظافة وقت الجريمة و في مسرحها. كان هذا العامل يرتدي بدلة البلدية الخضراء المميزة و كانت جديدة. فإمَّا أن يكون أخذها من البلدية و في هذه الحالة يكون أحد عمَّال البلدية أو على علاقة بهم و يسهل الوصول إليه و إمّا أن يكون اشتراها من نفس المحل الذي يبيع هذه النَّوعية من البدل للبلدية و في هذه الحالة يمكن الوصول إلى هذا العامل الغريب لأنّ الذين يشترون هذه البدل يطلبون عادة كميات كبيرة منها و ليس بدلة واحدة و بذلك يمكن لصاحب المحل أن يصف لنا هذا العميل لأنه غريب و سيتذكره حتما.

المساعد وليد: نعم تحليل منطقي جدًّا و هذه بداية خيط مهمٍّ يمكن تتبعها.

المُفتّش سامي: في الكثير من الجرائم الكبيرة و محكمة التدبير تسببت جزئيات بسيطة جدًّا في الكشف عن المجرم. لا تنسى أنّ عامل النظافة طويل القامة و هذا يمكننا من حصر دائرة بحثنا و هي معلومة يمكن أن تفيدنا.

المساعد وليد: سآتيك غدا بالخبر اليقين. اعتمد عليّ في ذلك.

المُفتّش سامي: متى أخذت الموعد مع أحمد؟

المساعد وليد: السَّاعة الثامنة أي بعد ساعة من الآن تقريبا.

المُفتّش سامي: و ما هو العُنوان؟

المساعد وليد: إنَّه يسكن في المدينة القديمة و سنتقابل معه في مقهى صغير أعرفه جيِّدا قرب سور المدينة الشرقي.

المُفتّش سامي: إذًا ليس لدينا الوقت الكافي للعودة للمكتب مع زحمة الطريق في ساعة الذروة هذه. لننطلق مباشرة للموعد.

يُغيِّر المُفتّش سامي اتِّجاهه و يصمت لفترة. يستغرب مساعده هذا الصمت و يحاول أن يستدرجه للحوار.

المساعد وليد: فيما تفكر سيِّدي؟

المُفتّش سامي: أريد أن أُكوِّن صورةً واضحة عن شخصيّة القتيل. أريد أن أعرف كيف كان يعيش و يفكِّر فهذا سيساعدنا حتما في حلِّ الكثير من الألغاز المحيطة بهذه القضيَّة.

المساعد وليد: لاحظت أنّ هناك تناقضات كثيرة في شخصيته فهو في نفس الوقت ذكي، يعمل بجدٍّ، يرفض الرشوة و قريب من النّاس و محبوب عندهم و من جهة أخرى مقامر، على علاقة غير شرعية بامرأة، دائم التذمُّر من وضعه و من عمله و حياته.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا هذا ما أفكّر فيه بالضبط. كيف لهذه التناقضات أن تسكن رجلا واحدا؟ تقول زوجته أنَّهما تزوجا زواجا تقليديا عائليا و سكنا مع والِدي القتيل حتَّى توفيا في حادث طائرة عند عودتهما من العمرة. هذا يدلُّ على أنَّ القتيل كان يعيش وفق التقاليد و تحت السلطة الأبوية و العائليَّة و أنَّ أكثر الأمور المُهمَّة في حياته كانت تُقَرر بدلا عنه فلم يكن يُقرِّر لنفسه أو يختار أي أنَّه لم يعش كما يريد و هذا حسب رأيي ولَّد لديه رغبة كبيرة في التَّمرد على كلّ هذه القواعد كما أنَّه يتصور أنَّ حياته تعيسة و أنَّ الحياة السعيدة تكون بالخروج من هذه الحلقة الضيقة.

المساعد وليد: هل هذا ما يفسِّر تغيُّره المفاجئ حسب رأيك؟

المُفتّش سامي: نعم لقد تغيَّر كليا في الفترة الأخيرة. لقد تمرَّد على زوجته، على التعاليم الدينية، على الأخلاق السائدة و التي نشأ عليها و قرَّر أن يجرِّب كلّ المحرمات بنفسه. لقد انفجر القتيل نفسيا و سلوكيا لكنَّه في نفس الوقت لا يمكن أن يتخلَّص من ذاته كلّها فالأكيد أنَّ سمات شخصيته الأصلية و التي لازمته لأكثر من أربعين سنة تبقى حاضرة في عقله و لا وعيه و هذا ما يفسّر التناقض في تصرفاته. أظُنّ أيضا أنَّه يعيش مراهقة متأخرة فإنّني أكاد أجزم أنَّ أول امرأة تعرف عليها في حياته هي ابنة عمه و لمسها للمرة الأولى بعد الزواج. لقد أراد التعويض عن الحرمان الذي كان يشعر به لكن انفجاره كان كبيرا و أدّى لمقتله فلم يكن مستعدا جيِّدا لذلك و لم يكن قادرا على التعامل مع الشخصيّة والحياة الجديدة.

المساعد وليد: تحليل نفسي منطقي لكنَّني لا أعتقد أنَّه سيفيدنا في التَّحقيق.

المُفتِّش سامي: تأكَّد أنَّ ذلك سيفيدنا جِدًّا. ثِق بي.

☒ الأربعاء ١٠ يناير السَّاعة الثامنة أمام مقهى في المدينة العتيقة

يصل المفتِّش و مساعده إلى المقهى المُتّفق عليه. يترجلان و يدخلان. المقهى يعُج بالزبائن و دخان السجائر يملأه تماما كالضجيج الكبير. يسألان النَّادل عن "أحمد" فيُشير لطاولة في أحد أركان المقهى و يعلمهما أنَّه في انتظارهما منذ ربع ساعة تقريبا. يبادران بتحيته و يدعوهم للجلوس. يطلب من النَّادل فنجانين من القهوة للضيوف.

الشاهد أحمد: لقد أعلمني عمِّي أنَّكما تحققان في قضيَّة "حسين مالك" و أنَّكما تريدان معلومات حول سهرات القتيل في الفِيلاّ التي أعمل بها.

المُفتِّش سامي: هذا صحيح. و نود أن تخبرنا بكُلُّ شيء تتذكَّره و يخطر على بالك و أن تكون متعاونا معنا.

الشاهد أحمد: تأكَّد من ذلك سيِّدي فأنا أُكِنُّ مَعزَّة خاصة للمرحوم "حسين". لقد كان إنسانا يشعر بمعاناة الآخرين و يحاول مساعدتهم و أنا على أتمِّ الاستعداد لكشف الجناة.

المُفتِّش سامي: كيف و متى تعرَّفت على القتيل؟

الشاهد أحمد: لقد انقطعت عن الدراسة منذ سنوات طويلة عند إخفاقي في الثانوية العامة التي لم أُوفّق في اجتيازها رغم أنَّني أعدتها لثلاثة مرات. بحثت على عمل في كلّ مكان. قدّمت مطالب عمل في عدد كبير جدًّا من الشَّركات الخاصة و الإدارات الحكومية لكن دون جدوى فالوظائف صعبة المنال. كلّ مرَّة يُرفض طلبي و ذلك بسبب ضعف مستواي التعليمي و افتقادي للشهادات. لكن كما ترى فهذه المقهى ملآنة بالشباب العاطل عن العمل و منهم الكثير من أصحاب الشهادات العليا من أساتذة و مهندسين و حتَّى أطباء. الكلّ يبحث عن عمل و لكنّ الأمل يتضاءل تدريجيا و البعض قد استسلم لحياة العبثية الفارغة منذ سنين و فقدَ أيّ إحساس بالوقت أو أمل في المستقبل. بقيت لسنوات طويلة أبحث عن عمل بدون جدوى حتَّى تعكّرت حالتي الماديَّة و النفسية فأنا من عائلة ضعيفة الدخل و أبي متقاعد و معاشه لا يكفي مصاريف البيت. بدأ اليأس يتملكني حتَّى عرض عليَّ عمي أن أعمل في الميناء كعامل يومي و ذلك بصفة مؤقتة إلى أن تتحسن الأمور. لم يكن لديّ بد من الموافقة فأصعب شيء على الرَّجل أن تكون جيوبه فارغة. قبلت بالعمل رغم عدم اقتناعي به. لقد تدخّل المرحوم ليتمَّ توظيفي في مخازن الميناء كعامل يومي. كان يُهوِّن عليَّ تعب العمل و مشقّته و كان يطلب من إدارة

المخازن في كثير من الأحيان أن أرافقه في جولات المعاينة التي يقوم بها في الميناء حتَّى يريحني و لو لبضع الوقت من عمل المخازن. كان لطيفا معي و مراعيا لنفسيتي شبه المنهارة و كنت أقدِّر له ذلك جدًّا.

المُفتّش سامي: لماذا تركت الميناء إذا؟

الشاهد أحمد: لقد تآمر عليّ بعض زملائي الذين لم يكن يعجبهم أن أُعامل معاملة خاصة و كانوا دائمي التهكم عليّ على اعتبار أنَّني درست حتَّى الثانوية العامة ثمّ عملت معهم و مثلهم في حين أنّهم لم يتعلموا قط. إنّ حياة الميناء صعبة و العُمَّال فيها يتميزون بالقسوة. بدأت تدهور الأمور رغم محاولاتي التقرّب منهم فزعيم العُمَّال كان جِلفا، قاسيا، يحمل في نفسه حقدا و كرها كبيرين على المجتمع و المتعلِّمين خاصة و لا يتورَّع في إيذاء الآخرين حتَّى أنَّ بقية الزملاء كانوا يسعون لتجنب شره و عدم إثارة غضبه. منذ ستَّة أشهر تقريبا و في يوم تجاوز حدوده معي، لم أشعر بنفسي إلاّ و أنا أُطبق على رقبته و بقية الزملاء يحاولون تخليصه مني. لم أكن واعيا بما كنت أفعل و لو لم يتدخّلوا لكنت قتلته. لم أكن أخنق الرَّجل الشرير فقط بل كنت أخنق كلّ الظروف القاسية، الظلم، البطالة، الفقر، الشرّ، اليأس... على كلّ حال اكتفوا بطردي من العمل و تدخّل المرحوم لكي يتم إيقاف التتبع القضائي ضدي. خرجت بأخفِّ الأضرار لكنَّني رجعت للبطالة. بعد يومين من الحادثة زارني عمِّي في البيت و أعلمني أنَّ المرحوم يريد مقابلتي لأمر هام. زرته في اليوم الموالي في مكتبه بالميناء و أخبرني أنَّ لديه أصدقاء يبحثون على خادم أمين و بمستوى ثقافي جيِّد و يجيِّد اللغة الفرنسية حتَّى يخدم ضيوفهم في السهرات التي يقيمونها و أنَّه رشّحني لهذه الوظيفة. أقنعني بأنَّ العمل كخادم في فِيلاّ فخمة أهون بكثير من العمل في الميناء. على الأقل سأستمتع بالأكل و الشرب الجيِّد إضافة للبقشيش و الوجوه الجميلة التي سأتعامل معها. قبلت دون تردد الوظيفة الجديدة و رافقته في نفس الليلة للفيلا حيث قدّمني لصاحبها و بدأت العمل فورا.

المُفتّش سامي: من كان صاحب الفِيلاّ؟ و أين تقع؟

الشاهد أحمد: كان صاحبها فرنسي الجنسية يقيم ببلدنا منذ وقت طويل. اسمه "فيليب بارتران" و هو يعيش فيها رفقة زوجته مدام "إيزابال". اسم الفِيلاّ "وردة الرمال" و هي تقع جنوب المدينة على بعد عشرة كيلو تقريبا.

المُفتّش سامي: صف لي الفِيلاّ بدقة.

الشاهد أحمد: تقع الفِيلاّ في مكان شبه خالي من المساكن. تُطِلّ مباشرة على البحر و هي مرتفعة بعض الشيء على مستوى البحر. الأرض التي بنيت عليها الفِيلاّ كبيرة، تحتوي إلى جانب مبنى الفِيلاّ، على

مخزن، مأوى كبير للسيَّارات، ملعب لكرة المضرب، حمّام سباحة، إسطبل للخيول و عدد كبير من الأشجار المثمرة و الياسمين كما يحيط بالفِيلاّ العشب من كلّ جهة. أنّها جنّة بالفعل. تصميمها و كلّ الأدوات المستعملة في بناءها فرنسية. لقد استغرق بناءها و تجهيزها سنتين كما أعلمني المرحوم. أمّا كلفتها فكانت خيالية.

المُفتّش سامي: كيف هي الفِيلاّ من الداخل؟

الشاهد أحمد: الفِيلاّ مكونة من دور أرضي وطابق أول. في الدور الأرضي توجد قاعة كبيرة للحفلات و المطبخ و بعض الغرف كالمكتب و غرف الخدم... أمّا الطابق العلوي فهو مخصّص لغرف النوم و الاستراحة.

المُفتّش سامي:هل لك أن تصف لنا ماذا كان يجري هناك كلّ ليلة.

الشاهد أحمد: كنا نُعدِّ كلّ يوم الفِيلاّ لاستقبال الضُّيوف و عند المغرب يبدءون بالقدوم. يستقبلهم صاحب البيت و زوجته و يجلسون مجموعات، قليلة العدد، كلّ مجموعة في ركن من أركان الفِيلاّ و كأنّهم يطلبون في ذلك العزلة و السرِّية. كنّا نُقدِّم لهم بعض المشروبات المفتحة للشهية في حين يتكلمون في مواضيع تخصُّ العمل كالصَّفقات و المناقصات. كنت أسترق في بعض الأحيان بعض العبارات و الأرقام. كانوا يتحدثون عن ملايين الدولارات و كنت أشعر أنَّ لهؤلاء النّاس عالما مختلفا كلّ الاختلاف عن عالمنا. كانوا لطيفين معي و كثيرا ما يعطونني البقشيش بسَخاء. مع السَّاعة التاسعة تقريبا يزداد عدد الضُّيوف و نبدأ بتقديم الأكل لمن يطلبه و تبدأ طاولات القمار قي اللعب. في بعض الأحيان يشارك بعض العازفين في هذه الحفلة فيعزفون الموسيقى و هناك من يرقص و هناك من يستمع و هناك من لا يُعير الموسيقى أي اهتمام.

المُفتّش سامي: ما هو النّشاط الأساسي في هذه السهرات؟

الشاهد أحمد: ليس هناك من نشاط رئيسي فكُلُّ مجموعة من الضُّيوف تفعل ما بدا لها: قمار، شرب، رقص، كلام و نقاشات، حب و غرام... كلّ شيء جائز في هذه السهرات حتَّى أنّني لاحظت البعض يدخِّن الحشيش.

المُفتّش سامي: ما هي طبيعة الضُّيوف؟ أي من أيَّة فئة هم؟

الشاهد أحمد: هم من رجال الأعمال و السياسة و الموظفين الهامين في الدولة و من أهم الشخصيات في البلاد. كنت أقابل شخصيات أعرفها و أخرى أسمع عنها فقط. لقد كان من بين الضُّيوف وزراء

سابقين و رجال أعمال مشهورين هذا بالإضافة للفنانين المحلين و الأجانب الذين كانوا ينشطوا الحفلات.

المُفتّش سامي: هل كان نفس الضُّيوف يأتون كلّ ليلة أو أنَّ حضورهم لم يكن منتظما؟

الشاهد أحمد: كان أكثر الضُّيوف يأتي بصفة غير منتظمة لكن بعضهم كان دائم الحضور و خاصة لاعبو القمار الذين لا يمنعهم أي شيء عن الحضور كلّ ليلة.

المُفتّش سامي: ماذا كان وضع "حسين مالك" داخل هذه البيئة؟ أي كيف كانوا يتعاملون معه؟ من كان أصدقائه و المقربين منه؟

الشاهد أحمد: في بداية عملي في الفيلاّ كان يُعَامَل المرحوم مُعامَلة خاصة فصاحب البيت و زوجته يستقبلانه في الباب و يرحبان به و يجلسان معه طويلا. كانا يقدمانه للضيوف المهمين. كان حقيقة شخصا مرغوبا فيه. و كان يجلس دائما مع نفس المجموعة يلعب معهم القمار و يشرب و يتحدث. كان منهم رجل فرنسي أظُنّ أنَّه يدعى "إيف". البقية كانت أسماءهم عماد، برهان، سليم و المُنصِف. كان يَنْضَم إليهم في بعض الأحيان أشخاص آخرون و لكن المجموعة المستقرة تتكون من الأشخاص الذين ذكرتهم لك الآن.

يسجل المُفتّش سامي الأسماء و المعلومات التي يُدلي بها أحمد في دفتره الصغير.

المُفتّش سامي: هل كان القتيل ساهرا في الفيلاّ ليلة الحادثة أي في الليلة الفاصلة بين الثلاثاء و الأربعاء؟

الشاهد أحمد: أجل لقد كان ساهرا في الفيلاّ و قد غادرها قبيل منتصف الليل بعد مُشادَّة كلامية مع المجموعة التي كان يلعب معها و مع صاحب البيت؟

المُفتّش سامي: أيُّ نوع من المُشَادات كانت؟

الشاهد أحمد: لم أكن حاضرا من البدايَة فقد كنت أوصل بعض المشاريب لعاشقين في الدَّور العلوي. عند نزولي لاحظت أنَّ المرحوم كان واقفا و يتكلّم بعَصبِيَّة مع صاحب البيت. لقد فهمت أنَّه طلب أن يُقرِضوه المال ليواصل اللعب لكن صاحب الفيلاّ "فيليب" رفض و قال أنّ ديونه صارت كثيرة و من الأجدر أن يتوقّف عن اللعب.

المُفتّش سامي: كيف كانت ردّة فعل القتيل؟

الشاهد أحمد: لقد رفض ذلك بشدة و لَمّح بتهديد لم أفهم معناه جيِّد ا

المُفتّش سامي: أيُّ تهديد؟ هلاّ ركّزت و تذكَّرت ما قال بالضبط؟

الشاهد أحمد: لقد هدد بأن يكشف كامل اللعبة إن لم يحصل على المال المطلوب و فورا و قال بالحرف "عليّ و على أعدائي"

المُفتّش سامي: ماذا حصل بعدها؟

الشاهد أحمد: لقد تدخّل "سليم" و هدّأ المرحوم و وعده بأنّه سيقرضه كلّ المال المطلوب. جلس المرحوم و لعب دورين أو ثلاثة ربح خلالها الكثير من المال ثم انصرف.

المُفتّش سامي: هل كانت هذه الحادثة الوحيدة التي لاحظتها أم كانت هناك سابقات لها؟

الشاهد أحمد: لقد بدأت الأمور تسوء بين المرحوم و أصحاب البيت و أصدقاءه منذ حوالي شهرين فقد بدأ يخسر الكثير من الأموال كلّ ليلة على عكس الأشهر السَّابِقة التي كان يربح فيها تقريبا كلّ ليلة. لم يعد أصحاب البيت يستقبلانه شخصيا و يوليانه نفس الاهتمام كما في السابق. لقد أصبح يُثقِل في الشرب و تقع بعض المُشادات خاصة على طاولة القمار لكنّ الأمور ما تلبث أن تهدأ. لكن مشادة ليلة الحادثة كانت عنيفة.

المُفتّش سامي: هل لاحظت تغيرا آخر؟

الشاهد أحمد: نعم في الأشهر الأولى كان يأتي عند المغرب و يجتمع بأصدقائه، بصاحب البيت و في بعض الأحيان بأجانب آخرين لكن توقّف ذلك في الشهرين الأخيرين فلقد صار يأتي متأخِّرا للعب القمار و يغادر الفِيلاّ في ساعة متأخرة أيضا.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. نكتفي بهذا القدر من المعلومات اليوم و نلتقي في وقت لاحق لمزيد التَّحقيق. لكنَّني أطلب منك أن تواصل العمل في الفِيلاّ دون أن تذكر أي شيء حول التَّحقيق أو مقابلتنا هذه كما أريدك أن تكون عيننا هناك و تنقل لنا كلّ ما يقع و يمكن أن تكون له علاقة بالمرحوم أوّلا بأوّل و هذه أرقامي و أرقام مساعدي. نرجو مساعدتك لنا في هذه القضيَّة.

الشاهد أحمد: ثِق بي فكما قلت لك لا شيء يهمُّني الآن أكثر من كشف المجرم و نيله العقاب الذي يستحق فالمرحوم كان عزيزا عليّ.

يودع الضابطان أحمد و ينطلقان بسيارتهما. السَّاعة تشير للتاسعة.

المساعد وليد: يبدو أنَّ الأمور معقدّة أكثر ممَّا كنّا نظن

المُفتّش سامي: نعم. شهادة أحمد فتحت مجالا جديدا و هامّا في التَّحقيق و أظنُّني سأُرَكِّز عليه بصفة خاصة.

المساعد وليد: لدينا الآن تأكيد تام بأنّ القتيل كان مقامرا مدمنا على القمار و ذلك بتقاطع شهادة أحمد، زملاءه في العمل و زوجته. هناك أيضا مسألة المشادة الكلامية ليلة الحادث و التي يمكن أن تكون دافعا كافيا لجريمة القتل. كما أن تهديد القتيل بكشف كامل اللعبة دليل على تورط الجميع في عمليَّات مشبوهة أي غير قانونية.

المُفتّش سامي: تحليل جيِّد لكني لا أوافقك في أنَّ المشادة الكلامية هي الدافع وراء الجريمة فكما تعلم أنَّ تنفيذ الجريمة كان نتيجة تخطيط و ترصد و مراقبة لتنقلات القتيل أي كان كمينا أما القتل بسبب المشادة الكلامية فلا بد أن يكون رد فعل أي عمل انفعالي غير مخطط و مدبر. من الأكيد أنَّ قرار قتل الضَّحية و التخطيط له كان سابقا للمشادة.

المساعد وليد: نعم لقد فاتتني هذه النقطة.

المُفتّش سامي: لا عليك فلقد أثرت أهم نقطة إلى حد الآن في هذا التَّحقيق.

المساعد وليد: و ما هي؟

المُفتّش سامي: القتيل هدد بأن يفضح أمرا ما و قال "علي و على أعدائي" أي أنَّه مُتورِّط مع الآخرين في هذا الأمر. فما تراه أن يكون؟

المساعد وليد: أكيد أنَّه عمل مشبوه و أرجح علاقته بالجمارك فيمكن أن يكون مخدِّرات ، خاصة و أنَّ المخدِّرات كانت حاضرة في سهرات الفيلاّ.

المُفتّش سامي: هذا جائز فصفقات المخدِّرات تقدر بالملايين. ثم أنَّ هناك نقطة مُهِمَّة و لا أدري إن انتبهت إليها أم لا.

المساعد وليد: و ما هي؟

المُفتّش سامي: يقول أحمد أنَّ زوار الفيلاّ هم رجال الأعمال، رجال السياسة، الموظفون الكبار في الدولة و بعض المشاهير أما ''حسين مالك'' فلا ينتمي لأي من هذه الفئات. إنَّه موظف صغير، نكرة و فقير. الاستفهام الذي يحيرُّني هو لماذا يرحبون به ضمن هذه المجموعة من الضُّيوف المهمين؟ فكما تعلم أنَّ هذه السهرات ليست بريئة و مجانية أنَّها مواصلة للعمل في المكاتب. خلال هذه السهرات تعقد صفقات و تحل خلافات و تولد تحالفات إذا لا بد و أنَّ وجود القتيل كان لمصلحة ما و قد تكون هذه المصلحة مشبوهة تورَّط فيها القتيل و آخرون معه.

المساعد وليد: أظُنّ أنَّ وظيفة القتيل كمسؤول عن معاينة الحاويات المستوردة هي سبب استقباله في الفيلاّ كشخصيّة مُهِمَّة.

المُفتّش سامي: فلنبني الفرضية التّالية: هناك عمليّات مشبوهة لها صلة بتهريب بضاعة ممنوعة من الميناء (مخدِّرات على الأرجح) و قد تورط فيها القتيل بحكم وظيفته. هذه العمليّات المشبوهة مكنت القتيل من الحصول على قدر كبير من الأموال اشترى ببعضها السيَّارة و الفِيلاّ و خسر بعضها في لعب القمار حتَّى أنَّه صار مفلسا في آخر أيامه. و قد كانت سهرات الفِيلاّ هي مكان إجراء الاتِّفاقيات و التفاهم على تفاصيل العمليَّات كما أنَّ شركاء القتيل المحتملين في هذه العمليَّات هم صاحب الفِيلاّ بحكم أنَّه كان راعي لهذه السهرات و غالبا ما يكون على علم بكُلُّ ما يجري و يتحصل على عمولته منها، و بعض ضيوف الفِيلاّ و خاصة شركاء القتيل في لعبة القمار.

المساعد وليد: هذه نظرية ممكنة لكن لماذا ساءت العلاقة بينهم و بين القتيل إلى حد أن يفكروا في قتله؟

المُفتّش سامي: لقد ذكر لنا أحمد أنَّ القتيل كان يأتي للفيلا عند المغرب في البدايَة . و كان يجتمع بصاحب البيت و بعض الشخصيات الأخرى للاِتِّفاق على أمور مُعَيَّنة و كان صاحب الفِيلاّ و زوجته هما اللذان يستقبلانه بكُلُّ حفاوة.

المساعد وليد: و ما الغريب في ذلك؟

المُفتّش سامي: لقد كان الجميع في البدايَة في حاجة لخدمات "حسين مالك" و تعاونه حتَّى يتم التهريب و فرشوا له البساط الأحمر و عُومِل كشخصيّة هامَّة و بِدَهاء شديد حتَّى يُمكِّنهم من بُغيتهم. لقد كانت زياراته في البدايَة للاِتِّفاق على التفاصيل بدليل أنَّها كانت تقع عند المغرب أي قبل وصول بقية الزوار و قبل بدء الحفلة.

المساعد وليد: تقصد أنَّ معاملتهم تغيَّرت بعد أن حققوا ما أرادوا من القتيل و لم يعد مفيدا بالنسبة لهم.

المُفتّش سامي: نعم هذا صحيح. منذ ستة أشهر نفذ القتيل مع باقي أفراد العصابة العمليَّات المشبوهة و التي استمرت لأربعة أشهر كاملة بدليل أنَّ في الشهرين الأخيرين لم يعد القتيل يأتي عند المغرب أي أنَّه لم يعد هناك أشياء تتطلب الاجتماع و التفاهم. لقد أصبحت زياراته للمتعة و لعب القمار فقط. لقد تغيَّرت طريقة المعاملة مع القتيل ليس فقط بسبب أنَّه أصبح غير مفيد بل لأنه أصبح يثير المشاكل بسبب إدمانه على القمار و خسارته المتكررة. ربَّما أصبح يطلب الكثير من المال أكثر حتَّى مِمَّا وعدوه به.

المساعد وليد: إذا تمَّ قتله حتَّى يدفن سر صفقات التهريب معه و لا تكون هناك أيَّة خطورة من ناحيته. لكن الشيء الغريب هو أسلوب القتل الغير معتاد من عصابات المخدِّرات . فعادة ما يستعملون الأسلحة النارية أو المتفجرات لتصفية حساباتهم الدَّاخليَّة.

المُفتّش سامي: ملاحظة في محلها و تفسيرها هو أنَّ العصابة لا تود أن تثير أي شبهات حول مقتل ''حسين مالك'' فكون الجريمة تفهم على أساس أنَّها حادث مرور عادي يُبعِد الأنظار عنهم فالتَّحقيق سيُقفل بسرعة و أهل القتيل يقبلون بالقضاء و القدر و لا تكون هناك أيَّة تتبعات.

المساعد وليد: و هذا ما كان سيحصل بالفعل لولا تفطُّنك لمسألة التواجد الغريب لعامل نظافة في وقت و مسرح الحادثة و انفجار العجلات الخلفية الغريب.

المُفتّش سامي: نعم لقد كادت حيلتهم أن تنطليَ علينا و نسجِّل الجريمة كحادث مرور عادي و تُحفظ القضيَّة للأبد لكنَّ الله أراد غير ذلك.

المساعد وليد: إذًا كيف سنتعامل مع هذه المعلومات الخطيرة الجديدة؟

المُفتّش سامي: لا بد و أن نعمل على خطّين متوازيين أوَّلهما مراجعة كلّ عمليَّات الاستيراد التي وقعت بين ستة أشهر و شهرين مضت و محاولة التعرف على العمليَّات المشبوهة. ثانيهما أن نبدأ بالتعرف على الفيلاّ و روَّادها و أفراد العصابة المحتملين. أريد منك في الغد صورة من سجلِّ كافَّة عمليَّات التَّوريد في الفترة المذكورة من إدارة الجمارك كما أريد كلّ وثائق القتيل التي كانت معه حتَّى أفحصها كما يجب تفتيش بيت القتيل و مكتبه علَّنا نجد ما يفيدنا

المساعد وليد: هل لديك خطة لمعرفة رواد الفيلاّ؟

المُفتّش سامي: قم باستصدار أمر لمراقبة الفيلاّ مراقبة سرية على مدى الأربع و العشرين ساعة. استعن بكاميرا لتصوير كلّ الضُّيوف عند وقوفهم عند البوابة الخارجية من دون أن يتفطنوا لكم طبعا. نسِّق مع أحمد في التعرف على أصحاب الصور. سجِّل لديك أرقام لوحات سيَّارات الضُّيوف و تعرَّف على هوية أصحابها في إدارة المرور.

المساعد وليد: يلزمني الكثير من الوقت للقيام بكُلُّ ذلك.

المُفتّش سامي: استعن بالمساعد أشرف

المساعد وليد: فليُعِنّا الله على ذلك و لتكن نهايتهم قريبة.

المُفتّش سامي: لا بد لنا أن نستعين أيضا بإدارة مكافحة المخدِّرات و التنسيق معهم فأكيد أنَّ لهم معلومات يمكن أن تفيدنا و مع قليل من الحظ يكون بعض الضُّيوف المشبوه بهم من أصحاب سوابق في تهريب المخدِّرات .

المساعد وليد: هل اتّصل غدا بإدارة المخدِّرات للتنسيق معهم؟

المُفتّش سامي: لا. سأستعمل علاقاتي مع أحد الضباط هناك و هو صديق قديم لي. يجب أن نعمل بسرية تامة فالخبر يمكن أن يصل للعصابة و نخسر عنصر المفاجأة. سيكون التنسيق غايَة في السرِّية. بلِّغ هذه الرسالة للمساعد أشرف أيضا. إنّ عصابات المخدِّرات شديدة الحرص و لها أذناب في كلّ الإدارات و ربَّما يكون لها ذنب في المباحث الجنائيَّة. لذلك لا أريد أيَّ تسريب للمعلومات أو حديث و لو مع الزملاء في الإدارة كما أنَّني سأستغني عن اللوحة التي أستعملها لفك رموز القضايا. أوصيك أيضا بالاحتفاظ بكُلِّ الوثائق التي تهمُّ القضيَّة في درج مقفل جيِّدا بالمفتاح.

المساعد وليد: عُلِم سيِّدي و سيُنفَّذ. كن مطمئنا من هذه الناحية فلا أنا و لا المساعد أشرف سنتسبَّب في تسريب معلومات حول القضيَّة.

يطلب المساعد وليد من المُفتِّش سامي أن يُنزِله عند مطعم معروف في وسط البلد فهو لا يزال أعزبا و لا خبرة له بالطبخ.

ينزل المساعد وليد و يتواعد مع المُفتِّش سامي في الغد.

☒ الخميس ١١ يناير الثامنة والنصف صباحا بالمباحث الجنائيّة.

يُعلِم المساعد وليد زميله أشرف بتطورات القضيَّة و يوصيه بالتكتم الشديد و الحرص على سرية التَّحقيق. في الأثناء يدخل المُفتّش سامي للمكتب. يبادر بتحية الحاضرين و يجلس على مكتبه. يأتي الساعي راضي بقهوة المُفتّش كالعادة. يطلب منه المُفتّش سامي أن يمسح اللوحة و أن يرجعها للمخزن. ينفِّذ الساعي راضي الأمر و ينصرف. يشرب المُفتّش سامي قهوته بسرعة على غير عادته و يلتفت للمساعد وليد.

المُفتّش سامي: هل أخبرت المساعد أشرف بضرورة التكتم على أسرار التَّحقيق؟

المساعد وليد: نعم سيِّدي لقد فرغت للتَّو من ذلك.

المُفتّش سامي: أيُّها السادة نحن بمواجهة عصابة خطيرة يمكن أن تكون لها عيون في كلّ مكان حتَّى هنا في المباحث الجنائيَّة كما أنَّ يدها طويلة و تقدر أن توقع الضرر بأيِّ شخص مهما علا منصبه و لذلك يجب أن نعمل في سرية تامة و لا نسرِّب المعلومات حتَّى و لو لزملائنا. لا تستعملوا الاتِّصالات الهاتفية إلاّ في ما ندر و للضرورة القصوى و خاصّة هاتف المكتب فيمكن أن يكون أحد المتعاونين لهذه العصابة يتصنَّت على اتِّصالاتنا. لا أريد أن أوتِّر أعصابكم أو أن أخيفكم لكن الحرص واجب في مثل هذه التَّحقيقات. هل هذا مفهوم للجميع؟

المساعد أشرف: مفهوم سيِّدي.

المُفتّش سامي: هل أحضرت وثائق القتيل يا أشرف؟

المساعد أشرف: نعم سيِّدي هذه هي. هذا الكيس يتضمن كلّ الوثائق التي كانت بحوزة القتيل أثناء الحادث.

يُفرِغ أشرف محتويات الكيس على مكتب المُفتّش سامي.

المساعد أشرف: هذا دفتر شيكات و الواضح أنَّ القتيل كتب ثلاثة شيكات بمبالغ كبيرة في الأسبوعين الأخيرين. و بالتثبت في حسابه البنكي فقد تبيَّن لنا أنَّ حسابه شبه فارغ إذًا فهذه الشِّيكات بدون رصيد.

المُفتّش سامي: من هم المستفيدون من هذه الشِّيكات؟

المساعد أشرف: لم يذكر المستفيد. فقط كان يكتب المبلغ في عَقِبِ كلّ شيك. يبدو أنّه كان مستعجلا.

المُفتّش سامي: اتّصل بالبنك و اسألهم إن قُدِّمت هذه الشّيكات للبنك في الفترة الأخيرة؟ و من المستفيد منها؟

المساعد أشرف: لقد فعلت سيِّدي. لكن لدهشتي الكبيرة فلم تُقَدَّم أيٌّ من هذه الشّيكات للبنك. كأنَّ المستفيد لا يريد صرف ماله.

المُفتّش سامي: أو أنّه يعلم بأنَّ حساب القتيل فارغ و ليس لهذا الأخير بقيَّة من العمر لسداد ديونه.

المساعد أشرف: أتقصد أنَّ المستفيد هو نفسه القاتل؟

المُفتّش سامي: نعم، كما أنَّ المبالغ المكتوبة في الشّيكات لا تُمثِّل أيّ شيء مقارنة بحجم ثروات المستفيد أو المستفيدين. على كلّ حال سجِّل أرقام الشّيكات و مبالغها في محضر التّحقيق فهي قرينة قد تساعدنا في إدانة المجرم.

المساعد أشرف: هناك أيضا مجموعة كبيرة من بطاقات الزيارة و قد صنّفتها لثلاثة مجموعات: موظفي الجمارك، مسئولي الشَّرِكات المستورِدة و أخيرا متفرِّقات.

يفحص المُفتّش سامي بطاقات موظفي الجمارك و لا يتوقّف عند إحداها طويلا.

المُفتّش سامي: كلّ أصحاب هذه البطاقات هم زملاء القتيل و من الطبيعي أن يحتفظ بها في محفظة أوراقه. ليس لها أهمية في التّحقيق.

يفحص المُفتّش سامي بطاقات المستوردين و يتوقف عند كلّ بطاقة و يقرأ اسم الشَّرِكة بصوت عالي.

المُفتّش سامي: انقل كلّ المعلومات التي في هذه البطاقات في جدول و دعنا نقارن بين هذه القائمة و قائمة الشَّرِكات المستورِدة التي قامت بعمليَّات استيراد في الفترة المشبوهة علَّنا نجد أسماءً تتكرَّر.

المساعد أشرف: حالا سيِّدي

المُفتّش سامي: بقيَّة الوثائق غير مُهِمَّة: رخصة قيادة، هويَّة القتيل، بطاقات ائتمانية... هل قائمة آخر الاتّصالات الواردة و الصادرة عن جوّال القتيل جاهزة يا أشرف؟

المساعد أشرف: نعم سيِّدي. هذه هي. (و يسلِّمها للمُفتِّش) لقد طلبت معرفة أصحاب هذه الأرقام من شركة الاتِّصالات فأغلبها أرقام جوالات و لم يسلموني إيَّاها إلاّ بعد الاستظهار بمكتوب رسمي من المباحث الجنائيَّة.

المُفتِّش سامي: هناك العديد من الأرقام تتكرَّر جيهان، سليم، المُنصِف، فيليب، سماح. هذه أكثر الشخصيات التي كان القتيل على اتِّصال بها في آخر يوم في حياته. لا بدّ أن يكون سرّ مقتله مع إحداها.

المساعد أشرف: لقد اتِّصلتُ بجيهان و أخذت معها موعدا هذا الصباح على السَّاعة العاشرة في بيتها في وسط المدينة. هل يناسبك الموعد أو أؤجله؟

المُفتِّش سامي: لا. الموعد جيِّد فأنا متحمِّس للقاء هذه السيدة الغامضة و المهمة في حياة القتيل. لترافقني في هذا اللقاء يا أشرف أما أنت يا وليد فأمامك يوم مليء بالعمل. أليس كذلك؟

المساعد وليد: أجل سيِّدي لقد طلبت إذنا بتفتيش بيت القتيل و مكتبه و إذنا بتصوير مِلَفّات عمليَّات الاستيراد في الفترة المشبوهة و أنا بانتظار الحصول عليها للتحرُّك.

المُفتِّش سامي : جيِّد جدًّا. ماذا عن إذن مراقبة الفِيلاّ و تصوير زوّارها؟

المساعد وليد: سأطلبه في الحال سيِّدي.

المُفتِّش سامي : أريد نتائج ملموسة اليوم فكُلُّ تأخير سيبعدنا عن الجُناة أكثر و يُصعِّب علينا الوصول إليهم.

يفتح المُفتِّش سامي دفتره الصغير، يتصفّحه ثم يتوجّه للمساعد أشرف:

المُفتِّش سامي: أريدك أن تطلب عيِّنات من المسامير المستعملة في الحادث و تحدِّد نوعيَّتها و استعمالاتها و أين تُباع. أريد هذه المعلومات قبل عصر هذا اليوم.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي

يرفع المُفتِّش سامي سماعة الهاتف و يتَّصل برئيسه المباشر و يطلب لقاءه ثم يغلق السماعة و يخرج.

المُفتِّش سامي: سأعود بعد قليل. كن جاهزا يا أشرف لترافقني. سأُطلع الرَّئيس على تطورات القضيَّة و أطلب منه الدّعم اللازم.

في مكتب الرَّئيسيقدِّم المُفتّش سامي آخر تطورات التَّحقيق و يطلب المساعدة التَّقنية كأجهزة الكاميرا الصغيرة و الخفيّة و أجهزة الإرسال و الاستقبال كما طلب سيَّارة عاديَّة لا تُثير الشُّكوك. وافق الرَّئيس على كلّ مطالب المُفتّش سامي إلاّ أنَّه نبَّهه لضرورة العمل بسرعة لإنهاء هذا التَّحقيق فعدد القضايا كبير و لا يجب أن يركِّز على قضيَّة واحدة و يهمل البقية. وعده المُفتِّش بأنَّه خِلال أسبوع واحد سيُنهي التَّحقيق بإذن الله.

يَمُرُّ المُفتِّش سامي بمكتبه، يصطحب معه المساعد الجديد و ينطلقان لمقابلة جيهان.

☒ السَّاعة العاشرة و الربع صباحا أمام بيت جيهان

يطرق المساعد أشرف باب شقّة "جيهان". تفتح الباب شابّة في منتصف العشرينات من عمرها. تبدو عليها أناقة أوروبية و جمال هجين عربي – أوروبي لكن تغشى هذا الجمال مسحة من الحزن و الأسى. يبدو التعب و قلّة النوم أو البكاء في عينيها. يُبادرها المُفتّش سامي بالتعريف بنفسه.

المُفتّش سامي: أنا المُفتّش سامي و هذا المساعد أشرف من المباحث الجنائيَّة و نحن هنا حسب الموعد.
جيهان: أنا "جيهان" و أنا بانتظاركما. تفضّلا

يدخل الضابطان الشقّة و تقودهما لغرفة الجلوس ثم تستأذن منهما لإحضار القهوة. يغتنم المُفتّش فرصة غياب صاحبة البيت ليحاول كعادته ملاحظة أي تفصيل يمكن أن يفيده في التَّحقيق. البيت متوسط الحجم و يظهر من أثاثه أنَّه على الطِّراز الأوروبي. أثاث قليل و غالي الثمن لكن وقع اختياره و وضعه بعناية و ذوق كبيرين. مكتبة تتوسط جدار قاعة الجلوس تحتوي على عدد كبير من الكتب و المجلات و أغلبها باللغة الأجنبية كما تحتموي على عدد كبير من أقراص الموسيقى و الأفلام. في بعض زوايا الغرفة بعض التحف الإفريقية الأصليَّة من الخشب الأسود. اللوحات المعلقة على الجدران من النَّوع التجريدي أو التكعيبي لا يدري المُفتّش إلى أيِّ مدرسة تنتمي فهو غير مطلع على هذا النَّوع من الرسوم و هو أيضا لا يُحبِّذه. على رفٍّ صغير وُضِعت كأس كتب عليه "كأس دورة تنس" و عليه اسم "جيهان" و إلى جانبها صورة لها و هي تتسلّم الكأس بين أصحابها. كلّ ما في الغرفة يدلّ على مستوى ثقافي رفيع لصاحبة البيت و أيضا على مستوى مادي لا بأس به. على رفٍّ بجانب الشرفة مجموعة من قوارير الخمر من ماركات عالمية مشهورة و كأس شبه فارغة مازالت قطع الثَّلج فيه لم تذب بالكامل.

المُفتّش سامي: لدينا بطلة تنس حقيقية
المساعد أشرف: أظُنَّها كاملة الأوصاف
المُفتّش سامي (هامسا): ليست كاملة تماما فهي تشرب الخمر منذ الصباح و هذا تصرُّف غير عادي إلاّ بالنسبة للمُدمنين أو الذين يمرُّون بأزمات نفسية حادة.
المساعد أشرف: مِطفأة السجائر أيضا ملآنة بأعقابها لا بدَّ و أنَّها تدخن بشراهة.

تدخل "جيهان" و هي تحمل طبق القهوة. تضعه على طاولة صغيرة و تدعو الضُّيوف لتناولها.

المُفتّش سامي: شكرا. لم يكن هناك داعي لتُتْعبي نفسك فنحن هنا في مُهِمَّة رسمية لا تتعدَّى طرح بعض الأسئلة

جيهان: أنا في خدمة العدالة.

المُفتّش سامي: طبعا أخبرك المساعد أشرف خلال الاتّصال الهاتفي أنَّ "حسين مالكّ قد تعرّض للقتل.

جيهان: نعم لقد أبلغني ذلك للأسف.

المُفتّش سامي: نريد في البدايَة التعرُّف عليك و على نوعية علاقتك بالقتيل.

جيهان: أنا "جيهان كامل"، أعمل مضيِّفة استقبال و علاقات عامة في فندق الشيراتون... و كنت صديقة للمرحوم.

تتوقف عن الكلام و كأنّ غُصّة تمنعها من ذلك.

المُفتّش سامي: أنتِ تعيشين هنا بمفردكِ على ما أظن.

جيهان: نعم فعائلتي تقيم في الجنوب و أنا أقيم هنا منذ أن دخلت الجامعة و بعد تخرجي عملت في الفندق و تعودت على الحياة هنا و على زيارة مدينتي الأصلية في الإجازات فقط.

المُفتّش سامي: ما نوع صداقتك مع القتيل؟ آسف لعلّ السؤال شخصي نوعا ما، لكن تأكدي أنَّ ذلك مهمّ للتَّحقيق.

جيهان: تقصد إن كنَّا صديقين عاديين أو عشيقين؟

المُفتّش سامي: نعم

جيهان: لقد كنَّا عشيقين و بمثابة الأزواج إلاّ أنَّ علاقتنا لم تكن رسمية.

المُفتّش سامي: متى تعرَّفتِ على القتيل؟

جيهان: منذ بضعة أشهر. سبعة أو ثمانية تقريبا

المُفتّش سامي: و كيف تعرَّفتِ عليه؟

جيهان: لقد أقامت إدارة الجمارك دورة تدريبية عندنا في الفندق. أظُنّ أنَّ موضوعها كان "النظام الجمركي الجديد في ظلِّ منظمة التجارة العالمية". و كان المرحوم من بين المشاركين في الدورة. و قد كُلِّفت بالإشراف على هذه الدورة و التَّنسيق مع إدارة الجمارك و هذا يدخل في إطار عملي في العلاقات العامة. لقد كنت ألتقي بالمرحوم يوميًّا خلال أيام الدورة الخمس و قد وقع نوع من

الاستلطاف بيننا حتَّى أنَّه واصل زيارتي في الفندق بعد نهايَة الدورة التدريبية. لقد استمرَّت علاقتنا و توطَّدت و صرنا على اتِّصال دائم ببعضنا و تطوّرت العلاقة أكثر حتَّى صرنا بمثابة الأزواج.

المُفتّش سامي: هل كنتَ على علمٍ بأنَّ القتيل كان متزوجا؟

جيهان: نعم لقد أخبرني بذلك منذ البدايَة لكنَّ ذلك لم يمنعنا من البقاء مع بعضنا. لقد كان بحاجة ملحَّة لي و أنا كذلك.

المُفتّش سامي: هل الرواتب في فندق الشيراتون كبيرة؟

جيهان: ليست كبيرة بل عاديَّة. لكن لماذا هذا السؤال؟

المُفتّش سامي: لا شيء بل لاحظت أنَّ أثاث المنزل و الحُليّ الذي تلبسينه من النَّوع الفاخر الذي يتعدّى إمكانيات الوظيفة العاديَّة

جيهان: إنِّي أعمل أيضا في بعض المناسبات الكبرى كالمعارض الاقتصادية و المهرجانات الفَنِّية كمضيفة استقبال و هذا يقوِّي من دخلي كما أنَّ بعض الشَّركات الكبرى تستعين بخبرتي في مجال العلاقات العامة حين تستقبل وفود أجنبية أو عندما تنظِّم مؤتمرات.

المُفتّش سامي: كيف كان القتيل يتعامل معك؟ أقصد كيف كان مزاجه و سلوكه و هل لاحظت عليه تغييرا في الفترة الأخيرة؟

جيهان: (تصمت لفترة ثم تجيب) لقد كان لطيفا جدًّا معي و رومانسيا. كان في بعض الأحيان كالمراهق إلى حدِّ أنَّه في البدايَة لمَّا تعرَّف عليَّ كان وجهه يحمرُّ خجلاً لمَّا يكلمني. كان مليئا بالطموح و يحب الحياة و كنَّا سنتزوج لو لم تكن هذه الحادثة الأليمة.

المُفتّش سامي: تقصدين الجريمة!... لكن ماذا عن الفترة الأخيرة؟

جيهان: في الفترة الأخيرة أصبح عصبيّا نوعا ما.

المُفتّش سامي: و ما هي الأسباب حسب رأيك؟

جيهان: أظُنّ أنَّه كان يمرُّ بأزمة ماليّة خانقة في الفترة الأخيرة

المُفتّش سامي: هل كان يصرف عليك؟

جيهان: لا أخفي عليك لقد كان يصرف عليّ بكرم شديد فلا يبخل عليّ بأيّ شيء مهما غلى ثمنه حتَّى أنَّه كان سيشتري لي هذا البيت الذي أقيم فيه حاليا لكن الوفاة منعته من ذلك.

المُفتّش سامي: هل كان يقضي بعض الليالي في هذا البيت

تنظر "جيهان" للمُفتِّش باستنكار

المُفتّش سامي: أقصد من سؤالي إن كان قريبا منك و لديه متسع من الوقت ليبوح لك بما يقلقه أو يخيفه أو أنَّ علاقتكما كانت خاطفة و مجرد مواعيد؟

جيهان: لقد كان بمثابة زوجي و كان يقضي ليالي أكثر عندي هنا مِمَّا يقضيه في بيت زوجته.

المُفتّش سامي: إذا هل باح لك بمخاوفه؟

جيهان: فقط كان يذكر لي في الأسبوعين الأخيرين أنَّه متوتر و أنَّه يخسر دائما في القمار

المُفتّش سامي: هل تشُكِّين في شخص مُعيَّن بقتل "حسين مالك"؟

جيهان: لا... لا أشكّ بأحد فالمرحوم كان وديعا و مسالما

المُفتّش سامي: هل كانت بينكما اتّصالات هاتفية في آخر يوم من حياته؟

جيهان: كُنَّا دائما على اتّصال هاتفي. كان يكلّمني في بعض الأحيان فقط حتَّى يسمع صوتي.

المُفتّش سامي: هل لكِ أشياء أخرى تريدين إضافتها؟

جيهان: لا... لا شيء على الإطلاق

المُفتّش سامي: شكرا لكِ على استضافتك لنا و آسف إن أزعَجتكِ بالبعض من أسئلتي

جيهان: لا عليك. أقدِّر طبيعة عملك.

يودِّع الضابطان "جيهان" و يرجعان للمكتب. في طريق العودة يسأل المُفتّش مساعده:

المُفتّش سامي: ما رأيك فيما سمعت و رأيت؟

المساعد أشرف: واضح أنَّ "جيهان" كانت متأثِّرة بمقتل عشيقها تأثُّرا بالغا حتَّى أنَّ نفسيتها توترت كثيرا مِمَّا دفعها للشرب و التدخين بكثرة. أيضا لقد كانت مولعة بالقتيل إلى حدِّ أنَّهما كانا سيتزوجان. لقد كانا يعيشان قصة حب رومانسية و جميلة إلى أن وقعت الجريمة و أنهت الحلم.

المُفتّش سامي: هذا ما يبدو فعلا فهما لا يطيقان فراق بعضهما البعض حتَّى أنَّهما يبقيان على اتّصال هاتفي عندما يكونان بعيدان على بعضهما.

المساعد أشرف: قصّة حبّ جميلة و وردية فعلا

المُفتّش سامي: وردية، رومانسية و جميلة لكنَّها تبدو جميلة أكثر من اللازم

المساعد أشرف: ماذا تقصد؟

المُفتّش سامي: لا شيء بالتحديد لكنَّ خبرتي في الحياة و في المباحث الجنائيَّة خاصَّة جعلتني لا أُؤمن أنَّ قصص حب جميلة كهذه تقع في أيَّامنا الصعبة هذه.

المساعد أشرف: صحيح فقبح الجرائم و منظر الجثث و ألاعيب المجرمين و مكرهم ينسينا أنَّ في الحياة أيضا حبّا و جمالا و مشاعر صادقة و نبيلة.

المُفتّش سامي: أجل فبعد سنوات طويلة من العمل في المباحث صِرت أعتقد أنَّ الجريمة هي الحقيقة الوحيدة في الحياة.

المساعد أشرف: يبدو أنه يجب عليك أن تأخذ إجازة و تذهب بعيدا عن جو المباحث حتَّى تستعيد نظرة أكثر إشراقا للحياة

ينظر المُفتّش سامي لمساعده باستغراب و تعَجُّب من صراحة و جرأة هذا المساعد المبتدِئ ثم يبتسم قائلا:

المُفتّش سامي: ربَّما سأفكر في الأمر.

يتفطَّن المساعد أشرف لتجاوزه حدوده مع المُفتّش سامي

المساعد أشرف: آسف سيِّدي لم أكن أقصد

☒ منتصف نهار نفس اليوم في المباحث الجنائيَّة

يدخل المُفتِّش سامي رفقة مساعده أشرف للمكتب و يلتحق بهما المساعد وليد العائد لتوِّه من مكتب القتيل بالجمارك و هو يحمل رزمة كبيرة من الأوراق و المِلَفّات. يلقي المساعد وليد بالتَّحيَّة على الحضور.

المساعد وليد: هذه كلّ العمليَّات التي وقعت بين شهري يوليو و أكتوبر عددها كبير يبلغ أربعمائة عمليَّة تقريبا.
المُفتِّش سامي: (مبتسما) هذا سيُشغلكما حتَّى المساء. أريد قائمة بكُلِّ العمليَّات و تفاصيلها: مَن المستورِد؟ من المُصدِّر؟ ما طبيعة السلعة؟ ما هي قيمتها؟ هل الإجراءات كانت سليمة؟...
المساعد وليد: أظُنّ أنَّ عليَّ أن أطلب الغداء في المكتب
المُفتِّش سامي: هل تحصَّلت على إذن تفتيش البيت و المكتب؟
المساعد وليد: ليس بعد فالمفروض أن يكون جاهزا بعد الظهر.
المُفتِّش سامي: يا أشرف، تابع مسألة المسامير.
المساعد أشرف: حاضر سيِّدي

يستعمل المُفتِّش سامي هاتفه الجوَّال و يتَّصل بـــ"عمر حمدي" من إدارة مكافحة المخدِّرات على رقمه الخاص و هو صديق قديم له سبق و أن درسا مع بعض في كُلِّية الشرطة.

المُفتِّش سامي: السلام عليكم، المُفتِّش سامي يتكلّم
عمر حمدي: و عليكم السلام عرفتك يا حضرة المُفتِّش فصوتك مُمَيَّز و لا يمكنني أن أُخطأ فيه
المُفتِّش سامي: كيف حالك يا صديقي و كيف حال مكافحة المخدِّرات ؟
عمر حمدي: لا بأس فنحن دائما بالمرصاد. لكن ما سبب هذا الاتِّصال المفاجئ. ليس من عاداتك أن تبادر بالاتِّصال. هل هناك شيء خاص؟
المُفتِّش سامي: أكيد أنَّك ضابط شرطة مكافحة مخدِّرات جيِّد فأنت تشمُّ جيِّدا (ضاحكا)
عمر حمدي: دائما حاضرُ البديهة كعادتك. لكنَّك لم تخبرني ما الأمر؟

المُفتّش سامي: أريدك في خدمة تخصُّ إدارتك؟

عمر حمدي: أرجوك لا تطلب منِّي قطعة حشيش فهذا صعب جدًّا (ضاحكا)

المُفتّش سامي: أعرف جيِّدا أنَّكم تشربون كلّ المخدِّرات التي تحتجزونها من المهرِّبين و لا تتركون و لا حتَّى قطعة صغيرة.

عمر حمدي: تفضّل عندي في المكتب فربَّما نضبط أحدهم متلبسا و لو مستهلكا و نوفِّر لك ما تريد

المُفتّش سامي: لا دعنا من المكاتب أريد لقاءك بعيدا عن المكتب لنقل في المطعم التُّركي الذي كنَّا نأكل فيه عندما كنا نغادر كلية الشرطة في الإجازات.

عمر حمدي: متى تريد ذلك فأنا فعلا مشتاق للكباب و لذكريات أيام الدراسة.

المُفتّش سامي: لو تسمح ظروفك يمكن أن نلتقي بعد ساعة لنتناول الغداء سوية و لا تخف فأنا الذي سأدفع الحساب.

عمر حمدي: لا شكرا فكما تعلم القاعدة الذهبية التي نشأنا عليها في كلية الشرطة "كل واحد يدفع حسابه"

المُفتّش سامي: كما تريد. أزمة و مرت بسلام (مداعبا)

عمر حمدي: إذًا، نلتقي بعد قليل صديقي

المُفتّش سامي: مع السلامة

يغلق المُفتّش سامي السماعة و يتوجَّه لمساعديه:

المُفتّش سامي: سألتقي بكما عند العصر. لو حصل أيُّ تطور مهمٍّ اتّصلا بي فورًا على الجوَّال.

سأحاول التنسيق مع صديقي و زميلي "عُمر" من إدارة مكافحة المخدِّرات بطريقة سرِّية كما ترون حتَّى نتمتَّع بعنصر المفاجأة على المجرمين.

يخرج المُفتّش سامي من المكتب ليقابل "عُمر حمديّ و يبقى مساعداه يتصفحان مِلَفّات العمليَّات و يُعدّان قائمة ملَخّصة لها.

☒ السَّاعة الواحدة و النصف بعد الزوال في مطعم الكباب البلدي في وسط البلد

يجلس المُفتّش سامي منذ نصف ساعة تقريبا على طاولة مُطِلَّة على ميدان كبير يدور حوله عدد كبير من السيَّارات حيث يجد شرطي المرور صعوبة في تسهيل حركة العربات. إنَّها ساعة الذروة.

يدخل "عُمر حمدي" المطعم و يتوجَّه مباشرةً إلى المُفتّش سامي. يصافحه بحرارة و يقول له:

عمر حمدي: لقد عرفت أنَّك ستجلس على نفس الطاولة التي كنّا نحجزها أيام الكلية

المُفتّش سامي: و الله لقد ذكَّرني المطعم بأيَّام الكُلِّية الجميلة و أيَّام الشباب

عمر حمدي: لا زلنا شبابا يا صديقي

المُفتّش سامي: لقد فقدتَ نصف شعر رأسك و لبست النظارات الطبِّية. يبدو لي أنَّك عجِّزت بسرعة

عمر حمدي: يبدو لي أنَّك أنت الذي عجِّزت بسرعة أكبر فرأسك اشتعل شيبا. لم تكن كذلك السَّنة الفارطة حين قابلتك لآخر مرة.

المُفتّش سامي: هذه هي الدُّنيا لا تلبث على حال.

عمر حمدي: هل طلبت شيئا أم أنَّك تنتظرني؟

المُفتّش سامي: لا أنا أنتظرك فأنا أعرف مواعيدك. دائم التأخر كعادتك. لقد تغيَّر شكلك لكنَّ عاداتك السيئة هي نفسها.

عمر حمدي: ماذا نفعل فكما يقول المثل من شبَّ على شيء شاب عليه؟

المُفتّش سامي: هل أطلب لك كباب كالعادة؟

عمر حمدي: أجل

يستدعي المُفتّش سامي النَّادل

المُفتّش سامي: اثنان كباب و سلطات متنوعة مع عصائر. لكن بسرعة لو سمحت

النَّادل: حاضر سيِّدي

عمر حمدي: لم تخبرني ما هذا الأمر الهام الذي ذكَّرك بي و جعلك تدعوني للغداء؟

المُفتّش سامي: أنا أُحقِّق الآن في جريمة قتل و أشكُّ أنَّ وراءها عمليَّة تهريب مخدِّرات عن طريق البحر و بالتحديد عن طريق الميناء و أريد معلومات منك يمكن أن تفيدني في التَّحقيق

عمر حمدي: و لماذا لم تتَّبع الإجراءات الرسميَّة في التنسيق بين مختلف إدارات الشرطة؟

المُفتّش سامي: إنَّك تعرف أكثر منِّي أنَّ لعصابات المخدِّرات عيونا في كلّ مكان و أريد أن أحتفظ بسرية التَّحقيق و على ذلك قابلتك بصورة فردية و غير رسمية خارج المكاتب. هل لديك معلومات مفيدة؟

عمر حمدي: إنَّ الفترة الأخيرة قلَّت فيها المخدِّرات في البلد بشكل كبير فلقد ضيَّقنا كثيرا على المُهرِّبين و قد ضبطنا منذ شهرين كمية كبيرة من الحشيش داخلة للبلد عن طريق البرِّ و ليس عن طريق البحر.

المُفتّش سامي: هل أنت مُتأكِّد؟

عمر حمدي: نعم فكُلُّ المخبرين يؤكِّدون أنَّ صِنف المخدِّرات شحيح جدًّا في السوق و ذلك منذ ثلاثة أشهر و المخدِّرات الوحيدة المتوفرة هي عبارة عن حبوب طبِّية وقعت سرقتها من مستشفى الأمراض العَصبيَّة و النفسية منذ قرابة الشهر

المُفتّش سامي: إذًا لا توجد مخدِّرات دخلت السوق طيلة الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأخيرة؟

عمر حمدي: أُؤَكِّد لك ذلك فأيُّ صنف جديد يترل السوق نعلم بوجوده فورا و نعلم حتَّى مِن أين دخل و مَن هو المُهرِّب فكما لمُهرِّبي المخدِّرات عيونا في إدارة المكافحة فلدينا أيضا عيوننا في بعض هذه العصابات و في السوق و نرصد كلّ التحركات.

المُفتّش سامي: إذًا كيف تتركونهم يُهرِّبون و لا تقبضون عليهم؟

عمر حمدي: أنت ضابط شرطة ممتاز و تعرف أنَّ معلومات التحريات غير كافية للإيقاع بهؤلاء المُهرِّبين بل يجب توفر أدلَّة دامغة و تكوين مِلَفّ متكامل يُقنِع المحكمة و لا يستطيع محامي الدفاع النفاذ من أيَّة ثغرة فيه فلقد أثبتت التجربة أنَّ خطآ و لو بسيطا في الإجراءات يُمكِّن المُهرِّبين من الخروج من القضيَّة و عدم سماع الدعوى و لذلك نحن نتريَّث و لا نتصرَّف بانفعالية

المُفتّش سامي: كلامك صحيح. يُمكِنك أن تساعدني بخدمة أخرى

عمر حمدي: ما هي؟

المُفتّش سامي: لقد ذكرت الآن أنَّ لديكم مِلَفّات كاملة عن مُهرِّبي المخدِّرات و تعرفونهم معرفة جيِّدة فهل لك أن تخبرني إن كان لبعض المُتَّهَمين المحتملين في القضيَّة التي أُحقِّق فيها مِلَفّات عندكم؟

عمر حمدي: هذا أمر بسيط فيكفي أن تعطيني بيانات عنهم و أنا أخبرك في الحال إن كانوا مُسجَّلين عندنا أو لا.

المُفتّش سامي: سأوافيك بهذه القائمة في أقرب وقت ممكن

يأتي النَّادل و معه أطباق الأكل

عمر حمدي: دعنا الآن من كلّ هذا و دعنا نستمتع بالكباب

يبدأ الضابطان الأكل و الكلام عن ذكريات الكُلِّية و الشباب...

☒ الخميس ١١ يناير الثالثة عصرا في مكتب المباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي المكتب و يجد مساعديه مُنكبَّين على مِلَفّات عمليَّات التَّوريد يدرسونها بعناية و يُعِدُّون لها قائمة مختصرة. يُلقي عليهم التَّحيَّة و يسألهم عن مدى تقدمهم.

المُفتّش سامي: هل هناك عمليَّات تبدو لكما مشبوهة؟ و هل القائمة جاهزة؟

المساعد وليد: تقريبا سيِّدي فلم يتبقَّى لنا سوى عمليَّتين و لقد سجَّلانا بعض الملاحظات حول بعض العمليَّات التي تبدو غريبة أو غامضة بعض الشيء

المُفتّش سامي: هل إذن النِّيابة بتفتيش البيت و المكتب و مراقبة الفِيلاّ جاهز أم لا؟

المساعد وليد: نعم سيِّدي لقد تحصَّلت على الإذن منذ ساعة. هاهي (و يعطيها للمُفتِّش). لكن هل لك أن تخبرنا عن نتيجة لقاءك بصديقك من إدارة مكافحة المخدِّرات ؟

المُفتّش سامي: لقد أكَّد لي عدم دخول أيَّة كمية من المخدِّرات عن طريق البحر في الأشهر القليلة الماضية و ذلك بدليل قلة العرض في السوق في الفترة الأخيرة.

المساعد وليد: إذًا العمليَّات المشبوهة ليست تهريب مخدِّرات . فماذا يمكن أن تكون؟

المُفتّش سامي: هذا هو أهمّ سؤال في القضيَّة لو حصلنا على إجابة عليه لتمكَّنَّا من حلِّ رموزها و لتوصلنا للجاني. ما هي السلعة المُهَرَّبَة إن لم تكن مخدِّرات ؟

المساعد وليد: يمكن أن تكون سلاحا خاصّة في الجو الحالي من تنامي الأعمال الإرهابية.

المُفتّش سامي: هذا أمر محتمل لكن يجب التأكد منه. على كلّ حال فالتدقيق في قائمة عمليَّات التَّوريد يمكن أن يفيدنا

المساعد أشرف: تفضّل سيِّدي القائمة بعمليَّات التَّوريد لقد أكملناها و على هذه الورقة ملاحظاتنا عليها

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. عمل ممتاز.

يَطَّلع المُفتّش على هذه القائمة باهتمام كبير. يصمت لفترة ثم يرفع رأسه لمساعديْه:

المُفتّش سامي: هناك الكثير من عمليَّات التَّوريد تتكرَّر و تقوم بها نفس الشَّركات و هذا ما يُضَيِّق مجال بَحْثنا و يُسَهِّل مُهمَّتَنا كما أنَّ هناك شركات تقوم بعمليَّات توريد منتظمة و أخرى مُتقطِّعَة.
أكثر السِّلع المُوَرَّدة هي تجهيزات صناعيَّة، مواد كيميائيَّة، مواد غذائيَّة و خامات.
المساعد وليد: كُلُّ هذه العمليَّات راقَبها القَتيل و أصدر تصريحا بمغادرتها للميناء
المُفتّش سامي: لو كُنتَ ستُهَرِّب أسلحةً فكيف كنتَ ستُصنِّفُها للجمارك؟
المساعد وليد: أقرب شيءٍ هو أنْ أُصنِّفها كتجهيزات صناعيَّة فالاثنان من الحديد و المعادن و يُمكن إخفاءها في صناديق خشبية تشبه صناديق الأجهزة و المُعدَّات الصناعيَّة.
المُفتّش سامي: أريد منك يا أشرف أن تزور الشَّركات الأربعة الّتي وَرَّدت هذه التجهيزات و تتأكَّد بنفسك من وجود هذه المُعدَّات في مصانعها و تتأكَّد من نوع الآلة و رقمها التَّسَلْسُلي و كلّ البيانات الفَنِّية. لو كانت في إحدى هاته الصَّفقات أسلحة فسوف لن تجد في المعمل الآلة المذكورة في التصريح الجمركي و نكون بذلك قد وصلنا لمدبر الجريمة
المساعد أشرف: حاضر سيِّدي. و لكن لو كانت نتيجة التحريات سَلْبِيَّة فماذا يمكن أن تكون السِّلعة المُهَرَّبة؟
المُفتّش سامي: لا أعرف فهذا سؤال مُحيِّر و سابق لأوانه. على كلِّ حال فالشَّركات الأربعة المشتبه بها توجد في نفس المنطقة الصناعيَّة و يمكن لك أن تزورها فورا. لا تَعُد للمكتب إلاّ و لديك نتيجة قطعية. لا تنسى أن تَحْذر و تحمل سلاحَك معك و تَكُن مُرافَقًا من بعض الأعوان فلو كانت إحدى هذه الشَّركات مُتورِّطة فذلك يُمَثِّل خطرا عليك
المساعد أشرف: لا تقلق عليّ سيِّدي فسأتعامل معهم بحذر. بالمناسبة قبل أن أنطلق أريد أن أسلِّمك قائمةً ببطاقات زيارة الشَّركات المُستوردة التي وجدناها في محفظة القتيل.
المُفتّش سامي: جيِّد جد ا. هاتها.
المساعد أشرف: تفضّل سيِّدي. إلى اللقاء

يضع المُفتّش سامي أمامه على المكتب القائمتين و يحاول أن يجد أسماء تتكرَّر للمستوردين. يأخذ قلما و يؤشِّر على الأسماء المُتكرِّرة.

المُفتّش سامي: هذا جيِّد . لاحظ يا وليد تكرار اسم ثلاثة شركات في قائمة عمليَّات التَّوريد و ضِمن بطاقات الزيارة في محفظة أوراق القتيل. هذا يعني أنَّ صِلَة القتيل بهذه الشَّرِكات أقوى و أكبر من علاقته بباقي الشَّرِكات و لذا يجب أن نُركِّز عليها بشكل خاص.

المساعد وليد: ما هي هذه الشَّرِكات سيِّدي؟

المُفتّش سامي: شركة "المخازن الكبرى للمنتجات الغِذائيَّة"، "شركة كابلات السيَّارات"، و "الشَّرِكة التِجاريَّة للمعدات الزراعيَّة و مُستلزَماتها"

المساعد وليد: دَعْني أسحب من المِلَفّات عمليَّات هذه الشَّرِكات حتَّى نُدقِّق فيها أكثر.

المُفتّش سامي: فلنبدأ بشركة "المخازن الكبرى"، لقد نَفَّذت خِلال الأربعة أشهر ثمانية عمليَّات توريد شملت القهوة، الجبنة، زيوت نباتية، شكولاته، أرز...

المساعد وليد: إنَّ هذه الشَّرِكة معروفة و هذا نشاطها الأساسي حيث تقوم بتوريد حاوية كلّ أسبوعين و ذلك بشكل منتظم منذ سنوات و لم تتوقف عن التَّوريد في الفترة الأخيرة. أظُنّ أنَّ هذه الشَّرِكة مُستبعَدة من دائرة الشك

المُفتّش سامي: "شركة كابلات السيَّارات": قامت بتوريد ثلاثة عشرة حاوية في نفس الفترة كلُّها من خامة البلاستيك المستعملة على ما أظُنّ في عزل نحاس الكابلات

المساعد وليد: نفسُ الشّيء فهذه الشَّرِكة معروفة و هي تقوم بعمليَّات توريد بصفة شبه أسبوعية و أنا أستبعدها أيضا

المُفتّش سامي: "الشَّرِكة التِجاريَّة للمعدات الزراعيَّة و مُستلزَماتها": قامت بتوريد ثمانية حاويات كبيرة من براميل أدوية و أسمدة كِيميائيَّة في نفس الفترة

المساعد وليد: هذه الشَّرِكة غير معروفة و لم أسمع عنها قط. و بسؤالي زملاء القتيل عن عمليَّاتها السَّابِقة أكَّدوا لي أنَّها تعاملت مع الجمارك مُؤَخَّرا و لفترة أربعة أشهر ثمَّ انقطع تعاملها معنا في الشَّهرين الأخيرين.

ينتفض المُفتّش سامي و كأنَّ تيارا صَعَقَهُ و ينظر للمساعد وليد بكُلِّ حِدَّة و راحة في نفس الوقت.

المُفتّش سامي: أظنُّنا لمسنا الوتر الحسَّاس. هذه هي ضالَّتُنا. شركة غير معروفة تُنفِّذ عمليَّات توريد كثيرة في فترة قصيرة ثم تختفي. التسَلسُل الزَّمني يتطابق تماما مع التطورات التي عاشها القتيل في الفترة

الأخيرة. أُريد تركيزا كُلّيا على هذه الشَّركة. كلّ التفاصيل الممكنة كما أريد إذنا من النِّيابة بتفتيش هذه الشَّركة.

المساعد وليد: هل أستدعي المساعد أشرف حتَّى يُلغي مُهمَّته و يعود فورا؟

المُفتّش سامي: نعم بالتأكيد فلا فائدة من إضاعة الوقت مع الشَّركات الأخرى يجب أن نُركِّز كلّ جهدنا على هذه الشَّركة الغامضة. ناولني مِلَفّها لو سمحت.

يناول المساعد وليد مِلَفّ عمليَّات الشَّركة المشبوهة للمُفتِّش سامي و يتَّصل بالمساعد أشرف ليُعلمه بإلغاء مُهمَّته و العودة فورا للمكتب. يفحص المُفتّش سامي المِلَفّات بدقّة و يُقلِّب أوراقها باحثا عن شيء لا يعرفه، أيُّ شيء يمكن أن يساعده. و فجأة يتوقَّف عند اسم الشَّركة المُزَوَّدة.

المُفتّش سامي: هذا الاسم ليس بالغريب عليّ يبدو أنَّني رأيته في مكان ما

المساعد وليد: ما هو هذا الاسم سيِّدي

المُفتّش سامي: اسم الشَّركة المزودة: "الكيميائيَّة العالمية". إنَّها شركة فرنسية

المساعد وليد: دعني أتذكّر فقد صادفت هذا الاسم أيضا...نعم لقد تذكَّرت إنَّ القتيل يحتفظ ببطاقة زيارة لهذه الشَّركة

المُفتّش سامي: ممتاز. (يطالع قائمة بطاقات الزيارة) "إيف لا روش" مدير المبيعات بالشَّركة. مَقرّ الشَّركة يوجد بمرسيليا في فرنسا.

يدخل المساعد أشرف للمكتب و يستفسر عن أسباب إلغاء مُهمَّته. يشرح له المُفتّش سامي الأمر و يطلب منه أن يُركّز بحثه على "الشَّركة التجاريَّة للمعدات الزراعيَّة و مُستلزَماتها".

المُفتّش سامي: إنَّ دائرة البحث بدأت تضيق على الجناة. أريد معلومات فورا عن هذه الشَّركة و ذلك من خلال البحث على أكثر من صعيد. أوّلاً المساعد أشرف يتوجَّه للسِّجل التِّجاري و يأخذ صورة من مِلَفّ الشَّركة بكُلِّ تفاصيلها: الاسم، العُنوان، الشُّرَكاء، النشاط الرَّئيسي، المدير، رأس المال، البنك الذي تتعامل معه... المساعد وليد تتَّصل بالبنك الذي تتعامل معه الشَّركة و تأتي لنا بكشف حساب تفصيلي و دقيق عن الثمانية أشهر التي مضت كما تطلب لنا إذنا بتفتيش مَقرّ الشَّركة

المساعد وليد: لِمَ لا نجرِّب البحث على الإنترنت فيمكن أن يكون للشَّرِكة موقعا أو نعثر على بعض المعلومات حولها في مواقع أخرى ذات صلة بها؟

المُفتّش سامي: فكرة ممتازة لكن من الذي سيساعدنا في عمليَّة البحث هذه؟

المساعد وليد: لا عليك سيِّدي فأنا صِرت خبيرا بأمور الإنترنت. لقد شاركت في دورة تدريبية منذ بضعة أشهر و أُجيد البحث على الإنترنت.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. لا نُضيِّع الوقت إذًا. بادر بالبحث

يُشغِّل المساعد وليد الكمبيوتر و يرتبط بالإنترنت

المساعد وليد: هل يوجد عُنوان موقع للشَّرِكة في بطاقة الزيارة؟

يفحص المُفتّش سامي البطاقة و ينفي ذلك.

المساعد وليد: إذًا دعنا نستعمل مُحرِّكات البحث علَّنا نجد ضالَّتنا

يتعامل المساعد وليد لفترة مع الكمبيوتر ثم يُعلن عن استغرابه الشَّديد.

المساعد وليد: غريب! فلا توجد أيَّة إشارة لهذه الشَّرِكة على الشَّبكة. فلم يقع التطرُّق لاسمها في أيٍّ من ملايين المواقع الموجودة على الشَّبكة.

المُفتّش سامي: ماذا يعني هذا حسب رأيك؟

المساعد وليد: ليس هناك أيُّ أثرٍ لها فلم تكتب الصحافة عنها و لم تُعلن عن وظائف شاغرة و لم تُوقِّع صفقات مُهِمَّة و لم يقع تصنيفها في أيٍّ من الأدلَّة التجاريَّة و لم تنخرط في الغرفة التجاريَّة و الصناعيَّة.

المُفتّش سامي: هذا غريب فعلاً و يزيد من الشُّكوك حولها فكُلُّ شركة تجاريَّة تحاول أن تكون معروفة و تحرص على الحضور في وسائل الإعلان و الاجتماعات و الجمعيات حتَّى تُرَوِّج لنفسها لكنّ الظاهر أنَّ هذه الشَّرِكة لا تهدف لذلك بل على العكس فهي تحاول أن تبقى بعيدة عن الأنظار و كأنّ أصحابها يريدون أن يُنفِّذوا من خلالها عمليَّات مشبوهة

يفتح المساعد وليد مِلَفّ عمليَّات الشَّرِكة المشبوهة و يُطالع في الأوراق.

المساعد وليد: لقد وجدت رقم حساب الشَّرِكة البنكي. إنَّها فتحت حسابا في "البنك الوطني". سأنطلق حالا للحصول على الكشف.

المُفتّش سامي: لا تنسى أن تُودع طلبا بإذن تفتيش مَقرِّ الشَّركة فعُنوانها مكتوب أيضا في المِلَفّ .

المساعد وليد: حاضر سيِّدي

المُفتّش سامي: انطلِقْ الآن يا أشرف للسجل التِّجاري و احضر مِلَفّ الشَّركة

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي.

يخرج المساعدان و الهِمَّة و النَّشاط بادية عليهما فلقد بدءوا يتلمَّسون أوَّل الخيوط الماديَّة التي يمكن أن توصلهم للجناة.

في طريقهم للخروج و في أحد ممرَّات المباحث الجنائيَّة يلتفت المساعد أشرف لزميله وليد و يقول:

المساعد أشرف: العمل مع المُفتِّش سامي مُتعِب لكن مُمتِع في نفس الوقت فهو دائم التفكير و الحركة ولا يكاد يهدأ

المساعد وليد: هذا الذي جعل منه واحدا من أفضل المُفتّشين في المباحث الجنائيَّة. إنَّه إضافة لحركته و نشاطه الكبيرين يتميز بذكاء و فطنة نادرتين.

المساعد أشرف: هذا صحيح فأنا حقيقة أتعلم منه الكثير كلّ يوم

المساعد وليد: أنَّك محظوظ فعلا أن بدأت مشوارك المهني كمساعد للمُفتِّش سامي فالذي تتعلمه في سنة واحدة من العمل معه يوازي ما يتعلمه غيرك في أقسام أخرى من المباحث في سنوات

المساعد أشرف: لكن إلاّ تلاحظ أنَّ أسلوبه في الكلام جاف نوعا ما

المساعد وليد: هو كذلك دائما عندما يتولَّى التَّحقيق في قضيَّة مُهِمَّة و صعبة يكون مُتوتِّرا بعض الشيء و لا يسمح بالأخطاء أو بالتَّهاون فلقد طلب نقل العديد من المساعدين الذين التحقوا به في مكتبه و ذلك منذ القضايا الأولى التي عمِلوا فيها معه و ذلك إمَّا بسبب تهاونهم أو غبائهم أو عدم انضباطهم و لم يعمِّر معه إلاّ عدد قليل من المساعدين. لكن إنْ تعاون المساعد معه كما يجب فإنَّ ذلك يعني أنَّه سيكون له مستقبل جيِّد في المباحث فالزُّملاء الذين كانوا مساعدين للمُفتِّش سامي أصبحوا اليوم من خيرة المُفتّشين.

المساعد أشرف: معك حقّ فلمّا علِمت أنَّني سألتحق بفريق المُفتّش سامي تلقَّيت بعض التَّهاني من زملائي و ذلك نظرا للسمعة الطيِّبة التي يتمتَّع بها. فليُعنَّا الله على إكمال هذا التَّحقيق بنجاح و أبدأ حياتي المِهَنيّة بإنجاز إيجابي.

المساعد وليد: كلّ هذه العَصبيَّة و التَوتُّر تزول بعد الفراغ من التَّحقيق و تراه عاد لطبيعته بَشوشا و بسيطا و في كلامه الكثير من الدعابة و اللطف. ثمّ اعتبر نفسك تعمل في مؤسسة عسكريَّة لا مجال فيه للصداقات بقدر ما فيها من تنفيذ صارم للأوامر. ثمَّ لا تنسى أنَّ مسؤولية التَّحقيق و نتائج التَّحقيق على كاهله لوحده فإن تعثَّر التَّحقيق فسيقع اللّوم عليه وحده و لذلك تراه حريصا و جادا.

ينطلق المساعدان كلٌّ إلى مُهمَّته في حين يجلس المُفتّش سامي وحيدا في المكتب. يطلب من الساعي أن يحضر له قهوة. يحتسيها و يفكِّر بعمق و هدوء و هو مغمَض العينين و كأنَّه يستحضر كلّ تفاصيل القضيَّة و تطور التَّحقيق و يحاول أن يجمع أجزاء "الصُّورة الممزقة" عله يتعرف على هوية صاحبها أو يقرأ فيها ما يعجز أن يقرأه في كلّ تفصيل لوحده. يدون بعض الملاحظات في دفتره الصغير فيكتب: " يتوجه التَّحقيق الآن في ثلاثة اتجاهات رئيسية: ١- اتجاه الشَّركة المستوردة حتَّى نعرف ما هي السلعة المُهَرَّبَة و أصحاب الشَّركة. ٢- اتجاه فيلاّ "وردة الرمال" و سهراتها المشبوهة مكان تدبير جريمة القتل و روادها المشتبه بهم كمخططين للجريمة ٣- اتجاه عامل النظافة بحكم أنَّه منفذ الجريمة و ركنها المادي. كلّ هذه الاتجاهات توصلنا بالتأكيد للجناة.

يأخذ المُفتّش مِلَفّ عمليَّات توريد الشَّركة المشبوهة و يطَّلع عليها من جديد. يجد رقم هاتف الشَّركة فيخطر في باله أن يتَّصل بها مُدَّعيا أنَّه مندوب مبيعات لشركة كمبيوتر يريد أن يُحدِّد موعدا مع المدير للقيام بعرض بيعي. يتَّصل بالرقم لكنَّه يُفاجَئ أنَّ الرَّقم خارج الخدمة. يعيد الكرة و يتأكَّد من الرقم المطلوب و لكن نفس الشيء الرقم خارج الخدمة. تزداد الشُّكوك عند المُفتّش يقرِّر استعجال إذن التفتيش. يتَّصل بالإدارة و يطلب الإذن فورا فيعلموه أنَّه سيكون عنده في حدود نصف ساعة.

يتسلَّم المُفتّش سامي الإذن بالتفتيش و يتَّصل بالمساعد وليد و أشرف ليطلب منهما ملاقاته في عُنوان الشَّركة حتَّى يشاركوه في التفتيش. يُخبره المساعد أشرف أنَّه أتمَّ مُهمَّته و أنَّ المِلَفّ في حوزته بينما لا يزال ينتظر المساعد وليد الكشف البنكي و أغلب الظن أنَّه سيحصل عليه قريبا.
يصطحب المُفتّش سامي قوّة معه تسانده في التفتيش و يتحوّل فورا للعُنوان المذكور: فيلاّ في أطراف المدينة في حيٍّ لا توجد به حركة مرور كبيرة فهو ليس بالحي التِّجاري أو الإداري الذي عادة ما تختار الشَّركات أن تفتح مكاتبها فيه. تقف سيَّارات الشرطة عند بوَّابة الفيلاّ و يندهش المُفتّش سامي من

وجود روضة للأطفال في نفس عُنوان الشَّركة. يقترب المُفتّش سامي من بوَّابة الفِيلاّ فيشاهد الأطفال يلعبون في حديقتها. يقترب منه حارس الروضة مستفسرا عن سبب قدوم الشرطة.

الحارس: تفضّل سيِّدي هل أقدر أن أساعدكم؟

المُفتّش سامي: أليس من المفروض أن توجد شركة تجهيزات و معدات زراعيَّة في هذه الفِيلاّ عوضا عن روضة الأطفال هذه؟

الحارس: لقد استأجروا هذه الفِيلاّ لستَّة أشهر و غادروها منذ شهرين تقريبا و هي الآن فتحت روضة أطفال. الله لا يعيد أيَّامهم

المُفتّش سامي: لماذا تدعو عليهم؟

الحارس: لقد كانوا عبوسين و غير لطيفين بالمرَّة معي. كما كانوا بخيلين فلا يجود أحدهم عليَّ بفلس واحد. لا يعرفون إلاّ إعطاء الأوامر

المُفتّش سامي: كم كان يعمل هنا في الشَّركة؟

الحارس: لم يكن هناك سوى شخصين فقط يأتي أحدهما من حين للآخر لنصف ساعة أو ساعة على أقصى تقدير ثم يُقفل الشَّركة و يذهب ليختفي و يظهر بعد عِدَّة أيام. أنا لم أرى في حياتي شركة تعمل بهذه الطريقة لا موظَّفين و لا زبائن و لا تفتح كلّ يوم.

المُفتّش سامي: هل تتذكَّر وجوههما؟

الحارس: لا أظُنّ أنَّني سأتعرَّف عليهما بسهولة سيِّدي فقد كانا يأتيان نادرا و قد غابا منذ شهرين كما أنَّهما لم يكونا يتحدثان معي طويلا فهي كلمة أو كلمتان يقولانِها لي و هما بالسيَّارة.

المُفتّش سامي: أيُّ نوع من السيَّارات كانا يركبان؟

الحارس: سيَّارات فخمة سيِّدي من أحدث الموديلات. لا تلمني فأنا لا أفهم في السيَّارات و لا في ماركاتها لكني أتذكّر ألوانَها فكانت واحدة فضية و الثانية سوداء و كانت سيَّارات طويلة و فخمة. هذا كلّ ما أتذكَّره.

المُفتّش سامي: بعدما غادروا الفِيلاّ، و أنتم تنظِّفونها، هل وجدتم داخلها وثائق أو أشياء خلَّفَتها الشَّركة؟

الحارس: لا سيِّدي على الإطلاق فقد أخذوا كلّ شيء و لم يتركوا و لا قصاصة ورق واحدة حتَّى أنَّهم أحرقوا كلّ الجرائد و الأوراق في حديقة الفِيلاّ و لم يتركوا أيّ أثر.

المُفتّش سامي: من هو صاحب الفِيلاّ؟

الحارس: صاحب الفِيلاّ شخص ثري يعيش خارج البلاد في أمريكا على ما أظُنّ و لا يأتي إلى هنا إلاّ نادرا حتَّى أنَّني لم أقابله قط

المُفتّش سامي: إذًا مَن الذي يُدير إيجار هذه الفِيلاّ؟

الحارس: لقد أوكل لمكتب عقَّاري مُهِمَّة إدارة الفِيلاّ من إيجار و صيانة و حراسة فحتى أنا أستلم راتبي من مكتب العقار كلّ شهر.

المُفتّش سامي: هل عندك بطاقة هذا المكتب؟

الحارس: أجل سيِّدي فقد أعطاني البعض منها و أوصاني أن أُسلِّم بطاقة لكل شخص يريد تأجير الفِيلاّ. دقيقة واحدة و سأحضرها لك

يدخل غرفته الصغيرة عند بوَّابة الفِيلاّ و يخرج بعد قليل و معه بطاقة يحملها بكُلُّ عنأيَّة ويُسَلِّمها للمُفتِّش.

يُسَلِّم المُفتّش سامي بدوره أرقامه للحارس.

المُفتّش سامي: شكرا لك. هذه أيضا أرقامي لو لمحتهم أو تذكَّرت أيَّة معلومات اتّصل بي فورا

الحارس: مفهوم سيِّدي. لكن ماذا فعلوا؟ لقد كنت أشك أنَّ ورائهم مصيبة.

المُفتّش سامي: هذا غير مهم. اتّصل بنا فقط إن لاحظت أو تذكَّرت شيئا.

يأمر المُفتّش سامي القوّة التي رافقته بالانصراف و يصل في نفس الوقت المساعد أشرف. ينزل من السيَّارة و يستغرب من وجود روضة أطفال.

المساعد أشرف: أين ذهبت الشَّركة؟ العُنوان صحيح و ماذا تفعل هذه الروضة هنا؟

المُفتّش سامي: لقد تبخَّرت الشَّركة و لم تترك أيّ أثر. لا وثائق و لا أسماء و لا أيّ شيء. ليس لدينا إلاّ عُنوان المكتب العقَّاري الذي قام بتأجير الفِيلاّ للشَّركة. آمل فقط أن لا يكون هذا الخيط مقطوعا أيضا.

المساعد أشرف: إنَّه ا إذا عصابة خطيرة و على درجة عالية من المِهَنِيَّة و الحرص فلا تترك أيّ أثر ورائها

المُفتّش سامي: تأكّد أنّه مهما كان المجرم ماكرا و حريصا فلا بدَّ أن يخطئ و يرتكب سهوا يُوقِع به في النهايَة . لكن يجب علينا أن نتحلى بالصبر و المثابرة. فلْنَعُد للمكتب و نرى ماذا سنفعل هناك.
المساعد أشرف: هيَّا بنا.

في الطريق يُغيِّر المُفتّش سامي رأيه و يُقرِّر أن يزور المكتب العقَّاري. يدخل المُفتّش و مساعده "مكتب أبو ياسر العقَّاري". يلقيان التَّحيَّة على صاحب المكتب، أبو ياسر، و هو رجل عجوز في السبعين من عمره.
المُفتّش سامي: أنا المُفتّش سامي و هذا مساعدي أشرف من المباحث الجنائيَّة و لدينا بعض الأسئلة نودُّ طرحها عليك
أبو ياسر: أنا في الخدمة سيِّدي. لكن دعنا نضيِّفكم أوَّلا
المُفتّش سامي: لا داعي لذلك فنحن على عجلة من أمرنا. نريد أن نعرف من الذي استأجر الفِيلاّ التي أصبحت اليوم روضة أطفال و التي وقع استعمالها كمقرٍّ لشركة معدات زراعيَّة؟
أبو ياسر: نعم...نعم لقد تذكَّرت. لقد زارني هنا في المكتب شخص يدَّعِي أنَّه من الشَّرِكة المذكورة و أراد تأجير الفِيلاّ بسرعة. لم يناقشني لا في السعر و لا في شروط الإيجار و دفع لي إيجار ستَّة أشهر مقَدَّما. لكنَّ الشَّرِكة اختفت فجأة و لم أستطع حتَّى الاتِّصال بأصحابها حتَّى أعرف إن كانوا ما يزالون بحاجة لها أم لا. و اضطُرِرْت أنْ أُؤَجِّرها للرَّوضة بعدما استدعيت الشرطة و قمنا بمعاينة للفيلاّ و سجَّلنا في المحضر أنَّ الشَّرِكة غادرت و أخذت كلّ أغراضها منها و ذلك حتَّى أُبَرِّئ ذمَّتي.
المُفتّش سامي: ما اسم الشّخص الذي أجَّرها منك؟
أبو ياسر: كان اسمه على ما أظُنّ "رجب سالم" دعني فقط أتأكَّد من عقد الإيجار.

يفتح دفتر الإيجار و يُوَرِّق صفحاته الخضراء بسرعة ثم يتوقّف عند العقد المطلوب. يُقرِّب العقد من عينه اليمنى جيِّدا، فهي التي مازالت تعمل بنصف إمكانيتها أمّا العين اليسرى فلم تعد إلاّ ديكورا.
أبو ياسر: نعم بالضبط "رجب سالم" حتَّى أنَّني سجَّلت هنا رقم بطاقته
المُفتّش سامي: دَوِّن لديك بيانات "رجب سالم" يا أشرف. هل لك أن تصف لنا هذا الرَّجل.
أبو ياسر: أجل لقد كان شابا قويّ البنية و طويل القامة و هذا كلّ ما أذكره فالذاكرة لم تعد كما كانت عليه زمان ثم أنَّ النظر صار ضعيفا و لا أكاد أن أميِّز حتَّى ملامح الوجه

المُفتّش سامي: هل لديك معلومات أخرى تريد أن تُدلي بها؟

أبو ياسر: لا سيِّدي فاتّصالي بهذه الشَّركة كان لمرَّة واحدة فقط. كانت حقيقة غريبة و كنت أشعر أنَّ هناك أمرا غريبا في القصة. ما هي قصتهم سيِّدي؟ و ماذا فعلوا؟

المُفتّش سامي: هذه أرقامي. اتّصل بي إذا تذكَّرت أيَّ شيء يهم القضيَّة

يغادر المُفتّش و مساعده مكتب أبو ياسر العقَّاري و يتَّجهان للمكتب و في الطريق يسأل المُفتّش سامي مساعده:

المُفتّش سامي: لقد وجدنا بداية الخيط مرَّة أخرى بعدما فقدناها أمام الفيلاّ. "رجب سالم" هو الاسم الوحيد المُتورِّط مباشرة في القضيَّة و يمكن لنا إن وصلنا إليه أن نُسقط بقيَّة أفراد العصابة

المساعد أشرف: نعم هذا صحيح فلأوّل مرَّة نصل إلى اسم حقيقي. كنّا نتعامل مع فرضيَّات و أشباح حتَّى أنَّ اسم" رجب سالم" ليس غريبا عليّ إذ وجدت نفس الاسم في مِلَفّ الشَّركة المودع في السّجلّ التِّجاري. إنّ "رجب سالم" هو صاحب الشَّركة و الذي قام بالإبلاغ عن تأسيسها.

المُفتّش سامي: ماذا؟ هذه معلومة غايَة في الخطورة. إننا نقترب بسرعة لمركز الدائرة. اقرأ لي بيانات الشَّركة و صاحبها.

المساعد أشرف: تأسّست هذه الشَّركة في شهر أبريل من السَّنة الماضية من قبل "رجب سالم". نشاطها الرَّئيسي هو استيراد و تسويق المُعدَّات و المستلزمات الزراعيَّة برأس مال يُقدَّر بمائة ألف دولار. عُنوانها هو عُنوان الفيلاّ التي كنّا بها أمّا البنك الذي فتحت فيه حسابا هو "البنك الوطني". صاحب الشَّركة يسكن في حارة في وسط البلد.

المُفتّش سامي: فلنذهب بسرعة و نقبض عليه. اتّصل بالمساعد وليد و أخبره بإلغاء الحضور للفيلا و العودة مباشرة للمكتب و استصدار بطاقة جلب بحقّ "رجب سالم" و أعطه رقم بطاقته.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي.

تنعطف السيَّارة و تتجه مباشرة لوسط البلد و عُنوان المُتَّهَم الأول "رجب سالم".

تتوقف السيَّارة عند أحد الأزقّة التي يستحيل بعدها أن تتقدم أكثر. يترجَّل المُفتّش و مساعده و يتقدَّمان في الأزقَّة الضيِّقة و المتّسخة للحارة. يستوقفان من حين لآخر بعض المارَّة ليسألوهم عن العُنوان فيستحيل على غريب عن الحارة أن يصل لمترل أحد سُكَّانها دون مساعدة أهلها فالبيوت

صغيرة و متشابهة و متراصَّة و كأنَّها خليَّة نحل. يصلان أخيرا أمام بيت المُتَّهَم. بيتٌ آيل للسقوط. يجلس أمام البيت رجل عجوز قد نال منه الزمن الكثير. يسأله المُفتِّش سامي؟

المُفتِّش سامي: هل "رجب سالم" يسكن في هذا البيت؟

الجار العجوز: نعم إنَّه يسكن في غرفة في أعلى سطوح هذا البيت.

يسحب المُفتِّش سامي و مساعده أسلحتهما و يهِمَّان بصعود السلّم و اقتحام غرفة المُتَّهَم. و فجأة يتكلَّم الجار.

الجار العجوز: خيرًا إن شاء الله؟ إنَّه غير موجود في غرفته.

المُفتِّش سامي: أين هو إذا؟

الجار العجوز: إنَّه في المستشفى منذ أسبوعين.

المُفتِّش سامي: ماذا حلَّ به؟

الجار العجوز: لقد أُغمِي عليه و سقط في الشارع و كان سيموت لولا أنَّ بعض أولاد الحلال تدخَّلوا و أوصلوه للمستشفى و هو يصارع الموت منذ أسبوعين.

المُفتِّش سامي: مَن مِن عائلته موجود بالبيت الآن؟

الجار العجوز: لا أحد. ليست له عائلة فلقد ماتت زوجته منذ أكثر من خمسة عشرة سنة و ليس له أولاد. و لا نعرف شيئا عن إخوته إذ أنَّه لَمَّا أتى لهذه الحارة ليسكن فيها مِن ثلاثين سنة قال لنا أنَّه ترك بلدته البعيدة و كلّ عائلته هناك و لم تكن له علاقة بها.

المُفتِّش سامي: منذ ثلاثين سنة؟ كم عمره الآن؟

الجار العجوز: الله أعلم بالأعمار لكن الأكيد أنَّه من أندادي. يجوز أن أكون أكبر منه ببضع سنوات أو العكس.

ينظر المُفتِّش سامي بحيرة و توتر لمساعده أشرف.

المُفتِّش سامي: هل هو شاب أم عجوز؟ لم أعد أفهم شيئا. على كلٍّ تأكَّد من أمر الغرفة.

يصعد المساعد أشرف لغرفة المُتَّهَم فإذا بها غرفة بسيطة مبنيّة من الصفائح و الخشب القديم و لا تكاد تتّسع لشخص واحد. يفتحها فإذا هي فارغة إلاّ من مرتبة صغيرة بالية و أدوات الشاي و قوارير الخمر

المتناثرة في كلّ مكان. ينزل المساعد أشرف و يخبر المُفتّش بما رآه. يرجعان للسيَّارة و الحيرة تملأهما و هذه المَرّة لم تكن الحيرة فقط واضحة على المُفتّش سامي لقد بدت عليه أيضا علامات الغضب و التشنُّج.

المُفتّش سامي: أشعر أنَّني ألاعب الشيطان فكُلَّما اقتربنا من الإمساك بدليل مادي أكيد إلاّ و تبيَّن لنا أنَّه سراب و نرجع لمرحلة الصفر

المساعد أشرف: هناك تناقض كبير بين الشهادات فالمُتَّهَم يكون شابا حينا و شيخا مترهلا حينا آخر

المُفتّش سامي: ليس هناك سوى تفسير واحد و هو أنَّ هناك شخصان أحدهما الشَّيخ العجوز صاحب الشَّركة و الآخر شاب ينتحل اسم الشَّيخ ليقوم بالإجراءات اللازمة.

المساعد أشرف: لكن كيف يمكن أن يكون شيخا مُعدَما لا يملك في الدُّنيا سوى مرتبة بالية و يكون صاحب شركة برأس مال مائة ألف دولار؟

المُفتّش سامي: هذا أيضا سؤال محيِّر و هو مفتاح من مفاتيح القضيَّة.

تصل سيَّارة المُفتّش للمستشفى. يُظهِر المُفتّش شارته لإدارة المستشفى و يسأل عن "رجب سالم". تبحث المُمَرّضة في سجل المرضى الواردين للمستشفى بهذا الاسم و تُخبرهم أنَّه ب العنايَة المركز منذ أسبوعين.

يدخل المُفتّش و مساعده جناح العنايَة المركزة و يطلب من الدكتور أن يقابل المريض و يتحدّث معه. يرفض الدكتور متعلِّلا بسوء حالته الصحية و يُصرُّ المُفتّش نظرا لأهمية و خطورة القضيَّة و يعِدُه أنَّه لن يطيل استجوابه. يسمح له الدكتور بمقابلته على ألاّ يتجاوز الخمس دقائق.

يدخل المُفتّش و مساعده غرفة المُتَّهَم و يجدانه مُمدَّدا في سريره يتنفَّس بواسطة قناع الأوكسجين و كلّ جسمه مرتبط بأجهزة أخرى و أسلاك. يبدو نائما. إنَّه عجوز مُنهَك جِدًّا و ليس له أيّ حول أو قوّة تكاد الروح تفارقه من حين لآخر. يقترب منه و يوقظه برفق. يفتح عينيه بصعوبة. ينزع عليه المُفتّش قناع الأوكسجين.

المُفتّش سامي: أنا المُفتّش سامي من المباحث الجنائيَّة. هل تسمعني جيِّد ا؟

رجب سالم: (يومئ برأسه بالإيجاب)

المُفتّش سامي: هل أنت "رجب سالم" الساكن بالحارة وسط البلد؟

رجب سالم: (يومئ برأسه بالإيجاب)

المساعد أشرف: هل أنت صاحب شركة التجهيزات الزراعيَّة ؟

رجب سالم: (يتكلَّم بصعوبة و بصوت خافت) هل هذه...حالة...صاحب شركة؟

المُفتّش سامي: كيف تُفسِّر إذا وجود اسمك و بياناتك الكاملة في السّجلّ التِّجاري؟

رجب سالم: أنا لا أعلم شيئا عن هذه الشَّركة....أو غيرها. كلّ ما هناك أنّني.... وقَّعت في يوم من الأيّام على ورقة و .... تسلَّمت ألف دولار نظير هذا التوقيع.

يلتفت المُفتّش سامي لمساعده باستغراب من هذه الحكاية الغريبة.

المُفتّش سامي: ماذا كانت هذه الورقة التي وَقَّعتَ عليها؟

رجب سالم: لا أدري... فلقد كنتُ مخمورا لما وقَّعتها... كما أنّني لا أُجيد القراءة و لا الكتابة.

المُفتّش سامي: من الذي جعلك تُوقِّع على هذه الورقة؟

رجب سالم: لا أعرف اسمه.... و لا أتذكَّر حتَّى شكله ...فلم أقابله إلاّ مرّتين و بسرعة ....في كلّ مرة. أذكر فقط أنَّه كان شابا طويل القامة.

المُفتّش سامي: كيف و أين تعرَّفت عليه؟

رجب سالم: كنت جالسا في خمَّارة البلد كعادتي... و لم يكن معي من النقود لأشتري كأس خمر أخرى... و كان النَّادل تضايق منِّي و دعاني لمغادرة الحانة لمرَّات عديدة... و كنت أرفض و أطالب بكأس أخرى لأخرج... فجأة وجدت هذا الشَّاب واقفا أمامي.... طلب من النَّادل قارورة خمر من أفضل الأنواع التي لديه ...و طلب أطباقا عديدة من الأكل: مشويات... و سلطات و فاكهة... و سمك... استغربت من أمر هذا الشَّاب فلم أتعوَّد أن أحضى بكُلُّ هذا الكرم.... قدَّمت له التَّحيَّة و طلبت منه الجلوس و أنا مندهش من تصرُّف هذا الشخص الغريب.... (يسكت لفترة و كأنَّه يستجمع قواه ثم يواصل) و قبل أن أسأله عن سبب كرمه هذا قال لي..." هل تريد أن تحصل على مبلغ من المال يُؤمِّن لك في كلّ يوم قارورة خمر من النَّوعية الجيِّدة؟"... لم يكن السؤال يستدعي الكثير من التفكير فإنني مدمن على الخمر و لا أقدر أن أعيش بدون أن أشرب في كلّ يوم قارورة على الأقل... و لم تكن تتوفَّر لي هذه الفرصة إلاّ نادرا... كان عرضا أكثر من مُغرٍ... قلت له أنَّني موافق. قال لي " عليك فقط أن تُوقِّع على ورقة بسيطة هذا كلّ ما عليك أن تفعله" ...لقد خفت في البدايَة من هذه الورقة ثم قُلْت لنفسي و ما عساي أن أخسر فليس لي أملاك و أنا عجوز يتربص بي الموت في

كلّ زقاق ...و ليس في العمر بقية فحتى إن شنقوني فذلك سيريحني من عذاب الوحدة و المرض. وافقت على الفور... و واعدني أن يعود في الغد و معه الأوراق و مبلغ ألف دولار. تخيَّل لم أمسك في حياتي كلها مبلغ مائة دولار... و ها أنذا في آخر عمري أمسك بألف دولار كاملة. (يسكت عم رجب لفترة و كأنَّه يبحث عن أنفاسه من جديد)

يطرق الطبيب البلور من خارج الغرفة و يُشير للمُفتِّش بضرورة الانصراف. يطلب المُفتِّش منه دقيقة إضافية فقط

المُفتّش سامي: واصل يا عم رجب

رجب سالم: عاد في اليوم التَّالي و معه الأوراق و المال... طلب منِّي هويتي و سجَّل بياناتها ثم جعلني أختِم عليها. أعطاني المال و انصرف... و كانت هذه آخر مرَّة أقابله فيها.

يدخل الطبيب للغرفة و يُلحُّ في طلب المغادرة

الطبيب: لقد اتَّفقنا على خمس دقائق و أنت تجاوزت العشرة. أرجوك غادر حالا الغرفة.

يقترب الطبيب من المريض و يلاحظ أنَّ مؤشرات حالته تدهورت فيُرجع له قناع الأكسجين و يحقنه بعقار منشط.

يخرج المُفتِّش سامي و مساعده من الغرفة وينتظران الطبيب خارجا. يقترب المُفتِّش سامي من الطبيب و يسأله عن حالة المريض الصحية.

المُفتّش سامي: هل استقرَّت حالته يا دكتور؟

الطبيب: نعم لقد عادت للاستقرار لكن إجهادا كهذا يمكن أن يقضي عليه فجسمه مُتعَب جدًّا.

المُفتّش سامي: ما مرضه بالضبط؟

الطبيب: بالإضافة لمشاكل الشَّيخوخة الصحِّية فإنَّه يشكو بالأساس من تَليُّف في كبده نظرا لإدمانه على الكحول منذ سنوات طويلة كما أنَّنا اكتشفنا وَرَمًا خبيثا في معدته قد تمكّن من كامل الجسد. إنَّ كلّ يوم يعيشه هذا الرَّجل يُعتَبر معجزة.

المُفتّش سامي: معذرة إن أطلنا لكنَّه شاهد مهمٌّ في قضيَّة كبيرة. ستزوره في الغد للاطمئنان عليه و استكمال الاستجواب

الطبيب: حسنا لكن أرجوكم عدم الإطالة و أفضل أن أكون حاضرا في الاستجواب حتَّى أتدخَّل في الوقت المناسب.

المُفتِّش سامي: لا مانع عندي.

يغادر المُفتِّش و مساعده المستشفى و يتَّصل المُفتِّش بالمساعد وليد و يطلب منه إرسال عون شرطة لحراسة الشَّيخ في المستشفى

المساعد أشرف: لماذا تُحدِّد حراسة على العجوز فهو لا يستطيع الهرب

المُفتِّش سامي: هو لا يستطيع أن يهرب لكنَّ الآخرين يمكن أن يصلوا إليه و أن يقتلوه. لا تنسى و أنَّه الشاهد الرَّئيسي الوحيد في القضيَّة. إن اختفى فسنفقد أهمَّ دليل لدينا.

المساعد أشرف: صحيح أنَّه الشاهد الرَّئيسي لكنَّه لم ينفعنا بأيَّة معلومة. إنَّه لم ير شيئا

المُفتِّش سامي: هذا صحيح لكن لا تنسى أنَّه أكَّد لنا أنَّ هناك من استعمل اسمه كواجهة لعمليَّات مشبوهة و هذا دليل كبير على وجود هذه العمليَّات. إنَّه ليس دليلا كاملا بل قرينة مُهِمَّة تقنع القاضي بوجود عصابة إجرامية منظمة و خطيرة.

المساعد أشرف: رغم قلَّة المعلومات المفيدة إلاّ أنَّ العجوز ذكر لنا أنَّ الشخص الذي قدَّم له المال كان شابا طويلا فإذا جمعنا الشهادات الأخرى للاحظنا أنَّ "أبا ياسر" تعامل مع شاب طويل و نادل المقهى ذكر لنا أنَّ عامل النظافة الغريب كان شابا طويل القامة. هذا يعني أنَّ هذا الشَّاب طويل القامة كان رجل الميدان للعصابة و الذي يقوم بكُلِّ الاتِّصالات.

المُفتِّش سامي: ملاحظة ممتازة يا أشرف. لم أنتبه لهذه النقطة رغم أهمِّيَّتها.

المساعد أشرف: يجب أن نصل للرجل الطويل في أقرب الأوقات

المُفتِّش سامي: هذا ضروري لكنَّه صعب جدًّا

المساعد أشرف: لماذا؟

المُفتِّش سامي: إنّ العصابات الضالعة في الإجرام المُنظَّم تحترم أصول الإجرام فرجال الميدان الذين تستعملهم في جرائمها عادة ما تُبعدهم نهائيا عن مسرح الجريمة مباشرة بعد أن ينتهوا منها و ذلك بأن تُسفِّرَهم لأماكن بعيدة جدًّا تنعدم معها إمكانية الإمساك بهم أو التعرُّف عليهم و ذلك حتَّى تقطع أيَّ خيط يمكن أن يوصل التَّحقيق إليهم فهم بهذه الطريقة بعيدون كلّ البعد عن الجريمة و لا تربطهم بها أيَّة

صِلة مادِّية مع أنَّهم هم المُخطِّطون و الذين يُعطُون الأوامر و يستفيدون منها و هذا ما يُفسِّر صعوبة الإيقاع بهم على الرُّغم من أنَّ كلّ النّاس تعرف أنّهم وراء هذه الجرائم

المساعد أشرف: هل تقصد أنَّ الرَّجل الطويل تبخَّر أيضا

المُفتّش سامي: أجل. أغلب الظَّن أنَّه تبخَّر منذ شهرين على الأقل. لعلَّه الآن يستمتع بشواطئ و شمس البرازيل أو ملاهي "سيدني" في استراليا أو يمارس التزلُّج في سويسرا بجيوب ملآنة بالدولارات.

المساعد أشرف: يا إلهي أكاد أفقد الأمل

المُفتّش سامي: هذا ما يجب إلاّ يحدث مع أنَّني أشاركك نفس الإحساس. لكن لندعو الله أن تكون العصابة قد ارتكبت خطآ ما كإبقائها على الرَّجل الطويل في مسرح الجريمة.

المساعد أشرف: أظُنّ أنَّ هذه الإمكانية ضعيفة نظرا للتخطيط المحكم و الحرص الشديد للعصابة. أشعر أنَّنا نجري وراء أشباح نجدهم في كلّ مكان لكن لا نستطيع الإمساك بهم و أكاد أسمع ضحكاتهم العالية و هم يستمتعون بملاعبتنا و تعجيزنا

المُفتّش سامي: لنحتفظ بالأمل و بالمعنويات المرتفعة فلا شيء أسوأ من اليأس في عملنا.

☒ الخميس ١١ يناير السابعة مساءا في مكتب المباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي و مساعده للمكتب و يجدان المساعد وليد بانتظارهما. بعد التَّحيَّة يُعلمهما المساعد وليد أنَّ الشرطي الذي عُين كحارس للعجوز اتّصل به و أخبره أنَّ العجوز تُوفِّي منذ ربع ساعة تقريبا. كان هذا الخبر بمثابة القشّة التي قصمت ظهر المُفتّش سامي. تنهَّد بعمق و أخبر الجميع أنَّه سيغادر فورا للبيت و يلتقي بهم غدا.

يغادر المُفتّش سامي المكتب و يستقلُّ سيَّارته و كُلُّه شعور بالإخفاق. يؤنِّب نفسه عن تقصير محتمل في التَّحقيق أدّى إلى فشله. قلَّما يسجِّل المُفتّش سامي قضيَّةً ضدّ مجهول فهذه أكثر الأشياء المزعجة له و يعتبرها فشلا شخصيا ذريعا. و يستمدُّ سمعته و مكانته في المباحث من قدرته الكبيرة على الوصول للجناة و تقديمهم للمحاكمة.

يدخل بيته واجما مُتعَبا. تستقبله زوجته بابتسامة وديعة لكنَّه لا يقدر حتَّى أن يبتسم في وجهها. يطلب منها أن تعدَّ له الحمام. يجب أن يأخذ حمَّاما ساخنا و طويلا حتَّى يتخلَّص من شعور الإخفاق و يستعيد ثقته في نفسه.
لم يتعشَّى المُفتّش سامي جيِّدا كعادته فصحنه لم يكد ينقص منه شيء. نام باكرا ليلتها.

☒ الجمعة ١٢ يناير الثامنة و النصف صباحا في مكتب المباحث الجنائيَّة.

يدخل المُفتّش سامي للمكتب يُلقي التَّحيَّة على مساعديه و يجلس على مكتبه. يشرب قهوته و تبدو عليه علامات التَّعب رغم ساعات النوم الطويلة لليلة البارحة. يرِنُّ هاتف المكتب يجيب المساعد وليد ثم يُمرِّر المكالمة للمُفتِّش سامي قائلا أنَّ المتحدث هو رئيس القسم. يتكلم المُفتّش سامي مع رئيسه فترة ثم تبدو عليه علامات الدَّهشة و الفرحة و يشكر الرَّئيس على التهنئة و يُغلِق السَّماعة.

المُفتّش سامي: لقد أخبرني الرَّئيس للتَّو أنَّه تمَّ تعييني كملحق أمني بسفارة بلادنا في باريس و سأذهب في الحال للرئيس لتسلُّم خطاب التَّعيين.
المساعد وليد: مبروك سيِّدي فأنت تستحقُّ ذلك و أنت الأحقُّ بهذا المنصب
المساعد أشرف: تهانينا سيِّدي لكنَّنا بقدر ما نفرح لترقيتك هذه إلاّ أنّنا نأسف لافتقادك معنا في القسم فقد تعوّدنا على العمل معك و استمتعنا بذلك
المُفتّش سامي: شكرا على شعوركم النبيل هذا. أنا أيضا يعِزُّ عليَّ فراقكم لكن كما تعلمون هذه فرصة أحلم بها منذ سنوات حتَّى أحسِّن و ضعي المالي فالعمل كملحق أمني في بلد أجنبي يعني أن أتحصل على راتب جيِّد إضافة إلى بدلات التنقل و السفر و هذا يمكنني من توفير مبلغ معقول.

يذهب المُفتّش سامي لرئيسه المباشر و يتسلَّم منه الخطاب الرسمي للتعيين.
الرَّئيس : هذه فرصة كبيرة بالنسبة لك فزملائك الأقدم منك لم يحصلوا بعد على هذه الفرصة
المُفتّش سامي: هذا من حسن حظي سيِّدي و بفضل الله تعالى ثم للتَّقارير الإيجابية بخصوصي و التي ترفعها للوزارة
الرَّئيس : أنت تستأهل كلّ خير يا سامي فأنت أحد أفضل رجالي و أتمنَّى عودتك بسرعة للإدارة فليس لديَّ من يعوِّضك و بنفس كفاءتك

يقرأ المُفتّش سامي خطاب التعيين فيلاحظ أن موعد تسلُّم الوظيفة الجديدة يوم الاثنين ١٥ يناير
المُفتّش سامي: ماذا؟ موعد استلام الوظيفة الجديدة هو الاثنين ١٥ يناير؟

الرَّئيس : ليس لديك سوى يومان لإعداد نفسك و لذلك أمنحك إجازة من الآن. سلِّم فورا القضايا التي تعمل فيها للمساعد وليد و انصرف للاستكمال إجراءات السَّفر.

المُفتّش سامي: هذه حقيقة مفاجأة لم أكن أتوقَّعها. خاصَّة هذه السرعة في التَّنفيذ فجرت العادة أن يقع إعلام الضابط قبل شهر كامل من موعد استلامه للمنصب الجديد.

الرَّئيس : هذا صحيح. لكن كما تعرف فإنّ ظهور خطر الإرهاب يتطلَّب منّا التحرّك بسرعة و عدم احترام الآجال القانونية العاديَّة. فهناك أخبار عن تكوُّن جماعة إرهابية تُخطّط للقيام بأعمال تخريبية في بلدنا و تمَّ اختيارك لاختراق هذه الجماعات و كشف مخططاتهم و القبض عليهم. آمل أن تكون مُقدِّرا لخطورة مُهمَّتك الجديدة

المُفتّش سامي: نعم إنَّها مُهِمَّة خطرة و سأكون إن شاء الله عند حسن الحظ.

الرَّئيس : سيكون هناك في سفارتنا في باريس العميد "محمد علي" و ستعمل تحت إشرافه المباشر. للتذكير فقط فإنّ المعلومات حول الجماعات الإرهابية هي معلومات غايَة في السرِّية لا نريد لها أن تتسرب و تخلق حالة من الخوف و القلق عند الشعب. لقد أخبرتك بها بصفة شخصيّة و كان من المفترض أنَّك تجهل طبيعة مُهمَّتك حتَّى يتِمّ إعلامك بها في باريس من قِبَل العميد "محمد علي" فتظاهر بجهلك لطبيعة مُهمَّتك حتَّى ذلك الوقت.

المُفتّش سامي: مفهوم سيِّدي. فأنا لا أدري ما هي مهمتي.

يصافح الرَّئيس المُفتِّش و يتمنّى له حظا سعيدا و يودِّعه.

يعود المُفتِّش سامي لمكتبه و يُخبر مساعديه بضرورة تسليمه لِمَلَفّات القضايا للمساعد وليد لاستكمال التَّحقيق فيها على أن يساعده المساعد أشرف في ذلك.

المُفتّش سامي: كنت آمل أن أستكمل التَّحقيق في قضيَّة "حسين مالك" بالتَّحديد لكن شاءت الظروف ألاّ أفعل. على كلّ حال أنا واثق من قدرتكم على الوصول للجناة. أطلب منكم فقط أن تعلموني عند نهايَة التَّحقيق بنتيجته. الآن يجب أن أنصرف لاستكمال إجراءات السفر.

المساعد وليد: تشرَّفنا بالعمل تحت إمرتك و نكون سعداء لنجاحك في مجالك الجديد. أمانينا لك بكُلِّ التوفيق.

المساعد أشرف: نرجو لك كامل التوفيق و تسافر و ترجع لنا بالسلامة

يكره المُفتّش سامي الوداع فكادت دمعة أن تزل من عينه لكنه تماسك، أخذ أغراضه الخاصة من مكتبه و ألقى نظرة أخيرة عليه و غادره إلى البيت.

في البيت أخبر زوجته بنبأ الوظيفة الجديدة فقفزت من الفرحة.
الزوجة: باريس؟ سنعيش في باريس؟ أخير سأركب الطائرة التي حلمت دائما بركوبها و أتسوّق في محلات "الشان آليزاي" و "الكونكورد" و ألتقط صورا تحت "برج إيفل". يا لها من مفاجأة سارة
المُفتّش سامي: هذا حلم يتحقق. هيا ابدئي بإعداد الحقائب و أُدعي أهلك لسهرة غدا ليلا حتَّى نودِّعهم و سأتّصل أنا بأهلي لنفس الشيء.

عاشت زوجة المُفتّش سامي يوم الجمعة و السبت و الأحد في سعادة لا توصف. تعمل بكُلِّ اجتهاد في إعداد الحقائب و ترتيب البيت بأن تضع أغطية على الأثاث و تجمع الأغراض الثمينة و ترسلها عند أمِّها.

عمِل المُفتّش سامي طيلة هذه الأيام على إعداد الوثائق و الأوراق اللازمة للسفر و صفَّى بعض الأمور الأخرى كبعض الديون و الالتزامات و بقي ينتظر مع زوجته يوم الاثنين، السَّاعة التاسعة صباحا موعد انطلاق الطائرة لباريس.

☒ الاثنين ١٥ يناير السابعة و النصف صباحا في المطار.

دخل الزوجان المطار و اتجه المُفتّش سامي لمكتب شركة الطيران حتَّى يُسجِّل نفسه و حقائبه في الرحلة. وجد طابورا طويلا بقي واقفا فيه في حين طلب من زوجته أن تنتظره في قاعة الانتظار. طال انتظار المُفتّش لدوره في الطابور. بدأ يفكُّر في القضيَّة و لم يصبّره على عدم الوصول للجناة إلاّ وظيفته الجديدة لكن مع ذلك احتفظ بحيرته و رغبته في كشف أسرارها.

الآن القضيَّة بين يدي مساعديْه وليد و أشرف. إنَّه يعرف أنَّ الخبرة تنقصهما و القضيَّة يمكن أن تكون كبيرة عليهما لكن هذه فرصتهما للبروز و تحمل المسؤولية بمفردهما. لم يشأ أن يتَّصل بهما طيلة الأيام السَّابقة و ذلك حتَّى يشعرهما باستقلاليَّتهما الكاملة في التَّحقيق. لقد كان يرفع السماعة لمرَّات عديدة ليتَّصل بهما و يعدِل عن ذلك في آخر لحظة. كان ينتظر أن يتَّصلوا هم به و يُخبِروه بالتطوُّرات و يستشيروه لكن شيئا من ذلك لم يحدث.

بينما هو في أفكاره هذه إذ بجواله يرِنُّ. يستفيق من هذه الأفكار و يعتقد أنَّ أحد مساعديه اتّصل به ليودِّعه لكنَّه تفاجأ برقم غريب لا يعرف صاحبه.

المُفتّش سامي: السلام عليكم. سامي معك. من المتحدث؟

المخاطب: و عليكم السلام. أنا أحمد سيِّدي المُفتّش. أحمد الخادم في فِيلاّ "وردة الرمال"

المُفتّش سامي: أهلا و سهلا بك يا أحمد كيف حالك؟ و هل من جديد؟

أحمد: أنا بخير سيِّدي لكنَّني قَلِق بشأنك

المُفتّش سامي: ماذا حدث؟ لماذا تقول ذلك؟

أحمد: لقد سمعت البارحة في الفِيلاّ من المجموعة التي كانت ترافق المرحوم "حسين" أنّهم سيتخلَّصون منك أو أنّهم تخلَّصوا منك بالفعل، لا أدري بالضبط فقد التقطت هذه الكلمات من بعيد و أنا أحمل إليهم المشاريب و توقَّفوا عن الكلام لمّا اقتربت منهم. لقد كانوا في حالة من التَوتُّر الشَّديد في الأيام الأخيرة.

المُفتّش سامي: هل أنت مُتأكِّد أنَّك سمعت اسمي؟

أحمد: لست مُتأكِّدا تماما لكن ذلك هو أغلب الظن و قلت أنَّه من الأفضل إخبارك بذلك لعلَّهم يُدبِّرون لك بعض المَكيدات مثلما فعلوا للمرحوم.

المُفتّش سامي: حسنا فعلت يا أحمد. أريدك أن تسمعني جيِّدا. لا تتَّصل أبدًا من الفِيلاّ مهما كان الخبر. اِتّصل من كابينة اِتّصالات عمومية و تحدث مع وليد أو أشرف فأنا تنحيّت عن ه<ه القضية و سأسافر حالا خارج البلاد.

أحمد: مفهوم سيِّدي. سأُنفذ تعليماتك

المُفتّش سامي: حاول أن تتحصل على معلومات أكثر لكن دون أن تعرض نفسك للخطر و إذا شعرت بأي خطر غادر الفِيلاّ فورا. مع السلامة الآن و كن حذرا.

أحمد: حاضر سيِّدي. مع السلامة.

يُغلِق المُفتّش سامي السّماعة و تجول بخاطره أفكار عديدة. ماذا لو كان كلام أحمد صحيحا؟ ماذا يمكن أن يدبِّروا له فهو مغادر البلاد و لقد ابتعد كلِّيا عن القضيَّة؟ يطرق في التفكير لفترة و يستفيق على صوت موظف شركة الطيران يطلب منه جواز السفر و التذاكر. ينظر إليه المُفتّش سامي في استغراب و كأنَّه يرى شبحا ثم يغادر فجأة الطابور و يتَّجه نحو زوجته. يستغرب موظف شركة الطيران تصرُّف المُفتّش و يتأسَّف على حالة النّاس لقد أصبحوا يتصرَّفون كالمجانين.

يقترب من زوجته و يقول لها.

المُفتّش سامي: هيا بنا

الزوجة: هل أكملت الإجراءات؟

المُفتّش سامي: لا سنرجع لبيتنا

الزوجة: ماذا؟ لبيتنا؟ هل نسيت شيئا مُهِمًّا؟

المُفتّش سامي: لا. لكنَّني ألغيت السفر

الزوجة: ماذا تقول؟ ما لك يا رجل؟ كيف؟ لماذا؟

المُفتّش سامي: سأُفسِّر لكِ كلّ شيء فيما بعد فلننطلق الآن.

الزوجة: يا إلهي لم أكَّد أهنئ بالسّفر. أكيد أنَّ أحدهم حسدنا

يخرج المُفتّش سامي و زوجته من المطار و هي تتذمر و لا تفهم شيئا. يستأجر تاكسي يضع فيه الحقائب، تركب زوجته و يهِمُّ هو بالركوب حين يلاحظ رجلا يركب في سيَّارة وراء التاكسي مباشرة. لقد رأى هذا الرَّجل وراءه في طابور شركة الطيران منذ قليل فماذا يفعل الآن وراءه؟ يركِّز على رقم لوحة سيارته و يحفظه. يركب التاكسي و يطلب منه أن يوصله للبيت. يخرج المُفتّش سامي دفتره و يُدوِّن فيه رقم اللوحة. يستعمل جواله و يتَّصل بالمساعد وليد.

المُفتّش سامي: السلام عليكم أنا المُفتّش سامي.

المساعد وليد: و عليكم السلام. كيف حالك سيِّدي هل سافرت أم لا تزال في البلد؟

المُفتّش سامي: لقد ألغيت السفر.

المساعد وليد: ماذا؟ هل هناك مشكلة؟

المُفتّش سامي: لقد تلقَّيت للتَّو اتِّصالا من "أحمد" الخادم في الفِيلاّ يُنبِّهني فيه لمؤامرة سوف تُنفِّذها عصابة الفِيلاّ ضدّي. و أنا مُتأكِّد أنهم نفَّذوها و ذلك بإبعادي عن القضيَّة عبر هذه الوظيفة الجديدة. طريقة ذكية حتَّى يتخلَّصوا منِّي بكُلُّ هدوء.

المساعد وليد: هل أنت مُتأكِّد من ذلك. إنَّها مسألة غايَة في الخطورة فإنَّ ذلك يعني أنَّ لهم نفوذا كبيرا في الوزارة.

المُفتّش سامي: نعم هو كذلك و سأثبت ذلك لك حالا. لديَّ رقم لوحة سيَّارة كان صاحبها يراقبني و أنا في المطار و لما غادرت المطار تبعني. هل لك أن تتَّصل بإدارة المرور و تعرف اسم صاحب السيَّارة و تُعلمني فورا على جوالي؟

المساعد وليد: فورا سيِّدي ما هم الرقم؟

يملي المُفتّش سامي رقم اللوحة على مساعده.

المُفتّش سامي: احتفظ بالسرِّية التامة حول إلغاء سفري حتَّى أصل للمكتب.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي.

تنظر زوجة المُفتّش لزوجها في ذهول و تقول:

الزوجة: هل ألغيت السفر من أجل القضيَّة؟ ما لك و لهذه القضيَّة دعها لزملائك يُحقِّقون فيها ألا يوجد مُفتِّش غيرك في المباحث؟

المُفتِش سامي: أرجوكِ. لنؤجِّل ذلك حتَّى نصل للبيت.

في طريق العودة الطويل للبيت يتَّصل المساعد وليد بالمُفتِّش سامي و يخبره أنَّ السيَّارة مُلكٌ "لسليم شهاب" و هو أحد أفراد المجموعة التي كان يسهر معها القتيل في الفِيلاّ و هو من أكبر رجال الأعمال في البلد و هو يملك ما يفوق عن عشرين سيَّارة.

المُفتِش سامي: لقد أصبح للمجرمين اسم و وجه من جديد

المساعد وليد: أظنك على حقّ في تخميناتك لقد أرادوا إبعادك و أرسلوا أحد معاونيهم ليتأكدوا أنَّك غادرت البلاد فعلا و هم الآن على علم أنَّك لم تغادر و لذلك أرجوك أن تلزم الحذر

يصل المُفتِّش سامي لبيته. يُدخل الحقائب و يأخذ مفاتيح سيارته و ينطلق بها فورا لمكتبه. تشغل بال المُفتِّش أفكار كثيرة خلال الطريق و يسترجع كلّ تفاصيل القضيَّة بعد أن ابتعد عنها لثلاثة أيام و انشغل بأمور السفر.

يلوم نفسه، كيف انطلت عليه حيلة من هذا النَّوع و فرح كالأطفال بالسفر دون أن يسأل نفسه عن سبب اختياره هو بالذات لهذه المهمة خاصة و أنَّ عدد كبيرا من زملائه الذين يفوقونه خبرة و سنوات عمل ينتظرون حظهم منذ زمن بعيد. لقد عطَّلت الفرحة تفكيره المنطقي و جعلته لا ينتبه لمسألتين: لماذا هو بالذات في حين أنَّ هناك كثيرين أحقُّ منه بالمُهِمَّة ؟ و لماذا في هذه الفترة بالذات و بهذه السرعة تمَّ تعيينه؟

☒ الاثنين ١٥ يناير العاشرة صباحا بمكتبه في المباحث.

يصِل المُفتّش للمباحث الجنائيَّة و يدخل مكتبه. يستقبله مساعداه بحفاوة و ترحيب و كأنَّه غاب عنهم لسنين طويلة. يستأذن منهم ليقابل رئيسه المباشر.
يدخل المُفتّش سامي مكتب رئيسه فيستغرب هذا الأخير لرؤيته.

الرَّئيس : سامي؟ ماذا تفعل هنا؟ من المفروض أنَّك في باريس اليوم؟
المُفتّش سامي: صحيح هذا هو المفروض. لكني غيَّرت رأيي
الرَّئيس : ماذا؟ غيَّرت رأيك؟ هل تعتقد أنَّ الشرطة لعبة تغيّر رأيك في أيّ وقت. إنَّها أوامر و يجب عليك أن تُنفِّذها أو تُقدَّم للمحاكمة العسكرية. هل نسيت واجباتك أيُّها المُفتّش؟
المُفتّش سامي: لا لم أنسى أبدا واجباتي و أنا هنا الآن لأني متمسِّك بأداء واجبي كما يجب و لديَّ مبرِّراتي التي أودّ أن أقدِّمهما لك لو سمحت لي سيِّدي
الرَّئيس : تفضّل أسمعني
المُفتّش سامي: إنَّ تكليفي بالمُهمَّة الجديدة في باريس ليس مكافئة لي أو اعترافا بمجهودي و بكفاءتي بل هي محاولة لإبعادي عن التَّحقيق في قضيَّة مقتل "حسين مالك".
الرَّئيس : هذا الكلام خطير جدًّا و يمكن أن يُستعمَل ضدَّك. أنت تتَّهم بشكل مباشر وزارة الدَّاخليَّة بضلوعها في إبعادك على التَّحقيق في قضيَّة حتَّى تمنعك من الوصول للجناة أي أنَّ وزارة الدَّاخليَّة تُغطِّي على الجُناة و تحميهم إن لم تكن هي الجاني. ماذا دهاك يا سامي عهدتك عاقلا رصينا. إنَّك تتَّهم رؤساءك بالتآمر عليك. هل أنت واعي بحجم هذه الاتِّهامات ؟
المُفتّش سامي: إن سمحت لي شرحت لك الموضوع بدون عَصبيَّة
الرَّئيس : تفضّل. أسمعني.
المُفتّش سامي: أوَّلاً أنا لا أتَّهم وزارة الدَّاخليَّة بالتآمر عليّ لكنَّني مُتأكِّد أنَّ هناك في الوزارة عميل يسعى لذلك و أغلب الظن أنَّه عميل يشغل منصبا رفيعا و هذا أمر جائز و يمكن حصوله في أيِّ دولة من دول العالم.
الرَّئيس : هل لديك أدلَّة على ما تقول؟

المُفتّش سامي: أجل سيِّدي. لقد علمت من مصدر موثوق به أنَّ أفراد العصابة أثناء اجتماع لهم في فيلاّ "وردة الرمال" صَرَّحوا بأنَّهم تخلَّصوا منِّي و أنا لا أرى أيّ طريقة أخرى تخلَّصوا بها منِّي غير إبعادي عن القضيَّة و عن البلد. ثانيا لقد لاحظت أحدهم يراقبني و قد كان ورائي في الطابور أمام مكتب شركة الطيران في المطار و عندما غادرت فجأة المطار فوجئت به يتبعني. فلو كان مسافرا عاديا لبقي في الطابور و استكمل إجراءات سفره. كما أنَّ السيَّارة التي كان يركبها هي ملك لـــ"سليم شهاب" أحد أفراد العصابة المحتملين.

الرَّئيس : هذه قرائن و ليست أدلَّة و لا يمكننا تقديمها للقضاء. هل سنقبض على هؤلاء الأشخاص المُهمِّين بتهمة أنَّ أحدهم من أتباع سليم ألغى سفره و غادر المطار فجأة؟

المُفتّش سامي: نعم سيِّدي هذا صحيح فهذه كلُّها قرائن لكن كيف لي أن أحصل على أدلَّة دامغة دون مواصلة التَّحقيق. التَّحقيق وحده هو الذي سيوصلنا للأدلَّة التي تضع هذه العصابة و عملائها في السجن و تكون هذه أكبر عمليَّة تقوم بها المباحث و تتناقلها وسائل الإعلام. لا تنسى أنَّ اسمك سيكون في الصفحات الأولى كونك رئيس الفرقة التي كشفت عن هذه العصابة الخطيرة

يعتدل الرَّئيس في جلسته و تتغيَّر ملامح وجهه و كأنَّه يتخيَّل الصحفيِّين يتهافتون عليه لتصويره و أخذ تصريح منه، كما يهنئه رؤساءه و أكيد أنَّه سيحصل بالمناسبة على ترقية ممتازة.

الرَّئيس : لكن كيف ستواصل البحث و أنت رسميا لم تعد تعمل في فريقي؟

المُفتّش سامي: سأعمل بشكل غير رسمي و ذلك لفترة قصيرة أي حتَّى نصل للأدلَّة الكافية ثم أسافر بعدها لمُهمَّتي في باريس.

الرَّئيس : حسنا. سأُغطِّي عليك بصفة شخصيّة و سألتمس لك تأجيلا في الالتحاق بسفارتنا في باريس و ذلك بدعوى "ظروف عائليَّة طارئة". خلال هذه الفترة ستقود التَّحقيق لكن بشكل غير رسمي أي أنَّك ستعمل من وراء ستار. هذا يعني أنَّه لو حصل لك أي مكروه فلا علاقة لنا بك. مساعداك هما اللَّذان سيكونان على الميدان. هل هذا مفهوم؟

المُفتّش سامي: هذا كلّ ما أطلبه سيِّدي

يهم المُفتِّش سامي بالخروج من المكتب حين يستوقفه الرَّئيس .

الرَّئيس : لديك أسبوع واحد لا أكثر. أي سبعة أيام فقط. يوم الاثنين المقبل لا أريد حتَّى سماع اسمك هنا. أريد أن أتلقَّى اتِّصالك من باريس. هل هذا مفهوم؟

المُفتِّش سامي: مفهوم تماما سيِّدي. شكرا على ثقتك بي.

يعود المُفتِّش سامي لمكتبه يملأه التحدي أكثر من أيِّ وقت آخر خلال تحقيقه في هذه القضيَّة. إنَّه يعلم أنَّ الوقت المتاح له قصير و العصابة التي يتعامل معها خطيرة و ذات نفوذ كما يعلم أنَّ حرِّية حركته أصبحت محدودة لكنَّه رغم كلّ هذا مُصمِّم على النَّجاح.

المساعد وليد: كيف كان لقاءك مع الرَّئيس ؟

المُفتِّش سامي: لقد كان في مستوى توقُّعاتي لكنَّه لم يمنحني سوى أسبوع واحد لإدارة التَّحقيق بطريقة غير مباشرة أي أنَّكما أنتما الاثنان ستكونان على الميدان فأنا رسميا في إجازة عارضة نظرا لظروفي العائليَّة المفاجئة. إذًا أُعوِّل عليكما كثيرا في إنجاح هذا التَّحقيق.

المساعد وليد: نحن دائما في خدمتك سيِّدي

المُفتِّش سامي: ما هي التطورات الأخيرة في التَّحقيق و هل حقَّقتما تقدُّما؟

المساعد وليد: لقد حصلنا على الكشف البنكي للشَّركة المشبوهة و لم نلاحظ أيَّة عمليَّة مُريبة فبعد افتتاح الشَّركة تمَّ إيداع مبلغ مائة ألف دولار. ثم قامت الشَّركة عن طريق الشِّيكات بصرف بعض المبالغ مثل إيجار الفيلاّ و بعض فواتير المطاعم و الفنادق و قبل اختفاءها بقليل قامت بسحب كلّ رصيدها المُتبقِّي

المُفتِّش سامي: إذًا كالعادة لا يتركون أيَّ أثر وراءهم. دائما ما يُنظِّفون بحرص آثار نشاطهم و لا نحصل إلاّ على السراب. و ماذا عن المسامير المُستعمَلة في الحادث يا أشرف؟

المساعد أشرف: لقد طلبت عيِّنة من هذه المسامير من الأدلَّة الجنائيَّة و قمت بجولة عند تُجَّار المواد الحديدية و تبيَّن أنَّ هذه المسامير ذات استعمال واسع و تُباع في كلّ المحلات و تصنع عند أكثر من شركة محلية و بالتَّالي فيستحيل أن نصل إلى الجاني عن طريقها.

المُفتِّش سامي: كنت مُتأكِّدًا من أنَّهم لن يخطئوا و يستعملوا مسامير نادرة لا توجد إلاّ في محلات مُحدَّدة و ذلك حتَّى لا نصل إليهم.

المساعد وليد: لقد استجوبت عمال النظافة و قد أنكروا قطعيا أيَّة صلة لهم بالحادث كما أنكروا أن يكونوا قد أعطوا بدلة العمل لأيٍّ كان. سألت عن البدلات و عاينتها. إنَّها كلُها جديدة و لَمَّا استفسرت لماذا هي جديدة قال لي رئيس فريق النظافة أنَّه و في بداية كلّ سنة إدارية يتم شراء و توزيع بدلات جديدة على العُمَّال.

المُفتِّش سامي: و مِن أين يشترون هذه البدلات؟

المساعد وليد: إنَّه م يشترونها من محلٍّ صغير يُفصِّل لهم البدلات حسب مقاسات العُمَّال منذ سنوات.

المُفتِّش سامي: إذا سلَّمنا بصدق قول العُمَّال بعدم إعطاءهم لبدلاتهم لأيٍّ كان فلا بدَّ من أن يكون المُجرِم تحصَّل عليها من نفس المحل الذي تشتري من عنده البلدية. هل استجوبت صاحب هذا المحل؟

المساعد وليد: نعم لقد فعلت و احزروا ماذا قال؟

المُفتِّش سامي: لا تقل لي أنَّ عميلا غريبا، شابا، طويل القامة طلب منه أن يُفصِّل له بدلة مشابهة لبدلات البلدية و أنَّ هذا الأخير دفع له نقدا قيمة البدلة و لم يره سوى مرَّتين و لِوقت قصير أي أنَّه لا يذكر ملامحه و لا أيَّة تفاصيل أخرى.

المساعد وليد: هذا بالضبط ما قاله و كأنَّك كنت حاضرا في الاستجواب. لكن كيف عرقت هذه المعلومات.

المُفتِّش سامي: هذا أمر طبيعي فإذا سلَّمنا أنَّ الشَّاب الطويل هو الرَّجل الميداني للعصابة فلا بدَّ أن يكون هو الذي اتَّصل بالمحل. و يحرص هذا الشَّاب على أن تكون لقاءاته قصيرة و قليلة و أن يدفع نقدا حتَّى لا يترك أي أثر في ذهن صاحب المحل و ذاكرته.

المساعد وليد: و هذا سراب آخر كُنَّا نجري ورائه. لا يوجد أيُّ ركنٍ مادي للجريمة يمكن تتبُّعه الآن.

يفتح المُفتِّش سامي دفتره. يطالع فيه قليلا ثم يسأل وليد

المُفتِّش سامي: هل حصلت على الإذن بمراقبة الفِيلاّ و تصوير مدخلها؟

المساعد وليد: لا ليس بعد فلا أعرف لماذا كلّ هذا التأخير فعادة لا يتطلَّب الحصول على الإذن أكثر من سويعات قليلة

المُفتِّش سامي: ألا تعرف حقًّا ما السَّبب؟ أظُنّ أنَّ طَلَبَنَا لهذا الإذن هو الذي أثار انتباه العصابة و قلقهم و أدَّى لإبعادي عن القضيَّة

المساعد وليد: هل تعني أنَّنا لن نحصل على هذا الإذن؟

المُفتّش سامي: لا سنحصل على الإذن لأنَّ ذلك حقّ من حقوق المباحث و لن يستطيع أحد منعنا من ذلك و إن فعل أحدهم ذلك فإنَّه سيكشف نفسه لنا و نعلم من هو الزَّميل العميل المُتورِّط مع العصابة و لا أظنه بهذا الغباء ليكشف لنا نفسه بهذه السهولة. لكنَّ الإذن سيأخذ بعض الوقت.

المساعد وليد: إذًا سأقوم بمتابعة هذا الإذن و استعجاله و نأمل أن يتصرَّف العميل بغباء.

المُفتّش سامي: لا. لا تفعل يا وليد

المساعد وليد: لِم لا سيِّدي؟ هذه فرصة للإيقاع بالعصابة

المُفتّش سامي: إنَّني مُتأكِّد أنَّ مراقبة الفِيلاّ لن تُجدي نفعا الآن و ذلك لانعدام عنصر المباغتة فإنَّ العصابة تعلم أنَّنا نُفكِّر بمراقبة الفِيلاّ و لذلك سيتصرَّفون بطريقة أخرى كأن يغيِّروا مكان اجتماعاتهم و بالتَّالي سوف لن نتحصَّل على أيِّ شيء من وراء هذه المراقبة سوى إضاعة الوقت و استهزاء العصابة بنا. أكيد أنَّهم سيضحكون و يستمتعون عندما يراقبوننا و نحن نراقبهم. كما أنَّ التَّخلي عن مراقبة الفِيلاّ سيشعرهم بشيء من الاطمئنان و يُقلِّل من حرصهم. إنَّهم سيشعرون أنَّ الخطر قد ابتعد عنهم بما أنَّنا لم نعد نشكُّ بهم. يجب علينا التفكير بطريقة أخرى و ضربهم من حيث لا يحتسبون

المساعد وليد: سألغي طلب المراقبة إذا... لقد تعبت سيِّدي من هذه القضيَّة فلا يوجد أيّ منفذ. إنَّنا نتعامل مع عصابة تفوقنا في الإمكانيات و العلاقات و المعلومات و لديها سبق زمني كبير علينا.

المُفتّش سامي: هذا صحيح لحدٍّ ما لكن لا تنسى أنَّنا نحن نتسلَّح بالشرعيَّة و هم لصوص يخافون ضوء الشمس و لا يعملون إلاّ في الظلام فلا تفقد الأمل سنجد طريقة للإيقاع بهم إن شاء الله.

المساعد وليد: هذا ما أحاول فعله

المُفتّش سامي: دعنا نُلخِّص التقدُّم الذي حقَّقناه في هذا التَّحقيق. نعلم أنَّ مُنفِّذ الجريمة شاب طويل القامة و لا نملك أيَّة معلومات أخرى حوله. قام بتنفيذ العمليَّة باستعمال مسامير عاديَّة و كان يلبس بدلة اشتراها نقدا و من بائع لا يتذكَّر شيئا عن هذا العميل. المسامير من النَّوع العادي و واسع الاستعمال. العصابة التي تخطط و تقرر الجريمة تتكوّن من شلّة من رجال الأعمال المُهمِّين و أصحاب النفوذ و العلاقات تربطهم علاقات مشبوهة مع أطراف أجنبية. لا نعلم عنهم سوى بعض الأسماء و ليس لدينا أيُّ دليل ضِدَّهم. الجريمة كان وراءها عمليَّة تهريب سلعة لا نعلم حتَّى الآن ما هي أو أين هي. الشَّركة التي استوْرَدت هذه السلعة اختفت بعد قيامها بعمليَّات التَّهريب مباشرة و لم تترك أيّ أثر. صاحب هذه الشَّركة شيخ مدمن على الخمر لا يعرف شيئا أو يذكر شيئا و فوق كلّ هذا مات بدون أن يفيدنا بمعلومات هامَّة. للعصابة عميل في وزارة الدَّاخليَّة يتجسَّس على التَّحقيق و يقدر أن

يأخذ قرار بإبعادي لكن لا نعرف من هو.(يبتسم المُفتِش و يهزُّ كتفيه مُتهكِّما على الإنجازات التي حقَّقوها في التَّحقيق)

المساعد أشرف: إذا إنَّنا ندور في حلقات مفرغة متداخلة و لم نصل لأيِّ شيء.

المُفتِش سامي: هذا غير صحيح فكون العصابة تحرَّكت و قرَّرت إبعادي عن القضيَّة هذا يعني أنَّنا نقترب من مركز الدائرة و هذا أثار خوفهم و قلقهم. صحيح أنَّنا لا نمسك بأيِّ دليل مادي لكنَّنا نقترب بشكل كبير من الحل و تصرف العصابة هذا هو خير دليل.

المساعد وليد: هذا صحيح ففي البدايَة لم يُحرِّكوا ساكنا و لم يتدخَّلوا لَمَّا كان التَّحقيق بعيدا عنهم فلم يكن يُقلِقُهم في شيء

المُفتِش سامي: إذًا يجب علينا تحديد ما هي النقاط التي وصلنا إليها و أفزعتهم.

المساعد وليد: كما سبق لك القول سيِّدي، أظُنّ أنَّ مسألة مراقبة الفِيلاّ أمر أخافهم فلقد أحسُّوا أنَّهم أصبحوا في دائرة الشبهة و الخطر و هم المُتعوِّدون على العمل من بعيد من وراء حجاب. لقد كانوا يعتقدون أنَّنا لا يمكن أن نصل إليهم.

المُفتِش سامي: هذا صحيح. إذًا يجب علينا أن نستفزَّهم أكثر حتَّى يرتكبوا أخطاء تمكِّننا من الحصول على الدَّليل القاطع. بكُلُّ بساطة ليس لنا من خيار سوى أن نستفزَّهم حتَّى يرتكبوا أخطاء.

المساعد وليد: هذا جميل و لكن كيف؟

المُفتِش سامي: أظُنّ أنَّ لي بداية خُطة. لنطوِّرها سويَّة

المساعد أشرف: أسعِفنا بها سيِّدي

المُفتِش سامي: بكُلُّ بساطة سنُفزِعهم من جديد و بنفس أسلوب المَرّة السَّابِقة أي أنَّنا سنطلب إذنا بالتفتيش ضِدَّ أحد أفراد العصابة و لنقل مثلا "سليم شهاب". ما الذي سيحصل عندها؟ سيلتقط عميل العصابة هذا الطلب و يتَّصل مباشرة بالمُتَّهَم ليُحذِّره و بالتَّالي سنكشف العميل و نُمسك بأوَّل الشَّبكة.

المساعد وليد: جيِّد جِدًّا لكن هذا يتطلَّب أن نضع العميل المشبوه تحت المراقبة الهاتفية و المباشرة و نحن إلى حد الآن لا نعلم من هو.

المُفتِش سامي: ملاحظة ممتازة و أنا أفكِّر حاليا في كيفيَّة حل هذه المعضلة.

المساعد أشرف: لو تسمحوا لي فلديَّ فكرة يمكن أن تساعد.

المُفتِش سامي: تفضَّل يا أشرف. هات ما عندك

المساعد أشرف: لا تنسوا أنَّ لدينا معاونا داخل الفِيلاّ و يعمل هناك منذ أشهر طويلة أي أنَّه يلتقي بزوَّار الفِيلاّ كلّ ليلة و يسهر على خدمتُهم. إذا ما افترضنا أنَّ العميل على علاقة بهذه العصابة فمِن المُرجَّح جِدًّا أن يكون قد قام ببعض الاجتماعات مع أفرادها في الفِيلاّ بالذات. و مع قليل من الحظ يمكن لأحمد التعرُّف على العميل.

المُفتّش سامي: فكرة ممتازة يا أشرف. فعلا فكما للعصابة عين تراقبنا من داخل الوزارة، نحن لنا أيضا عين تراقب العصابة من داخل الفِيلاّ و يجب الاستفادة منها.

المساعد أشرف: علينا الآن في مرحلة أولى أن نُحدِّد قائمة في المَوَظَّفين بالوزارة الذين يمكن لهم أن يتجسَّسوا على فريقنا و يمكن لهم أن يأخذوا قرار إبعاد المُفتّش سامي و أظُنّ أنَّ عددهم غير كبير. في مرحلة ثانية، نعرض على أحمد صور هؤلاء الموظفين حتَّى يتعرف على العميل و يدلُّنا عليه. في مرحلة ثالثة و أخيرة، سنركِّز على ضبط و تسجيل ردَّة فعل العميل من طلب إذن التفتيش لبيت "سليم شهاب".

المساعد وليد: إنَّ هذه الخِطَّة تحتوي على العديد من نقاط الضعف التي يمكن أن تُؤدِّي لفشلها لكنَّها تبدو الوحيدة المتوفِّرة لدينا

المُفتّش سامي: الآن لدينا الخطوط العريضة للخطَّة و يجب علينا أن نُحيكها بدقَّة عالية حتَّى لا نترك أيَّ مجال لكشفها. أوَّلا علينا تحديد هويَّة العميل. ثانيا علينا طلب إذنين: الأوَّل علني و هو إذن تفتيش بيت و مكتب "سليم شهاب" و هذا هو الطُّعم و الهدف منه استفزاز العميل و الإذن الثاني يكون سرِّيا جِدًّا و يخصُّ مراقبة العميل مراقبة عينيَّة و هاتفيَّة لجميع الخطوط التي يتَّصل منها.

المساعد أشرف: لننصب الشِّباك و ننتظر وقوع "الغراب" فيها و ندعو التوفيق من الله.

المُفتّش سامي: سأزور زميلا قديما لي يعمل في إدارة الموارد البشرية في الوزارة و سأطلب منه تصوير بعض مِلَفّات الزملاء بطريقة غير رسمية و سِرِّية. كما أنَّه سيفيدني بكُلُّ المعلومات عنهم.

يتَّصل المُفتّش سامي بزميله و يطلب منه أن يزوره فورا لأمر هام. يُرحِّب به و يُعلمه أنَّه ينتظره في مكتبه. يخرج المُفتّش سامي مباشرة بعد المكالمة الهاتفية.

☒ الاثنين ١٥ يناير منتصف النهار بالمباحث الجنائيَّة.

يعود المُفتِّش سامي من إدارة الموارد البشرية و بين يديه عشرون مِلَفّا للعملاء المشبوهين. يدخل مكتبه و يُعِدُّ بمساعدة وليد قائمة بهم.

المساعد وليد: لقد انتهينا من المرحلة الأولى. نأمل فقط أن يكون العميل ضمن قائمتنا هذه.

المُفتِّش سامي: آمل ذلك أيضا. يجب عليَّ الآن أخذ موافقة الرَّئيس على هذه القائمة و الخِطَّة إجمالا. سأعود بعد قليل.

يجتمع المُفتِّش سامي برئيسه المباشر ليُقدِّم له الخِطَّة و يناقش معه هذه القائمة. يوافق الرَّئيس على الخِطَّة و يؤيِّده بدعمه الكامل و يطلب منه أن يُعلِمه بالتطورات أوَّلا بأول.

يتَّصل المُفتِّش سامي بأحمد و يطلب منه الحضور للمكتب فورا لأمر هام. يستجيب أحمد للنداء و لم تمضي نصف ساعة حتَّى كان أحمد في المكتب.

المُفتِّش سامي: شكرا على تلبيتك الدعوة بسرعة

الشاهد أحمد: لا شكر على واجب فأنا أنتظر بفارغ الصبر الإيقاع بالمجرمين

المُفتِّش سامي: يمكنك أن تساعدنا في ذلك بأن تتعرَّف من خلال الصور التي سأعرضها عليك الآن على شخص تكرَّرت زياراته للفيلاَّ في الأشهر الأخيرة. لديَّ قائمة بعشرين شخصا أريدك أن تركز جيِّدا و تُنشِّط ذاكرتك. هل أنت مستعد؟

الشاهد أحمد: نعم سيِّدي. لكن هل يمكنني أن أعرف لمن هذه الصور؟

المُفتِّش سامي: هذا غير مهمٍّ الآن ركِّز فقط على التعرُّف على الوجوه التي قابلتها في الفِيلاّ

الشاهد أحمد: حاضر سيِّدي

يبدأ المُفتِّش بعرض الصور الواحدة تلو الأخرى على أحمد و يركز على تعبيرات وجه الشاهد علَّه يلتقط تعبيرا يدلُّ على أنَّ الشاهد تفاعل مع صورة و تعرَّف على صاحبها. لم يُبدي الشَّاهد أيّ انفعال تجاه الصُّورة الأولى و لا الثانية و لا الثالثة. بدأ الجميع يقلق و يتزايد التَوتُّر مع التقدُّم في عرض الصور دون نتيجة. بدأ الشكُّ يدُبُّ في نفس المُفتِّش سامي و مساعديْه. لم يبقى من الصور إلاّ ثلاثة و لم

يتعرَّف بعد الشاهد على العميل. عند عرض الصُّورة قبل الأخيرة اتَّسعت عينا أحمد و شرد ذِهنه و كأنَّه يسترجع شريطا مُصوَّرا في ذاكرته. يُلاحظ المُفتِّش هذا الانفعال و يسأله مباشرة.

المُفتِّش سامي: هل تعرَّفت على صاحب هذه الصورة؟ هل رأيته من قبل في الفِيلاّ؟

يأخذ الشاهد الصُّورة في يده و يُدقِّق النظر فيها.

الشاهد أحمد: أظُنّ أنَّ هذه الصُّورة تشبه فعلا أحد ضيوف الفِيلاّ لكن هناك بعض الفوارق. الشَّخص الذي رأيته كان أكبر سنًّا و بدأ شعر رأسه يتساقط أما في هذه الصُّورة فلا يزال صاحبها شابا و يحتفظ بكامل شعره.

تتدفق الدماء في عروق المُفتِّش سامي من جديد بشكل طبيعي و كأنَّه عاد ثانية للحياة.

المُفتِّش سامي: لا عليك من هذه الجزئية فالصُّورة قديمة بعض الشيء و تعود لبضعة سنوات. حدِّثنا عن هذا الرَّجل. كلّ ما تتذكَّره عنه.

الشاهد أحمد: إنَّ هذا الرَّجل من الشخصيات الهامَّة في الفِيلاّ فكلَّما كان يأتي إلاّ و يستقبله صاحب الفِيلاّ شخصيا و يُجلسه في أحسن طاولة قمار. إنَّها نفس الطاولة التي كان يلعب عليها المرحوم.

المُفتِّش سامي: إذًا كان على علاقة بمجموعة "سليم شهاب"

الشاهد أحمد: أجل هو كذلك لم يكن يسهر إلاّ معهم

المُفتِّش سامي: هل كانت زياراته متكررة؟

الشاهد أحمد: لا لقد كان نادرا ما يأتي للفيلا لكنَّنا كنَّا نعامله معاملة خاصَّة و يوصيني صاحب الفِيلاّ بأن أريحه تماما و لذلك أنا أتذكَّره جيِّدا.

المُفتِّش سامي: متى رأيته لآخر مرة؟

الشاهد أحمد: يوم الخمس الماضي على ما أظنّ. لقد أتى للفيلاَّ مُبكِّرا عند المغرب و اجتمع بمجموعة "سليم شهاب" إلى غايَة قدوم بقيَّة الضُّيوف.

المُفتِّش سامي: هل سمعت البعض من كلامهم؟ أو لاحظت شيئا غريبا في هذا الاجتماع؟

الشاهد أحمد: لم أسمع أيَّ شيء فقد كانوا في مكتب صاحب الفِيلاّ و كانوا ينقطعون عن الكلام عندما أدخل لخدمُتَّهم لكنَّني لاحظت أنَّهم كانوا عصبيِّين بعض الشيء حتَّى أنَّ أحدهم طلب منِّي في عَصبيَّة أن أُسرِع في الخروج و ألاّ أعود ثانية.

المُفتّش سامي: هذا جيِّد . ستقوم الآن بزيارة مع المساعد أشرف للتعرُّف بشكل مباشر على صاحب الصورة.

الشاهد أحمد: حاضر سيِّدي.

المُفتّش سامي: يا أشرف، ستذهب على الفور مع الشَّاهد أحمد و تبقيان في السيَّارة أمام مبنى الوزارة بانتظار خروج الهدف و على أحمد أن يُركِّز عليه و يُدقِّق فيه ليتأكَّد كلِّيا منه. إحذر أن يتعرَّف الهدف على أحمد. اختر مكانا آمنا يُمَكِّنك من مراقبة الهدف دون أن يتفطن لكما.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي سأنطلق على الفور فبعد قليل سيغادر الموظفون مكاتبهم للغداء و هذه فرصة جيِّدة حتَّى نقابله خارج مبنى الوزارة.

المُفتّش سامي: جيِّد . شكرا لك مُجدَّدا يا أحمد على تعاونك الثَّمين معنا. أطلب فقط منك التكتُّم الشديد و السرِّية التَّامة بخصوص هذا الموضوع فنجاح التَّحقيق يعتمد بالأساس على السرِّية

الشاهد أحمد: كن مطمئنا سيِّدي.

يخرج المساعد أشرف و أحمد و ينطلقان لوزارة الدَّاخليَّة في حين يتناقش المُفتّش سامي و المساعد وليد في شهادة أحمد.

المساعد وليد: مَن كان صاحب الصورة؟

المُفتّش سامي: إنَّ لدينا صيدًا ثمينا. إنَّه "رشاد علي" مدير مكتب السيد مدير الأمن

المساعد وليد: يا إلهي. ماذا يفعل موظف بهذه الرتبة في هذه القضيَّة ؟

المُفتّش سامي: إنَّه مُتورِّط فيها و متعاون بشكل كبير مع العصابة. إنَّه يمدُّهم بكُلِّ تحرُّكاتنا أوَّلا بأوَّل و يعطِّل الإجراءات التي تشكِّل خطورة على العصابة و أكيد أنَّه يتلقَّى منهم مبالغ ضخمة.

المساعد وليد: هل وصل الفساد إلى هذا المستوى في الدولة؟

المُفتّش سامي: الفساد يمكن أن ينخر جسم أيِّ دولة و يصل إلى كلّ المستويات بما فيها أعلى قيادة في الدولة. طالع فقط أخبار بعض الدول الإفريقية أو دول أمريكيا الجنوبية و ستطَّلِع على أشياء غير معقولة

المساعد وليد: هل يمكن أن يكون السيِّد مدير الأمن مُتورِّطا في هذه القضيَّة أيضا؟

المُفتّش سامي: كلّ شيء جائز لكنَّني أستبعد ذلك فلو كان مُتورِّطا لكان هو الذي اجتمع بالعصابة و ليس مدير مكتبه.

يصمت المُفتّش سامي لبرهة و كأنَّه يسترجع ما قاله أحمد ثم يواصل كلامه.

المُفتّش سامي: أنا مُتأكِّد كلِّيا بأنَّ "رشاد علي" مُتورِّط في القضيَّة و خاصَّة في تدبير مسألة إبعادي عنها. الدَّليل على ذلك اجتماع يوم الخميس الماضي الذي عقده مع العصابة في مكتب صاحب الفيلاّ. لقد كان الجميع عصبيًّا و كانوا يحاولون الوصول لطريقة يتخلَّصون بها منِّي بدون إثارة الشُّكوك. أعتقد أنَّ "رشاد علي" هو الذي اقترح عليهم حلَّ إبعادي.

بعد قليل يتلقَّى المُفتّش سامي اتِّصالا هاتفيا من مساعده أشرف.

المُفتّش سامي: ما هي الأخبار
المساعد أشرف: لقد تمَّ التَّأكد من الهدف
المُفتّش سامي: عمل ممتاز يا أشرف

يُقفِل المُفتّش السَّماعة و يُعلِم مساعده بأنَّ أحمد تأكَّد فعلا و قطعيا من "رشاد علي".
المساعد وليد: الجزء الأوَّل من الخطَّة حقَّق النَّجاح المطلوب
المُفتّش سامي: لننتقل إذًا للجزء الثَّاني و هو إلقاء الطعم للعميل "رشاد علي"

يُقابل المُفتّش سامي رئيسه و يُعلِمه بآخر التطورات. يذهَل الرَّئيس عند سماع الخبر ويبدأ بالتعامل بجدِّية مع تحقيق المُفتّش سامي.
الرَّئيس : ماذا؟ "رشاد علي" مُتورِّط في هذه القضيَّة؟ إنَّني أعرفه شخصيًّا فقد عملنا معا لسنتين في مكافحة المخدِّرات. كيف لرجل كهذا أن ينقلب على مبادئه و يخون الكلّ؟ إنَّني أعرف أباه إنَّه شيخ طيِّب و شريف و كان مناضلا ضدَّ المستعمر. اعتُقِل في العديد من المرَّات لكنَّ ذلك لم يثنه عن النِّضال. كيف لرجل وطني شريف أن ينجب خائنا؟

المُفتّش سامي: لو سمحت لي سيِّدي. نحن نحتاج الآن لإذن سرِّي بالتصنُّت على مكالمات العميل. لا يجب أن يطَّلِع أحد على هذا الإذن أو يصل صداه للعميل.

يقوم الرَّئيس باتِّصال هاتفي مع شخصيّة رفيعة المستوى في الوزارة يطلب منها الإذن بصفة عاجلة و سرية.

الرَّئيس : سيكون عندك الإذن في أقل من ساعة و لن يعلم به أحد. تأكَّد من ذلك. قدِّم لي دليلا ماديا واحدا ضدَّ هذا العميل و أنا أؤكد لك دعم وزير الدَّاخليَّة شخصيا فهذه قضيَّة فساد كبيرة يتورَّط فيها موظَّفون كبار

المُفتّش سامي: قريبا سأُقدِّم لك الدَّليل القطعي

الرَّئيس : أدعو لك بالتوفيق

☒ الاثنين ١٥ يناير الثالثة بعد الزوال بالمباحث.

يجتمع المُفتّش سامي بمساعديه و يتناقش معهما حول اللمسات الأخير للخطة.

المُفتّش سامي: لقد تعرَّفنا الآن و بصفة قطعية على هويَّة العميل و حصلنا على إذن سرِّي بمراقبة اتّصالات العميل و نستطيع القيام بهذه المراقبة من مكتبنا هذا. لم يبقى لنا سوى إلقاء الطعم.

المساعد وليد: سأطلب فورا إذنا بتفتيش مكتب و منزل "سليم شهاب"

المُفتّش سامي: يجب علينا في نفس الوقت مراقبة ردَّة فعل "سليم شهاب" فمن الأكيد أنَّه و بعد علمه بقرار تفتيش مكتبه و بيته سيبادر بالتَّخلص من بعض الوثائق أو إخفاءها أو أنَّه سيقوم ببعض الزِّيارات ذات الصِّلة بالتفتيش. يجب علينا رصد تحرُّكاته لحظة بلحظة و سأوكل للمساعد أشرف هذه المهمَّة.

بالمناسبة هل جوَّالك مُجهَّز بكاميرا؟

المساعد أشرف: نعم سيِّدي و من آخر طراز

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. أريد منك أن تلتقط صورا واضحة للهدف و تحرُّكاته و الأشخاص الذين يقابلهم.

المساعد أشرف: متى أبدأ سيِّدي؟

المُفتّش سامي: فورا. أريدك أن تكون في موقعك أمام فِيلاّ "سليم شهاب" عندما نُلقي بالطعم. انطلق فورا.

يخرج المساعد أشرف في مُهمَّته الجديدة و يلحق به المساعد وليد لتقديم طلب الإذن بالتفتيش ثم يعود هذا الأخير بسرعة للمكتب.

المُفتّش سامي: الآن ليس لنا سوى أن ندعو الله أن يوفقنا و يسدِّد رميتنا "*و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى*"

يبقى المُفتّش و مساعده في المكتب يراقبان جهاز التصنُّت و التَّسجيل. تمرُّ الدقائق طويلة و في كلّ لحظة يُخيَّل لهما أنَّ الهاتف سيرِنُّ و تحصل المكالمة المنتظرة. لكنَّ شيئا من هذا لم يحصل. تمرُّ السَّاعة الأولى بدون أيَّة نتيجة. يبدأ الشكُّ و القلق يدبَّان في الرَّجلين. هل مدير مكتب السيد مدير الأمن مُتورِّط فعلا أم أنَّها مجرَّد شكوك ليس لها أيَّة صلة بالواقع. تتضارب الأفكار في ذهن المُفتّش سامي.

أخيرا يرِنُّ الهاتف. يسارع المُفتِّش بتشغيل جهاز التسجيل. ينظر المُفتِّش لمساعده و كأنَّ سمكة كبيرة علقت بصنَّارته. الرَّقم المطلوب هو رقم جوّال "سليم شهاب" و قد اتّصل به العميل من جوَّاله الخاص. يرفع "سليم شهاب" السَّماعة و يبدأ حواره مع العميل.

سليم شهاب: مرحبا بك يا "رشاد" ما هي الأخبار؟
رشاد علي: الأخبار ليست جيِّدة. لقد طَلَبَت إدارة المباحث الجنائيَّة إذنًا بتفتيش بيتك و مكتبك. لقد وصلتني المعلومة الآن و يجب عليك التَّحرك بسرعة لإخفاء أيِّ دليل محتمل.
سليم شهاب: ألم تُطمئنَّا بأن التَّحقيق ابتعد عنَّا عندما ألغت المباحث إذن مراقبة الفيلاّ؟
رشاد علي: لا أفهم شيئا فقد عادوا لشكوكهم و بقوَّة و على غير المنتظر فبعد إبعاد المُفتِّش سامي عن التَّحقيق هدأت الأمور و ظننت أنَّ زملائه سيعجزون عن التقدم في التَّحقيق و سيُسجِّلون الحادثة ضد مجهول.
سليم شهاب: لا بدَّ و أنَّ هذا المُفتِّش سامي قد عاد و أحيَى التَّحقيق من جديد.
رشاد علي: فلنلتقي هذه الليلة في الفِيلاّ لنتباحث الأمر و كفى من الاتّصال الهاتفي فربما يكون مراقبا.
سليم شهاب: جيِّد. مع السلامة.

يقفل سليم شهاب السماعة. يكاد المُفتِّش سامي أن يقفز من مكانه فرحا.
المساعد وليد: أخيرا لدينا دليل ملموس على تورُّط العصابة في الجريمة
المُفتِّش سامي: شريط بدقيقة واحدة يكفي للإيقاع بأوَّل أطراف القضيَّة. هذا الشريط سيُمكِّننا من الكثير من التسهيلات. فكُلُّ ما توصَّلنا إليه في القضيَّة كان نتيجة استنتاجات لا تُقنع القاضي أمَّا الآن فلدينا دليل واضح على التآمر و اعتراف لفظي بتورُّط سليم شهاب و "رشاد علي" في هذه القضيَّة. لأُقدِّم هذا الدليل للرئيس حتَّى يطمئن قلبه و يساندنا بالكامل في هذا التَّحقيق.

يُسرِع المُفتِّش سامي الخطى لمكتب الرَّئيس و يُسمعه الشريط.
تتَّسع عينا الرَّئيس عند سماعه للمكالمة و يُحرِّك رأسه أسفا على "رشاد علي".

الرَّئيس : لقد كنتَ على حقّ يا سامي عندما شككت بوجود خيانة في الوزارة. الآن الأمر صار واضحا و لا يدع أيَّ مجال للشك.

يتَّصل الرَّئيس بمكتب وزير الدَّاخليَّة لطلب مقابلة طارئة. يسمح له الوزير بمقابلته في نفس اليوم.
الرَّئيس : سأعرض الأمر كله على السيِّد وزير الدَّاخليَّة حتَّى نحصل من عنده على كلّ التسهيلات و الصلاحيات. إنَّها أصبحت مسألة همُّ أمن الدولة بذاتها فالمُتورِّط فيها موظَّف رفيع المستوى في أكبر جهاز أمني
المُفتِّش سامي: سأُلقي القبض فورا على "رشاد علي" بتهمة إفشاء أسرار التَّحقيق و التَّعاون مع العصابة. و لدينا الآن دليلان: تسجيل المكالمة و شهادة أحمد.
الرَّئيس : جيِّد جدًّا. انطلق فورا و سأُفسِّر للسيِّد مدير الأمن ملابسات القضيَّة.

لم يكن المُفتِّش سامي يحلم بأكثر من هذا. لديه تحت تصرُّفه الآن كامل الإمكانيَّات للإيقاع بالعصابة. يدخل المُفتِّش سامي مكتبه و يطلب من مساعده وليد أن يقوم بإلقاء القبض على "رشاد علي".
المُفتِّش سامي: كم كنت أتمنَّى أن أقوم أنا شخصيًّا بإلقاء القبض على هذا العميل لكنَّني يجب أن أعمل من وراء الحجاب.
المساعد وليد: لا تقلق فسأحضره لك هنا بعد قليل لتستجوبه كما تريد

ينطلق المساعد وليد برفقة بعض العساكر بسرعة لمبنى وزارة الدَّاخليَّة. يدخلان مكتب "رشاد علي". إنَّه مكتب فخم و كبير. يجلس "رشاد علي" على مكتبه بكُلِّ ثقة و حزم. لم يفهم معنى دخول وليد و العساكر لمكتبه.
رشاد علي: ما هو سبب حضوركم ؟
المساعد وليد: إنَّنا هنا لإلقاء القبض عليك. أنت بحالة إيقاف و نرجو منك أن ترافقنا بدون أيَّة مقاومة
رشاد علي: ماذا تقول؟ أنت أتيت لتُلقِي القبض عليَّ أنا. ألا تعلم من أكون أيُّها الضابط المبتدئ؟
المساعد وليد: أعلم ذلك جيِّدا. أنت "رشاد علي" مدير مكتب السيِّد مدير الأمن
رشاد علي: إذًا كيف تجرؤ على إلقاء القبض عليَّ؟

المساعد وليد: إنَّك مُتَّهم بإفشاء أسرار التَّحقيق و التَّعاون مع عصابة إجرامية و أنت مطلوب للمثول أمام المباحث الجنائيَّة للتَّحقيق. يمكن لك أن تستدعي محاميا ليحضر معك التَّحقيق

رشاد علي: لا بل أنت الذي يحتاج لمائة محامي على الأقل حتَّى يخلِّصوك من الورطة التي وضعت نفسك فيها.

المساعد وليد: أُكرِّر طلبي بالامتثال لأوامري و مرافقتي بدون مقاومة و بدون استعمال العنف

يهيج "رشاد علي" و يطلب من أمن الوزارة أن يخرجوا المساعد وليد و عساكره خارج الوزارة و يعلو صوته بالوعيد و الشتائم.

يخرج مدير الأمن من مكتبه في عَصبيَّة واضحة و يطلب من الجميع الصمت.

رشاد علي: تخيَّل سيِّدي أنَّ هذا الضابط يريد اعتقالي بسبب قضيَّة وهمية اختلقها هو و زملائه في المباحث الجنائيَّة.

ينظر إليه مدير الأمن في عَصبيَّة

مدير الأمن: ليست قضيَّة وهميَّة لقد كان رئيس فرقة المباحث الجنائيَّة معي على الخط و أخبرني بالموضوع و أسمعني آخر اتِّصالاتك الهاتفية مع أحد أفراد العصابة. إنَّك لا تستحقُّ أكثر من رميك في زنزانة قذرة لسنوات طويلة جزاءا لخيانتك أيُّها الحقير. سلِّم سلاحك و مفاتيح المكتب فورا.

سكن "رشاد علي" بعد سماعه كلام مدير الأمن و كأنَّ سطل ماء بارد كبير سُكب على رأسه. ظهرت عليه علامات الاستسلام و الرضوخ للأمر الواقع. لقد كُشِف الملعوب و أحسَّ بالنَّدم و الحسرة على فقدانه كلَّ شيء فلم يعد يساوي أيَّ شيء. قدَّم سلاحه و مفاتيح المكتب و السيَّارة لرئيسه صاغرا.

ينظر مدير الأمن للمساعد وليد:

مدير الأمن: تفضّل أيُّها الضابط هو تحت تصرُّفك الآن قم بواجبك

المساعد وليد: شكرا سيِّدي.

يتقدَّم المساعد وليد من "رشاد علي" و يُقيِّد يديه و يأمر العساكر أن يقودوه للسيَّارة. يسلِّم المساعد وليد على مدير الأمن و ينصرف.

كل موظَّفي وزارة الدَّاخليَّة أُصيبوا بالذُّهول و هم يشاهدون مدير مكتب السيد مدير الأمن و هو مُكبَّل اليدين يجرُّه بعض العساكر و يرمون به في سيَّارة الشرطة. كانت المسافة بين المكتب و السيَّارة، رغم قِصَرِها، طويلة جِدًّا على "رشاد علي". كانت نظرات زملاءه قاسية تغلب عليها نظرات الاحتقار و السُّخرية و الفضول. لم يستطع رفع عينيه من الأرض و تمنَّى أن تبتلعه الأرض أو أن تخرج روحه و يرتاح. بعد سنوات من العمل و المكانة المرموقة التي وصل إليها و الاحترام الذي كان يحظى به، ها هو الآن يمشي صاغرا مُهانا أكثر من أحقر مجرم.

☒ الاثنين ١٥ يناير السادسة بعد الزوال بالمباحث.

يصل المُتَّهَم "رشاد علي" لمبنى المباحث الجنائيَّة. يُدخله المساعد وليد للمكتب. ينظر إليه المُفتّش سامي بكُلِّ فخر. إنَّه حقيقة صيْد ثمين و قد اصطاده بكُلِّ دهاء.

المُفتّش سامي: مرحبا بك أيُّها الزَّميل السابق. أخيرا وقعت بين أيدينا.
رشاد علي: أنا أطلب محاميا للحضور معي أثناء التَّحقيق و أُعلِمكم أنَّ أيَّ عنفٍ سيُوجَّه ضدِّي سأحاسبكم عليه حسابا عسيرا.
المُفتّش سامي: من حقِّك طبعا حضور محامي يدافع عنك أمَّا بشأن أسلوب التَّحقيق فلا تقلق، فنحن لا نستعمل العنف هنا. هذه الأساليب يستعملها أمثالك من المنحرفين، قليلي الحيلة. هل عندك محامي تريد أن تتَّصل به؟ أظُنّ أنَّه محامي العصابة التي تتعاون معها؟ هل هذا صحيح؟
رشاد علي: أنا لا أتعاون مع أيَّة عصابة و ليس لكم أيُّ دليل يثبت كلامكم
المُفتّش سامي: ألم تخبره يا وليد عن تسجيل المكالمة؟
المساعد وليد: بلى سيِّدي لقد علِم بذلك
رشاد علي: و لكنَّ هذا التَّسجيل وقع بدون إذن و بالتَّالي القاضي لن يأخذ به و ذلك لعيب في الإجراءات
المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا أرى أنَّك مازلت تتذكَّر القانون. أُطمئنك على كلّ حال. لقد حصلنا على إذن بالتَّصنُّت على مكالماتك وِفق الإجراءات المُتَّبعة و بالتَّالي القاضي سوف يأخذ بهذا الدليل بعين الاعتبار.
رشاد علي: أنا لن أتكلَّم مُجدَّدا دون وجود المحامي
المُفتّش سامي: نعم لك ذلك فأنا لا أرغب بالتَّحقيق في نهايَة اليوم. أُفضِّل التَّحقيق الصباحي. الآن ستذهب إلى زنزانتك و تنام في دفء جدرانها الباردة. ستُحرم من الجوَّال و الأدوات الحادة و الأقلام و الأوراق و ستُحرم من العشاء الدافئ و السَّهرة العائليَّة اللَّطيفة و مُشاهدة التلفزيون و قِراءة الجرائد و ... و ... ستُحرم خاصَّة من حريتك و لسنوات طويلة جدًّا و مُملَّة للغاية ستخرج بعدها منكسرا ذليلا. أمَّا نحن فسنذهب لبيوتنا نتعشَّى جيِّدا و ننام جيِّدا و نفعل كلّ ما نريد بكُلِّ حرِّية. هل بدأت تفهم الفرق بيننا و تدرك حجم الورطة التي أنت فيها؟ لقد انتهت حياتك السَّابِقة الجميلة. منذ اليوم

أنت إنسان ثاني غير مرغُوب فيه من المجتمع. يحتقِرك كلّ النّاس و لا تساوي للمجتمع شيئا فأنت خائن. سوف لن تساوي شيئا حتَّى بالنسبة لوالدك الطيِّب الشَّريف. هل تعلم ماذا يمكن أن يحصل لوالدك عند معرفته بجريمتك و هو الذي ضحى بسنوات طويلة من عمره في مكافحة المستعمر؟ خذه يا وليد لزنزانته و سنُحقِّق معه غدا صباحا. لا تسمح له بأيِّ شيء و لا تترك له في الزنزانة سوى مرتبة و غطاء فقط.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي. تقدَّم أمامي "سيِّدي مدير مكتب العصابة"

لاقت كلمات المُفتِّش سامي أثرًا بالغا في نفس "رشاد علي" حتَّى أنَّ دموع الحسرة و النَّدم سالت في عينيه رغم محاولته إخفاءها. لقد بدأ يستوعب حجم الجُرم الذي ارتكبه و ما ترتَّب عليه من فقدان لكرامته و عِزَّة نفسه و مكانته.

يقوم المساعد وليد بتفتيش المُتَّهَم و يترِع منه كلّ أغراضه الشخصيّة: جوَّال، مفاتيح، نقود، محفظة أوراق، ربطة العنق و حتَّى الحزام و خيوط الحذاء حتَّى لا يستعملها في الانتحار إذا عنّ له ذلك.

يأمر وليد الحرَّاس بأن يقودوه للزنزانة و يشدِّدوا عليه المراقبة فلا أحد يكلِّمه و لا هو يكلِّم أحدا و لا يستقبل أيَّ مأكولات أو أغراض خاصة من عائلته.

المساعد وليد: إنَّه أمر مؤسف حقًّا أن نقبض على زميل سابق لنا

المُفتِّش سامي: لا تتصرَّف معه بطريقة عاطفية فلا تنسى أنَّه خان مهنته و زملاءه و عرضهم للخطر الفعلي كما أنَّه خان بلاده و تعاون مع عصابة تهرِّب سلعا غير قانونية داخل البلاد و بالتَّالي مُضرَّة للمجتمع.

يدخل المساعد أشرف للمكتب و تبدو عليه علامات التَّعب.

المساعد أشرف: السَّلام عليكم. هل قبضتم على "رشاد علي"؟

المُفتِّش سامي: نعم و هو الآن قابع في الزنزانة. ماذا عن مراقبتك لسليم شهاب؟

المساعد أشرف: لديَّ البعض من المفاجآت. دعني فقط أنقل الصور التي التقطها بجوالي للكمبيوتر.

يُشغِّل المساعد أشرف الكمبيوتر و يصله بجواله و ينقل إليه جميع الصور التي التقطها. ثم يدعو الجميع للاِقتراب من الشَّاشة و يبدأ بعرض الصور.

المساعد أشرف: لقد بدأتُ مراقبة "سليم شهاب" من أمام منزله في الحيِّ الرَّاقي للمدينة. و هذه صورة الفِيلاّ التي يسكنها. الصُّورة الثانية تحمل مفاجأة لنا

يعرض الصُّورة فإذا هي لفتاة تدخل الفِيلاّ

المُفتّش سامي: أليست هذه "جيهان كامل" التي تظهر بالصورة؟

المساعد أشرف: نعم إنَّها هي بعينها. إنَّها جيهان و هي على علاقة على ما يبدو بـــ"سليم شهاب" و قد أتت مسرعة بعد أن أبلغها نبأ إذن التفتيش الأرجح أنَّه استدعاها ليخبرها أو يوصيها بأشياء مُعَيَّنة.

المُفتّش سامي: هذا تطوُّر مُهِمّ في التَّحقيق سنستجوِبها غدًا. لتواصل العرض.

المساعد أشرف: الصُّورة الثالثة تظهر فيها سيَّارة بيضاء من النَّوع التِّجاري و هي تغادر الفِيلاّ مسرعة.

المُفتّش سامي: لا بدَّ و أنَّها مُحمَّلة بالوثائق و الأغراض التي لا يرغب "سليم شهاب" بوقوعها في أيدينا.

المساعد أشرف: الصُّورة الرابعة: يظهر فيها "سليم شهاب" مغادرا بسرعة بيته مُتَّجها نحو مكتبه في وسط المدينة.

المُفتّش سامي: ماذا حصل في مكتبه؟ هل تخلَّص أيضا من وثائق مشبوهة في الشَّرِكة؟

المساعد أشرف: يبدو ذلك فعلا سيِّدي فالصُّورة الخامسة التي التقطتها أمام مبنى شركة "سليم" تُظهر وجود نفس السيَّارة التجاريَّة البيضاء.

المُفتّش سامي: نفس السيَّارة اتَّجهت للمكتب حتَّى تنقل منه الوثائق المشبوهة

المساعد وليد: الظَّاهر من الصُّور أنَّ حالة ارتباك شديدة انتابت "سليم شهاب" عند سماعه خبر التفتيش و هذا خير دليل على أنَّ لديه الكثير من الأشياء المشبوهة التي تدينه و التي يحاول إخفاءها

المُفتّش سامي: هل لديك صور أخرى؟

المساعد أشرف: الصُّورة السَّادسة و الأخيرة يظهر فيها "سليم شهاب" و هو يخرج من شركته رفقة هذا الرَّجل الذي لا أعرفه

المساعد وليد: لحظة واحدة هل يمكن أن تكبِّر الصورة؟ (يُكبِّر أشرف الصورة) إنَّه رئيس إدارة الجمارك التي كان يعمل بها القتيل

المُفتِّش سامي: نعم هذا صحيح إنَّه رئيسه المباشر. لكن ماذا يفعل مع "سليم شهاب"؟ ماذا يربط بينهما؟

المساعد وليد: يبدو أنَّ كلاً مِن "جيهان" و رئيس الجمارك أخفيا علينا الكثير من المعلومات

المُفتِّش سامي: على كلّ حال، غدا سيكون لنا يوم طويل من الاستجوابات و سنعرف الكثير من "رشاد علي"، من "جيهان"، من رئيس الجمارك و من "سليم شهاب" لكنَّنا الآن يجب أن ننصرف و نرتاح و ننام جيِّدا. شكرا لكما على المجهود الكبير الذي بذلتماه. لقد قمتما بعمل رائع اليوم تستحقَّان بعده البعض من الراحة.

☒ الثلاثاء ١٦ يناير الثامنة صباحا بالمباحث.

كل فريق التَّحقيق مجتمع بالمكتب يتدارس برنامج عمل اليوم. الجميع مُتحمِّس و نشيط و كأنَّ أحداث البارحة ضخَّت في عروقهم دماءا جديدة غيَّرت تشاؤمهم لتفاؤل و عجزهم لقدرة و انهزامهم لانتصار.

المُفتّش سامي: لدينا اليوم جدول أعمال ممتلئ و زاخر بالأحداث. أوَّلاً يجب جلب كلّ من "جيهان" و رئيس الجمارك و "سليم شهاب" لاستجوابهم هنا في المكتب و لذلك ستنطلق ثلاثة سيَّارات في نفس الوقت لتحضرهم و سيبقون معنا طوال اليوم.

المساعد وليد: هل سيتطلَّب التَّحقيق معهم كلّ هذه الفترة؟

المُفتّش سامي: في الحقيقة لا، فاستجواب كلّ واحد منهم لن يتطلب أكثر من ساعة و لكن سنبقيهم طيلة اليوم معنا تحت الضغط الشديد و بعزلة عن بيئتهم المعتادة و هذا قد يُربكهم و يُؤدِّي ببعضهم على الأقل لفقدان أعصابه و الاعتراف بمعلومات جديدة و مفيدة للتحقيق.

المساعد أشرف: لقد درسنا هذا الأسلوب في التَّحقيق و أتذكره جيِّدا لكن هل سيُجدي نفعا مع هذه العصابة الخطيرة؟

المُفتّش سامي: هذا ما سنعرفه في نهايَة اليوم. يجب أيضا عزْل المُتَّهَمين عن بعضهم البعض و عدم السَّماح لهم بالحديث مع بعضهم البعض. يجب على كلّ مُتَّهم أن يجهل كُلِّيا ما يقوله المُتَّهَمون الآخرون خلال استجوابهم و سنلعب كثيرا في مساحة الشك هذه و نوهم كلّ واحد منهم بأنَّ الآخرين اعترفوا عليه

المساعد وليد: لكن يجب أن يعلم كلّ مُتَّهم أنَّ الآخرين موجودون هنا للتحقيق

المُفتّش سامي: سنجمعهم لدقيقة واحدة حتَّى يروا بعضهم دون السماح لهم بالحديث و نُفرِّقهم بعد ذلك مباشرة حيث يتمُّ استجوابهم في أربعة غرف مختلفة.

المساعد وليد: و سننتقل نحن بين الغرف الأربعة

المُفتّش سامي:هذا صحيح. بالمناسبة هل إذن التفتيش جاهز؟

المساعد وليد: تفتيش بيت و مكتب سليم شهاب؟

المُفتّش سامي: نعم. ألم نطلب إذنا بذلك؟

المساعد وليد: بلى و لكن ما الفائدة في ذلك و قد أبعد سليم كلّ الوثائق المشبوهة عن مكتبه و بيته؟

المُفتّش سامي: في الواقع نحن سنستعمل حجة التفتيش لزرع أجهزة تصنُّت في المكتب و البيت و ليس هناك من تغطية أفضل لهذه العمليَّة من تغطية التفتيش. كما أنَّنا سنغتنم فرصة وجود سليم عندنا في المباحث فلن يتمكن من الشك في أيِّ شيء إذ أنَّه يتوقع منَّا أن نقوم بالتَّفتيش أصلا. ملاحظة أخرى: إنَّ خبر التفتيش سيصل لأفراد العصابة مِمَّا سيجعلهم مُتوتِّرين أكثر و يدفعهم ارتباكهم للقيام بأخطاء. تذكَّر أنَّ شُركاءهم في الجريمة قيد التَّحقيق و هم يخافون من أن يشهدوا ضدهم.

المساعد وليد: و عندما نفرج عن "سليم شهاب" سوف نتمكن من معرفة ماذا سيقوم به لحماية نفسه و عصابته من خلال أجهزة التصنت و التي ستكون دليلا رئيسيا في إدانته و بقيّة العصابة و القبض عليه من جديد و بصفة نهائية.

المُفتّش سامي: بالضَّبط هذا هو المقصود و بالتَّالي علينا طلب إذن بزرع الأجهزة حتَّى لا يستطيع المحامون أن يُبطلوا هذا الدليل بداعي العيب في الإجراءات.

المساعد وليد: سأطلب الإذن فورا.

المُفتّش سامي: يجب علينا القيام ببعض التحريات حول المُتَّهَمين خاصة المتعلقة بثرواتهم و أملاكهم. يمكن لنا على الأقلّ أن نحبس بعضهم بتهمة الثَّراء غير المشروع. لكن يلزمنا طلب المساعدة من زملاء آخرين فنحن الثلاثة فقط لن نتمكَّن من القيام بكُلِّ هذا العمل في فترة وجيزة لذلك سأطلب تعزيزا لفريقنا من الرَّئيس. انطلِقا أنتما الآن لإحضار المُتَّهَمين. أريد رؤيتهم أمامي في أقل من ساعة.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي

ينطلق المساعدان لجلب المُتَّهَمين الثلاثة مستعينين بزميل ثالث لهم من المباحث الجنائيَّة في حين يزور المُفتِّش سامي رئيسه في مكتبه لطلب التعزيزات.

المُفتّش سامي: لقد اكتشفنا وجود علاقة بين "سليم شهاب" من ناحية و "جيهان" و رئيس الجمارك من ناحية أخرى و هذا يُؤكِّد وجود عصابة مُنظَّمة و كبيرة و قد طلبت استدعاء الجميع للتحقيق لكنَّنا نحتاج لبعض المساعدة فحجم العمل أكثر من طاقة فريقي.

الرَّئيس : أطلب ما تحتاج فكُلُّ الإمكانيات ستكون بين يديك. لقد أعطاني السيد الوزير ضوءا أخضر في استعمال كلّ إمكانيات الوزارة و حتَّى لو تتطلب الأمر الاستنجاد بالحرس الوطني أو الجيش فسيكون لنا ذلك

المُفتّش سامي: لا أظُنّ الأمر يستدعي الاستنجاد بالجيش. أريد فقط الآن تعزيز فريقي بمساعدين إضافيين يقومان بتحريات ميدانية عن المُتَّهَمين و خاصة فيما يتعلَّق بثرواتهم. كما أحتاج لأجهزة تصنُّت و خبير حتَّى يزرعها في بيت و مكتب "سليم شهاب".

الرَّئيس : أمر بسيط. سأتّصل فورا بإدارة الشرطة التَّقنية ليرسلوا لنا على الفور الخبير مع كامل التجهيزات المطلوبة. هل تحتاج شيئا آخر؟

المُفتّش سامي: نعم طلب بسيط و هو أن يتم إبعاد الصحافة مؤقتا عن التَّحقيق و ذلك حتَّى نستعين بعنصر المفاجئة. فهذه الفترة حسَّاسة و لو تسرَّبت الأنباء سيتضرَّر التَّحقيق.

الرَّئيس : لك ذلك. هل من شيء آخر.

المُفتّش سامي: لا شكرا. هذا كلّ ما أحتاجه حتَّى الآن.

الرَّئيس : لو احتجت أيَّ شيء إضافيٍّ لا تتردّد في طلبه فهذه القضيَّة صارت قضيَّة تشغل أعلى المستويات في الدولة و الوزير شخصيا يطلب منِّي كلّ يوم تقريرا عن تقدم التَّحقيقات.

المُفتّش سامي: سوف أمدُّك أوَّلا بأوَّل بالتطوُّرات و لن أُخيِّب ظنَّك في فريقنا سيِّدي.

الرَّئيس : بالتوفيق يا سامي أنا بانتظار أخبار جيِّدة.

بعد مرور نصف ساعة فقط يتَّصل الرَّئيس بالمُفتّش سامي في مكتبه و يعلمه بتكليف كلّ من المساعدين "صابر" و "عبد الحميد" بمساعدته في القضيَّة و أنَّهما في طريقهما إليه كما أنَّ خبير التصنُّت سيكون عنده بعد ساعة مصطحبا معه كلّ التجهيزات الضرورية.

لم يكد المُفتّش سامي يُغلق السماعة حتَّى دخل مكتبه شابان عرف أنَّهما المساعدان الجديدان.

المُفتّش سامي: مرحبا بكما مَن منكما "صابر" و من "عبد الحميد"؟

قدما التَّحيَّة العسكرية للمُفتِّش سامي و عرَّف كلّ واحد منهما بنفسه. شرح لهما المُفتّش سامي الإطار العام للقضيَّة دون الدخول في التفاصيل و أعلمهما أنَّ أوَّل مهامِّهما تنحصر في جمع معلومات أكيدة عن ثروة "رشاد علي"، رئيس الجمارك، "سليم شهاب" و "جيهان".

المُفتّش سامي: يجب علينا أن نعرف حجم ثرواتهم و حتَّى ثروات أزواجهم من أرصدة بنكية و عقارات و شركات و أسهم. هدفنا من هذه التحريات تضييق الخناق على المُتَّهَمين في القضيَّة الرَّئيسية و ذلك بتوجيه السؤال" من أين لك هذا؟" فعندما يعجز المُتَّهَمون عن تفسير مصدر ثرواتهم فإنَّ ذلك سيدفع القاضي لقبول فكرة انتماءهم للعصابة و الاستفادة المالية من أعمالها الإجرامية.

صابر: إذا سنستعمل السؤال عن مصدر الثروة كوسيلة ضغط و كدليل عن تورُّطهم مع العصابة

المُفتّش سامي: هذا بالضَّبط ما أريد. لكن انتبهوا فكُلُّ المعلومات التي ستجمعونها يجب علينا إثباتها في المحكمة إثباتا قانونيا بالوثائق و الأدلَّة و لا يقبل الطعن حتَّى لا يتمكَّن المحامون من المراوغة بحجة أنَّ حجم ثروات المُتَّهَمين التي قدَّمناها مُبالَغ فيها.

صابر: مفهوم سيِّدي. سنقدِّم لك مِلَفّا لكلِّ مُتَّهم بكُلُّ الوثائق و الحجج الرسميَّة خلال يومين فقط

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. أنا واثق من كفاءتكما. انطلقا على بركة الله.

يخرج المساعدان الجديدان من مكتب المُفتّش سامي في نفس الوقت الذي يُحضر فيه المساعد وليد و أشرف و زميلهما المُتَّهَمين "جيهان كامل" و "سليم شهاب" و رئيس الجمارك. يدخل الجميع مكتب المُفتّش سامي. يأمر المُفتّش بإحضار "رشاد علي" فينْضَم إليهم. يحاول "سليم شهاب" مخاطبة "رشاد علي" لكن المساعد وليد يمنعه من ذلك و يخبره أنَّ الكلام ممنوع.

ينظر إليهم المُفتّش سامي و ينتقل من وجه لآخر. تبدو عليهم علامات الارتباك و التَوتُّر و المَكر أيضا. تمضي دقيقة بدون أن يخاطبهم ثم تمضي دقيقة أخرى. الصَّمت ثقيل جدًّا على المُتَّهَمين لم يفهموا معناه لكنَّهم بدأوا يتوجَّسوا خيفة منه. ماذا يعني هذا الصَّمت؟ هل اكتشف المُفتّش كامل عناصر الجريمة؟ هل سيُدينهم القضاء؟ هل سيقبعون في السجن لسنوات طويلة؟ ماذا يعرف المُفتّش بالضبط عنهم؟ و لماذا أحضروهم صباحا دون حتى أن يفطروا؟ تكاثرت الأسئلة في صدور المُتَّهَمين و تدافعت الشُّكوك فيها. بماذا اعترف "رشاد علي" ليلة البارحة بعد أن قبضوا عليه؟.... و أخيرا تكلَّم المُفتّش سامي.

المُفتّش سامي: لقد وقعتم و انكشفت جرائمكم. لقد انتهى أمركم. هيا خذوهم.

كانت كلمات المُفتّش قوية مدوِّية في آذانهم لقد قال ما كان المُتَّهَمون يتوجسَّون منه بالضبط. أُخرج الجميع ما عدى "سليم شهاب". لقد قرَّر المُفتّش سامي أن يبدأ معه الاستجواب في حين أُدخل كلّ واحد من المُتَّهَمين الآخرين غرفة مختلفة و أُجلسوا على كراسي دون أن يُخبَروا بأيِّ شيء.

يطلب المُفتّش سامي من "سليم شهاب" أن يجلس على كرسي يقع في وسط الغرفة بالضبط، بعيدا عن مكتب المُفتّش و عن كلّ شيء آخر. يحتجُّ المُتَّهَم على استدعاءه و معاملته بهذه الطريقة.

سليم شهاب: هل تعلم ما الذي سينجُّر عن إيقافي و معاملتي بهذه الطريقة؟ سوف تدفعون الثمن غاليا. ألا تعلم من أكون؟ أنا من أكبر رجال الأعمال في البلد. تسحبونني من بيتي بالبيجاما و الشبشب؟ أنا مواطن شريف و ليس لكم أيُّ دليل يدينني في أيَّة جريمة. هل رؤساءك على علم بتصرفاتك؟ سوف تندم أشدَّ النَّدم أيُّها الضابط الصغير سوف تكون لي اتّصالاتي مع رؤساءك و ستعرف من أكون و ماذا أقدر أن أفعل.

ينظر إليه المُفتّش سامي دون أن يجيبه و يدعه يفرغ شحنة غضبه و يُكمِل مسرحيته. يتفطَّن "سليم شهاب" أنَّ المُفتّش لم يقم بأيَّة ردة فعل فلم يغضب من شتائمه و لم يخف من تهديداته بل بقي هادئا ينظر إليه كأنَّه يتفرَّج على مُهرِّج. سكت "سليم" برهة ثم واصل.

سليم شهاب: أنا إنسان مشغول جدًّا و لديّ الكثير من الأعمال و من غير المعقول أن تضيِّعوا وقتي هنا. أنا أطلب محامي الخاص و أطلب إطلاق سراحي فورا و من دون تأخير.
المُفتّش سامي: من حقِّك أن تتَّصل بمحاميك لكن مسألة إطلاق سراحك فهي ليست من حقك. إنَّك ستبقى معنا لبعض الوقت حتَّى نستكمل تحقيقاتنا معك ثم لَّما نرى أنَّ وقت إطلاق سراحك مناسب سنفعل. تفضّل اتّصل بمحاميك من هاتف المكتب هذا.

يُسرِع "سليم" بالاتّصال بمحاميه و يعلمه أنَّه في المباحث الجنائيَّة و أنَّه يجب أن يخرج فورا.

المُفتّش سامي: ها أنت قد دعوت محاميك و أخذت حقك القانوني فلنبدأ عملنا الآن. و لنبدأ من البدايَة : اسمك و عمرك و عملك و عُنوانك

سليم شهاب: ألا تعلمون من أنا؟ أنا..

المُفتّش سامي: (بنبرة حادة) لا داعي للتَّفاخر أجب حسب السؤال فقط دون أيَّة تعليقات. أنت هنا مُتَّهم مثلك مثل أي سارق فراخ أو نشَّال في حافلة. هنا أنا الذي أُمثِّل السُّلطة و أنت مُجرَّد شخص يمتثل للسلطة. مفهوم؟ لا تدعني أستعمل أساليب قاسية معك.

يتيقَّن "سليم شهاب" أنَّه أمام ضابط عنيد و صعب المراس و لا يمكنه السَّيطرة عليه بهذا الأسلوب و لهذا يجب عليه أن يغيَّر من أسلوبه. يُفكِّر لحظة ثم يحاول من جديد.

سليم شهاب: يبدو أنَّك ضابط جيِّد و تحترم عملك و أنا أحترم جِدًّا هذا النَّوع من النّاس و كم تمنيت أن يكون مدير الأمن في مجموعة شركاتي شخص بمواصفاتك. هل تُفكِّر في العمل الحر عوضا عن وظيفة الدولة التي لا توفر لك سوى مرتَّب بسيط لا يكفي مصاريف الحياة الكثيرة؟ لو عندك الرغبة فأنا مستعد أن أعيِّنك من الغد مدير الأمن في مجموعة شركاتي و بالرَّاتب الذي تقترحه. ما رأيك بألفي دولار في الشهر؟

المُفتّش سامي: أشكرك على هذا العرض المغري لكني لا أفكِّر إطلاقا في ترك المباحث فمُهمَّتي الأولى في الحياة هي القبض على المجرمين مثلك و تقديمهم للعدالة.

يتجهَّم وجه "سليم شهاب" فمحاولته الثانية باءت بالفشل أيضا. كيف سيتصرف مع هذا الضابط العنيد؟ سيحاول إنكار كلّ شيء حتَّى يصل محاميه و عندها أكيد أنَّ المحامي سيجد ثغرة قانونية تُخرجه من هذه الورطة رغما عن أنف الضابط.

المُفتّش سامي: أُكرِّر عليك السؤال اسمك و عمرك و عملك و عُنوانك؟

سليم شهاب: "سليم شهاب"، أربعة و خمسون سنة، رجل أعمال و أسكن في "فيلا سليم شهاب" في الحي الراقي في المدينة.

المُفتّش سامي: ما هو نوع الأعمال التي تقوم بها؟

سليم شهاب: لديَّ مجموعة شركات في مختلف المجالات العقارات، صناعة المواد الغذائيَّة، سياحة و فنادق، مستشفى استثماري، أراضي زراعية، أسهم في شركات متعددة...

المُفتّش سامي: هل أنت من عائلة غنيَّة. أقصد هل ورثت أموالا عن والديك؟

سليم شهاب: أنا من عائلة بسيطة و لم أرث عن والدي سوى بيت قديم في المدينة العتيقة.

المُفتّش سامي: إذًا هل لك أن تُفسِّر لنا مصدر الثروة الكبيرة التي تمتلكها اليوم؟

سليم شهاب: أنا إنسان عصامي كوَّن نفسه بنفسه. عملت طويلا حتَّى أصل إلى ما أنا عليه اليوم.

المُفتّش سامي: الملايين من النّاس يعملون أيضا بكُلِّ جدٍّ يوميا لكن لم يجمعوا واحد من مليون من ثروتك هلاَّ أخبرتنا عن الأنشطة غير المشروعة التي سمحت لك بالحصول على هذه الثروة بسرعة.

سليم شهاب: أنا أحتجُّ على هذا السؤال. هذا يعتبر حسدا و شكًّا في غير محله. لو عندك أيُّ دليل قدِّمه

المُفتّش سامي: مسألة الأدلَّة هي من اختصاصنا و نقدِّمها في الوقت المناسب. ما هي علاقتك بـــ"جيهان كامل"؟

سليم شهاب: "جيهان"؟ أنَّها تعمل في فندق الشيراتون كمسؤولة عن الاستقبال و العلاقات العامة و أنا أطلب خدماتها من حين لآخر في مجموعة شركاتي عندما يكون هناك حفل أو مؤتمر أو وفد زائر فكما تعلم أنَّ ضيوفي هم من الشخصيات الهامَّة في عالم الاقتصاد و الأعمال و السياسة و يجب أن يعامَلوا وفق "الإتيكات" و البروتوكول فأحتاج لجيهان كونها خبيرة في هذه الأمور ممَّا يعطي صورة إيجابية عن الشَّركة.

المُفتّش سامي: فقط؟ هل هذا هو كلّ ما بينكما؟

سليم شهاب: نعم هو كذلك.

المُفتّش سامي: و هل علاقة مِهنية كما قلت تبرِّر زيارة جيهان لك في منزلك؟

سليم شهاب: هي لا تزورني في البيت إطلاقا فلقاءاتنا القليلة كانت تتم في الشَّركة و ضمن اجتماعات إدارة العلاقات العامة.

المُفتّش سامي: إذًا كيف تفسِّر هذه الصورة؟ (يريه على شاشة الكمبيوتر الصُّورة التي التقطها المساعد أشرف لجيهان و هي داخلة لفيلا سليم البارحة)

سليم شهاب: أنا لا أعلم شيئا عن هذه الصُّورة فهي مصطنعة و لا علاقتي لي بها

المُفتّش سامي: أؤكد لك أنَّ هذه الصُّورة غير مصطنعة. لكن دعنا من هذه الصُّورة الآن. ما رأيك بشهادة "جيهان" التي أخبرتنا أنَّ علاقتكما تتجاوز إطار العمل لتتعدَّاه و تصبح علاقة غرامية. أعدك أنَّك لو تعاونت معنا سوف لن نخبر زوجتك بهذا الموضوع. كُلُّنا نعلم أنَّ الرَّجل المُهمّ ذي الالتزامات و الضغوط الشديدة يحتاج لبعض اللَّهو مع فتاة شابة و جميلة و تكوين علاقات من هذا النَّوع. و هذه العلاقات عادة ما تقع في أوساط رجال الأعمال. زد على ذلك أنَّها حقيقة جميلة و مغرية و مثقفة. (مبتسما)

سليم شهاب: أنا أحتجُّ على هذه الأسئلة. فلا علاقة لي بها خارج إطار العمل.

المُفتّش سامي: من حقك أن تنكر لكن ذلك سوف لن يكون في صالحك فبقية المُتَّهَمين سيحاولون الدفاع عن أنفسهم و يُلقوا باللائمة عليك وحدك، عندها ستجد نفسك مُتورِّطا و لوحدك. على كلّ حال أنت حر في أخذ قراراتك.

يدخل محامي "سليم شهاب". يُقدِّم نفسه و يطلب أن يعرف لماذا تمَّ إيقاف مُوكِّله و هل هـــو بحالـــة إيقاف أو تحقيق عادي.

المُفتّش سامي: "سليم شهاب" مُتورِّط في قضيَّة مقتل "حسين مالك" و لدينا أدلَّة دامغة بذلك و عليه فنحن قررنا إيقافه لأربعة أيام على ذمة التَّحقيق.

سليم شهاب: (يخاطب محاميه) هل يمكنني أن أخرج بكفالة؟

المحامي: هل يمكنني الاطلاع على هذه الأدلَّة؟

المُفتّش سامي: إنَّها تسجيلات بصوت المُتَّهَم تشير بوضوح لتورطه إضافة لشهادة بعض الشهود

المحامي: إذا نطلب إطلاق سراح مُوكِّلي بكفالة و نتعهد بحضوره جلسات الاستجواب

المُفتّش سامي: هذا غير ممكن فالقضيَّة كبيرة و لن نسمح له بأن يهرب و يفلت من أيدينا

المحامي: هل لنا أن نطَّلع على هذا التسجيل؟

المُفتّش سامي: ستطَّلعان عليه لكن في الوقت المناسب و الآن لا تعطِّل التَّحقيق و كن حاضرا مع المُتَّهَم لحماية حقوقه فقط

المحامي: لا تُجب على أيّ سؤال حتَّى أشير لك

المُفتّش سامي: إذًا أنت تنكر علاقتك العاطفية مع "جيهان" و تنكر أن تكون زارتك البارحة في بيتك

سليم شهاب: نعم

المُفتّش سامي: لتُحدِّثنا الآن عن علاقتك بـــ"رشاد علي"، مدير مكتب السيد مدير الأمن سابقا
سليم شهاب: ليست لدي أيَّة علاقة به و لا أعرفه
المُفتّش سامي: قلت لك مسبقا أنَّ الإنكار لن يفيدك. لدينا تسجيل بصوتك و أنت تتحادث معه. إن أنت أنكرت علاقتك به فهو لم ينكر ذلك بل حاول أن يرمي كلّ الجرم عليك أنت. هل تريد أن تسمع التسجيل؟
سليم شهاب: لا يهمُّني فهذا التسجيل مصطنع و لا قيمة له.
المُفتّش سامي: و كيف عرفت أنَّه مصطنع و أنت لم تسمعه بعد؟

يُشغِّل المُفتّش سامي التسجيل و تبدو علامات الندم و الحسرة على وجه "سليم" بسبب قلة حرصه. يبدو أيضا أنَّ المحامي فقد الكثير من حماسه لَمَّا سمع التسجيل.

المُفتّش سامي: التَّسجيل واضح و هذا صوتك أنت و صوت "رشاد علي". هل لك أن تخبرنا لماذا يُنبِّهك "رشاد علي" بخصوص تفتيش منزلك و مكتبك؟ و ما الذي تحاول أن تخفيه؟ و ما دخلك و مصلحتك في إبعادي شخصيا عن التَّحقيق في هذه القضيَّة؟
المحامي: قبل أن يتكلَّم مُوكِّلي أيَّة كلمة أنا أُشكِّك في قانونية التسجيل كونه لم يحصل على إذن مسبق و بالتَّالي يُلغى و لا يُعتبر ذا فائدة في التَّحقيق.
المُفتّش سامي: أُطمئنك أنَّ التسجيل وقع وفق الإجراءات القانونية و يمكنك أن تتأكَّد من صورة الإذن في مِلَفّ القضيَّة.

ينظر المحامي لمُوكِّله و يرفع حاجبيه علامة على استسلامه أمام حرص المباحث. لقد باءت مناوراته القانونية بالفشل فالمباحث حرصت أن تكون كلّ الإجراءات سليمة و قطعت الطريق أمام هذه المناورات.

سليم شهاب: أنا لا أعترف بهذا التسجيل لقد اصطنعتموه للإيقاع بمواطن شريف مثلي.
المُفتّش سامي: لم يكن هذا كلام "رشاد علي" فقد اعترف لنا بأنَّك كنت تُقدِّم له مبالغ مالية كبيرة نظير خدماته لك و التي كانت تشمل التجسس على جهاز المباحث الجنائيَّة و إعلامك بأسرار التَّحقيق من جهة و إبعادي شخصيا عن القضيَّة الرَّئيسية بعد أن اقتربت من كشف عصابتكم. لقد روى لنا

"رشاد علي" كلّ التفاصيل بما فيها اجتماعاتكم في فِيلاّ "وردة الرمال" و تآمركم عليَّ شخصيًّا و المبالغ النقدية التي كان يحصل عليها من عندك شخصيًّا و من عند بقية العصابة. موقفك صعب جدًّا فالتسجيل و شهادة "رشاد علي" و بعض الشهود الآخرين الذين رأوكما تجتمعان في الفِيلاّ يؤدي حتما لإدانتك. على الأقل دافع عن نفسك فحتى الآن أنت المُدبِّر الرَّئيسي لمجموعة من الجرائم و من ضمنها قتل "حسين مالك". محاميك يعرف طبعا ما هي عقوبة جريمة القتل مع سبق الإضمار و الترصد. العقوبة هي الإعدام، أو المؤبد لو توفرت لك ظروف التخفيف لكنَّني لا أرى أيَّة ظروف تخفيف يمكنك الاستفادة منها. العقوبة ستكون إذا الإعدام.

يمتقع وجه "سليم شهاب" و ينظر لمحاميه بإلحاح.

المحامي: من فضلك سيِّدي المُفتّش فأنت تُوجِّه لمُوكِّلي تهمة القتل دون أيِّ دليل.

المُفتّش سامي: قريبا جدًّا ستكون هناك الكثير من الأدلَّة لإدانة "سليم شهاب" بالتخطيط لقتل "حسين مالك".

سليم شهاب: أنا لا أعرف شيئا عمَّا تتحدث و يمكنك أن تُلقي عليَّ كلّ تُهم العالم لكنَّني بريء من كلّ ما تقول.

المُفتّش سامي: لماذا أخبرك "رشاد علي" بقرار التفتيش وماذا كنت تخفي؟

سليم شهاب: ليس لدي أيّ شيء أُدلي به

المُفتّش سامي: إذًا أنت تمتنع عن الإجابة على الأسئلة؟

سليم شهاب: نعم

المُفتّش سامي: إذًا سيتوقف الاستجواب الآن و ستنتظر هنا في المكتب لوحدك و يتفضّل السيد المحامي بالمغادرة و سيسمح له بالحضور عند متابعة الاستجواب.

ينظر "سليم شهاب" للمحامي و يسأله

سليم شهاب: هل ستتركني هنا لأربعة أيام؟ افعل شيئا حاول إخراجي. استعمل حيلك القانونية. لماذا إذًا تأخذ من عندي آلاف الدولارات إذا لا أستطيع التعويل عليك في موقف كهذا؟

يقترب المحامي من مُوكِّله و يهمس له

المحامي: أرجوك سيِّدي فقد استنفدت كلّ الحيل القانونية. مِلَفّ القضيَّة مبني بشكل جيِّد و المباحث لم تترك لي أيَّة ثغرة في الإجراءات حتَّى أنفذ منها. أطلب منك القليل من الصبر و سأقوم باتّصالاتي مع الجماعة علَّنا نستطيع أن نضغط على المُفتِّش عن طريق رؤساءه. هذا الحلُّ الوحيد المتوفِّر لدينا.

سليم شهاب: لا تهمُّني الطريقة لا بدَّ لي أن أخرج من هنا حتَّى لو تطلَّب الأمر تهريبي.

المحامي: لا تقلق سوف نجد حلاً بالتَّأكيد قانونيا كان أم غير قانوني.

المُفتِّش سامي: انتهت جلسة التَّحقيق. تفضّل بالانصراف أيُّها المحامي. أيُّها الحارس ابق هنا في المكتب و راقب المُتَّهَم جيِّدا. لا أريد أن يغيب عنك لحظة واحدة و لا تسمح له بأي شيء دون إذن مباشر منِّي. أيّ تجاوز لهذه التعليمات سيعرِّضك لمحاكمة عسكرية. هل هذا مفهوم.

الحارس: مفهوم سيِّدي.

يخرج المحامي و المُفتِّش سامي من المكتب و يتوجَّه هذا الأخير للغرفة الثانية أين توجد "جيهان كامل". يصطحب معه في الاستجواب المساعد أشرف. يدخل المُفتِّش الغرفة. يجلس على مكتبه. ينظر لجيهان و يحرِّك رأسه أفقيا علامة على استياءه.

المُفتِّش سامي: لِمَ كذبتِ علينا يا "جيهان"؟ هل كنت تتخيلين أنَّنا لن نعرف الحقيقة؟

جيهان: أنا لم أكذب عليكم في شيء. فكُلُّ ما قلته كان حقيقيا

المُفتِّش سامي: ربَّما قلت لنا حقيقة لكنّك أخفيت عنّا الكثير من الحقائق.

جيهان: مثل ماذا؟

المُفتِّش سامي: ما هي علاقتك بـــ"سليم شهاب" مثلا؟

جيهان: علاقتي به علاقة عمل عاديَّة. لقد سبق أن ذكرتُ لكَ بأنَّني أتعامل مع بعض الشَّركات الكبرى عندما يستقبلون ضيوفا مُهمِّين أو يشاركوا في معارض. لقد كانت شركات "سليم شهاب" تطلب خدماتي في الاستقبال و الضيافة. فقط هذا كلّ ما في الأمر.

المُفتِّش سامي: (يحرِّك رأسه أفقيا من جديد) مازلت تُخفين عنا الكثير من الحقائق. هل طبيعة عملك هذه تستوجب منك القيام بزيارات خاصة لـــ"سليم شهاب" في بيته؟

جيهان: لم أزره في بيته و لا مرَّة سيِّدي. و لماذا أزوره؟

المُفتّش سامي: بل زرتهِ في بيتهِ بالأمس و لدينا صور واضحة لكِ و أنتِ تدخلين بيته. هل تودِّين أن ترينها؟

تدرك "جيهان" أنَّ الإنكار لن يفيدها و تشعر بأن المُفتّش عنيد و واثق من كلامه
جيهان: حسنا لقد زرته بالأمس في بيته هذا صحيح. لقد طلب منِّي ذلك.
المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. بدأنا نتفاهم. و ما سبب الزيارة؟
جيهان: لقد أخبرني أنَّ وفدا أجنبيا سيزور شركته قريبا و أوكل لي مُهِمَّة استقبالهم في المطار و مرافقتهم طيلة زيارتهم.

يرمي المُفتّش سامي القلم الذي كان في يده بقوة على الحائط محاولا التأثير على جيهان و يُمَثِّل دور المُفتّش العصبي. و هذه تقنية قد يلجأ إليها في بعض الأحيان ليُخيف المُتَّهَم و يُؤثِّر فيه و يقنعه بأنَّ لا مفرَّ من البوح بالحقيقة كاملة.

المُفتّش سامي: ها قد عدنا للأكاذيب من جديد. ماذا تحسبيننا أيَّتها الفتاة المغرورة؟ هل تلاحظين على وجوهنا علامات الغباء؟ أو أنَّنا مبتدؤون في المباحث الجنائيَّة؟ لأريحك من هذه المغالطات و المناورات و لا تضييعي لي وقتي فنحن نعلم أنَّك كنت على علاقة عاطفية بـــ"سليم شهاب" و قد أخبرنا للتو بتفاصيل هذه العلاقة. بل أكثر من ذلك لقد وصفك بأوصاف لا تليق و روى لنا بفخر تفاصيل علاقتكما السرِّية. هل تريدين أن أقرأ لك البعض من هذه التفاصيل؟

تنزل "جيهان" رأسها في الأرض علامة عن الاستحياء و الندم.
جيهان: صحيح لقد كنت على علاقة عاطفية بـــ"سليم شهاب" و ماذا يفيدك هذا فالقانون لا يعاقب هذا النَّوع من العلاقات. ليس لديكم أيُّ شيء ضدي. إن كان هذا هو كلّ ما لديكم فأنا أطلب إطلاق سراحي فورا.

يبتسم المُفتّش سامي فقد تحصَّل أخيرا على اعتراف من "جيهان" بعلاقتها العاطفة بـــ"سليم شهاب" و قد صدق حدسه.

المُفتّش سامي: لا. نحن لا نتَّهمك بربط علاقة عاطفية مع "سليم شهاب" فهذه حريتك الشخصيّة و لا يعاقب عليها القانون. بل الذي أريد فهمه كيف يمكن لك أن تكوني متأثرة جدًّا بوفاة "حسين مالك" الذي كنت أيضا على علاقة عاطفية به و كنت ستتزوجينه و في نفس الوقت تقيمين علاقة مشابهة مع سليم شهاب؟ هذا هو السؤال؟ هل تقدرين أن تعشقي رجلين في نفس الوقت؟

جيهان: هذا أيضا ليس من شأنكم فهذه حريتي الشخصيّة و لا يمكن لأيٍّ أحد أن يحاسبني عليها.

المُفتّش سامي: أودُّ تذكيرك فقط أنَّ أحد الرَّجلين قد قُتِل و أنَّ الآخر مُتَّهم بقتله و أنَّك اعترفت للتوِّ بعلاقتك مع الرَّجلين فلمن كان ولائك؟ أكيد أنَّك كنت تخادعين أحدهم و تعملين لصالح الآخر. أنتِ عالقة في قضيَّة كبيرة و مُتورِّطة فيها جدًّا.

جيهان: كنتُ على علاقة بالاثنين معا في نفس الوقت. لقد بدأت علاقتي مع "سليم شهاب" منذ سنوات في إطار العمل ثم تطوّرت حتَّى صارت على ما هي عليه الآن. أما علاقتي مع "حسين مالك" فلم تبدأ إلاّ منذ بضعة شهور. و قد حافظت على علاقتي مع "سليم شهاب" لأنَّها علاقة عمل بالأساس أما علاقتي مع "حسين مالك" كانت علاقة حب حقيقي و كنَّا فعلا سنتزوج.

المُفتّش سامي: يالها من قصة حبٍّ رائعة و صادقة و أنت تتَّصلين برجل آخر بدعوى العمل.

جيهان: قلت لك أنَّ هذه حياتي الشخصيّة و أنا حُرَّة فيها

المُفتّش سامي: أنتِ حُرَّة في ذلك لكنَّك لستِ حُرَّة في التآمر على "حسين مالك" و المشاركة في قتله. إنّي أتَّهمك بالمشاركة في قتل "حسين مالك" تحت تأثير علاقتك بـــ"سليم شهاب".

جيهان: هذا غير صحيح. لم أقتله. و كيف لي أن أقتله و هو مات في حادثة سيَّارة و لم أكن معه ساعتها؟

المُفتّش سامي: هذا بالضبط ما ستخبرينا به. ستروين لنا تفاصيل تآمرك مع "سليم شهاب" ضدَّ القتيل. كيف دبرتما الحادثة و ما هو دورك بالضبط؟

جيهان: أنا لم أقتله. قلت لك أنّي لم أقتله و لم أشارك في قتله. لماذا لا تفهم؟

و تنهار "جيهان" و تبدأ بالبكاء بشدة كالطفلة الصغيرة.

المُفتّش سامي: نتوقَّف عند هذا الحدّ و نواصل التَّحقيق لاحقا. يا أشرف تُحبس المُتَّهَمة أربعة أيام على ذمَّة التَّحقيق و تبقى اليوم في هذه الغرفة لا تغادرها و أبقِ معها حارسا لا يفارقها أبدا.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي

يخرج المُفتّش سامي و مساعده من الغرفة.

المُفتّش سامي: ما رأيك في اعترافات "جيهان"؟

المساعد أشرف: أظُنّ أنَّك كنت محقًّا عندما قلت أنَّ قصَّة حبّ جيهان و القتيل كانت وردية أكثر من اللازم فلقد صُعقت عندما اعترفت بعلاقتها بـــ"سليم شهاب" في نفس الوقت مع علاقتها بالقتيل.

لكنَّ الذي لا أفهمه هو كيف عرفتَ ذلك؟

المُفتّش سامي: إنَّه حدس الضابط و ثمرة التجربة إضافة لبعض المؤشرات. أوَّلاً شخصيّة "جيهان" تدل على تنكُّرها لمبادئ مجتمعنا و ديننا: تشرب الخمر، تُدخِّن و تُقيم علاقات غير مشروعة و هذا يعني أنَّها مستعدة للقيام بأيّ شيء مهما كان غير أخلاقي. ثانيا زيارتها السريعة لـــ"سليم شهاب" في بيته بعد تلقيه الاتّصال من "رشاد علي" تدلُّ على قوَّة العلاقة التي تربطهما. ثالثا، فتاة شابة و جميلة ومثقَّفة مثل "جيهان" لا بدَّ و أن تجلب انتباه رجل أعمال ثريٍّ و ذي نفوذ و مُجرم مثل "سليم شهاب". لمَّا ربطت هاته المؤشرات لاحت لي إمكانية هذه العلاقة المشبوهة.

المساعد أشرف: أظُنّ أنَّنا نتقدَّم بسرعة في التَّحقيق فاعترافها بعلاقتها العاطفية مع "سليم شهاب" يزيد من شكوكنا في تورُّطها في الجريمة لكنَّني في نفس الوقت لا أرى كيف ساهمت في الحادثة و ما هو دورها فيها.

المُفتّش سامي: أنا مُتأكِّد أنَّها لم تُنفِّذ الجريمة لكن لها دورا ما في العمليَّة بمجملها و لا بدَّ أن نعرفه.

المساعد أشرف: مَن مِن الرَّجلين كانت تُحب يا ترى؟

المُفتّش سامي: أظُنّ أنَّها تحب المال أكثر من أيِّ شيء آخر. سنُركِّز في بقيَّة التَّحقيق عن دورها في المؤامرة. كلّ أسئلتنا يجب أن تصبَّ في هذا الاتجاه.

المساعد أشرف: لازلت مُقتنِعا أنَّها كانت تحبُّ "حسين مالك" فلقد فهمت ذلك من نظرات الحزن في عينيها

المُفتّش سامي: أظُنّ ذلك أيضا و لذلك يجب أن نستغل هذه النقطة أفضل استغلال

المساعد أشرف: كيف ذلك سيِّدي؟

المُفتّش سامي: سنغذّي إحساسها بالذّنب و النّدم فإذا كانت تحبّ فعلا القتيل و قد شاركت فعلا في قتله من قريب أو من بعيد فإنّها ستحاول بالتأكيد التخلّص من شعور الذنب لديها و ذلك بأن تصارحنا بكُلّ الحقيقة ففي الاعتراف تكفير لذنبها و راحة نفسية لها.

المساعد أشرف: فكرة ممتازة سيِّدي. مع من ستُحقق الآن؟

المُفتّش سامي: سأُحقّق مع رئيس الجمارك. استدع المساعد وليد لحضور التّحقيق معنا

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي

يدخل المُفتّش سامي للغرفة التي يتواجد فيها رئيس الجمارك. يجلس على المكتب بمواجهة المُتّهَم. ينظر إليه في عينيه طويلا. يخفض المُتّهَم عينيه أسفا و خجلا.

المُفتّش سامي: ها نحن نتقابل مُجدّدا و في وقت قصير. و هذا يعني أنّ لدينا الكثير من الكلام الذي يجب أن نصارح به بعضنا. خاصّة كلام من عندك. لتبدأ بالتعريف عن نفسك: اسمك و عمرك و عملك و عُنوانك.

رئيس الجمارك: "محي شرف الدين"، اثنان و خمسون سنة، رئيس مصلحة الجمارك بالميناء البحري، أسكن في الضاحية الشمالية للمدينة.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. لنبدأ من وظيفتك. ماذا يمكن أن يربطك برجل أعمال مثل "سليم شهاب"؟

محي شرف الدين: لـــ"سليم شهاب" العديد من الشّركات التي تقوم بتوريد و تصدير السلع و بالتّالي فإنّ تعاملاته مع إدارتي كثيرة و يوميّة تقريبا. و بالتّالي فعلاقتنا هي علاقة عمل لا غير.

المُفتّش سامي: و هل علاقة العمل هذه تبرِّر مغادرتك لمكتبك في وقت الدّوام الرسمي لمقابلة "سليم شهاب" في مكتبه؟ هل أنت تقوم بهذه الزيارات لكل المتعاملين مع إدارة الجمارك؟

محي شرف الدين: لقد شرحت لك سيِّدي أنّ لـــ"سليم شهاب" وضع خاص فعدد معاملاته كبير جدًّا ممّا يؤدي في بعض الأحيان لمشاكل بين إدارتي و مجموعة شركاته و نُضطر في بعض الحالات للاجتماع حتّى نحلّ هذه الخلافات عوضا عن لجوءه للمحكمة الإدارية و هذا داخل في طبيعة عملي. أنا لا أقوم بالتنقل لمقرّ أحد المتعاملين مع إدارتي إلاّ إذا كان حجم التعامل كبيرا و الخلافات كثيرة. فسياسة الدولة تحُثّنا على عدم تعطيل المؤسسات الاقتصادية و تسهيل عمليّات التّوريد و التصدير لها.

المُفتّش سامي: هذا الكلام جميل جدًّا لكنَّني أُذكِّرك فقط أنَّه يصلح لبرنامج تلفزيوني أو صحفي أمَّا في المباحث الجنائيَّة فكُلُّ هذا هراء لا نأخذ به و لا يشبعنا من جوع.

محي شرف الدين: هذه هي الحقيقة سيِّدي و ليس هناك أي شيء ثاني أُفيدك به.

المُفتّش سامي: لنتحدَّث بصراحة أكثر. لدينا معلومات أكيدة بأنَّه كانت هناك عمليَّات توريد لسلع ممنوعة دخلت من ميناء المدينة في الأشهر الماضية و قد قام القتيل "حسين مالك" بالتوقيع على تصاريح مغادرتها للميناء. عدد هذه الحاويات كان ثمانية أي بمعدَّل حاوية كلّ أسبوعين. من المفروض أن تحتوي هذه الحاويات على أسمدة و مواد كيميائيَّة تستعمل في الزراعة. لقد قامت شركة وهميَّة بتوريدها و اختفت هذه الشَّركة مباشرةً بعد توريد الحاوية الثامنة و الأخيرة.

محي شرف الدين: عجبًا! هذا أمر غريب. هذه أوَّل مرَّة أسمع بها عن هذه الحاويات

المُفتّش سامي: حقًّا؟ أنت رئيس إدارة الجمارك و كلّ هذه الحاويات تمرُّ أمامك يوميًّا و أنت هو المسؤول الأوَّل عن حماية حدود بلادنا من المنتجات الممنوعة و ها أنت تقول لي "عجبا" هل تريد أن تُقنعني أنَّك لست على علم بها و أنَّك لم تساهم في تمريبها لداخل البلاد؟

محي شرف الدين: أؤكد لك ذلك سيِّدي فالمسؤول الأول عن مراقبة الحاويات و إصدار تصاريح الخروج من الميناء هو المرحوم "حسين مالك" و ليس لي أن أراقب كلّ حاوية بنفسي.

المُفتّش سامي: إذا أنت تنكر ذلك؟

محي شرف الدين: قطعيا سيِّدي فلا علاقة لي بهذا الموضوع.

المُفتّش سامي: إذا ما قولك في شهادة "سليم شهاب" و التي اعترف من خلالها أنَّه هو الذي كان وراء الشَّركة المشبوهة التي استوَرَدت الحاويات الثمانية.

محي شرف الدين: هل هذا حقيقي؟ هل من المعقول أن يكون "سليم شهاب" هو الذي قام بهذه المخالفة الكبيرة؟

المُفتّش سامي: نعم هو كذلك و اعترف أيضا أنَّك أنت و القتيل كنتما تتقاضيان منه مبالغ طائلة حتَّى تُسهِّلا خروج هذه الحاويات من الميناء

محي شرف الدين: هذا كلام غير صحيح سيِّدي و أرفضه إطلاقا. أنا رجل شريف و تاريخي كلُّه يشهد أنَّني لم أتقاضى في أيِّ يوم من الأيَّام رشوة واحدة و لم أقم بأيَّة مخالفة للقوانين و لو كانت مسألة الحاويات الثمانية صحيحة فيمكن لإدارة الجمارك أن تحاسبني على التقصير المحتمل لكن ليس على الارتشاء

المُفتّش سامي: إذا لماذا يتَّهمك "سليم شهاب" بهذه التُّهَمة الخطيرة؟
محي شرف الدين: لا أدري سيِّدي فهذا أمر يخصُّه. ليس هناك أيُّ شيء يدلُّ على تورُّطي في الموضوع.

يدخل المساعد أشرف و المساعد وليد بسرعة للغرفة و هم في حالة ذهول.
المُفتّش سامي: ماذا بكما؟ ماذا حصل؟
المساعد وليد: لقد انتحر "رشاد علي"
المُفتّش سامي: ماذا؟ تقولان انتحر؟ كيف و متى؟
المساعد وليد: بعد أن أعلمني المساعد أشرف باستدعائك لي قمت بجولة تفقدية على الغرف الأخرى قبل أن ألتحق بك هنا و عندما دخلت الغرفة التي كان يجلس فيها "رشاد علي" وجدته ملقى على الأرض و الدماء تسيل من يده اليمنى.

يخرج المُفتّش سامي مسرعا من الغرفة و يطلب من المُفتّش أشرف أن يعيِّن حارسا مع رئيس الجمارك. يسرع المُفتّش سامي الخُطى و يدخل غرفة القتيل فيجده ملقى على الأرض و طبيب الإسعاف يجمع أدواته.

المُفتّش سامي: هل مات؟
الطبيب: نعم لقد فقد الكثير من الدم.
المُفتّش سامي: كيف مات؟
الطبيب: لقد قطع شريان يده اليمنى بهذا القلم مِمَّا أدَّى لنزيف حاد نتج عنه هبوط كبير في الدورة الدموية و من ثمة الوفاة

يضرب المُفتّش سامي ظهر الكرسي بقبضته ثم يلتفت لمساعديْه

المُفتّش سامي: و أين كان الحارس؟
المساعد وليد: لقد كان الحارس واقفا على باب الغرفة من الخارج و لم نأمره بحراسة القتيل داخل الغرفة

المُفتّش سامي: أين هذا الحارس؟

الحارس: نعم سيِّدي أنا الحارس

المُفتّش سامي: ألم يدخل أحد هذه الغرفة؟

الحارس: إطلاقا سيِّدي فمنذ أن دخل المُتَّهَم الغرفة و كُلِّفت بحراسته أغلقت الباب بالمفتاح. لم يُفتح هذا الباب نهائيا و لم يدخل أحد إلاّ عندما حضر المساعد وليد

المُفتّش سامي: ألم تغادر الباب و لو لبضع الوقت لتذهب للحمَّام مثلا؟

الحارس: لا سيِّدي لم أتحرَّك إطلاقا

المُفتّش سامي: ألم تسمع شيئا غريبا في الغرفة كصوت شجار أو صياح؟

الحارس: لا لم أستمع لأيِّ شيء فلو كان هناك أيُّ صوت لدخلت و لتأكدت من الأمر

المساعد أشرف: سيِّدي لقد وجدت هذه الورقة فوق المكتب و كأنَّها رسالة من القتيل

يأخذها المُفتّش سامي بسرعة و يقرأ ما جاء فيها:

"إلى أبي العزيز
أرجو أن تسامحني على إقدامي على الانتحار فقد وجدت أنَّه الملاذ الوحيد و المُشرِّف لي بعد أن خسرت شرفي و لطَّخت سمعة عائلتنا في الوحل.
سامحني أبي فلم أعد بقادر على أن أواجهك أو أنظر في عينيك و قد علَّمتنا منذ الصغر معنى الوطنية و الفداء و الرجولة و الشرف. الموت أهون علي من نظرات الاحتقار التي ستوجِّهها لي أو كلمات التبرؤ مني.
أغفر لي ذنبي الكبير و سامحني و السلام
ابنك رشاد"

يعطي المُفتّش سامي الرسالة لمساعديْه و يخرج من الغرفة شبه منهار و يجلس على أحد كراسي الانتظار في مدخل المبنى. يلتحق به مساعداه فيجدانه مطرقا في التفكير. يُربِّت المساعد وليد على كتفه و يجلس بجانبه.

المُفتّش سامي: لقد تلقّى التّحقيق ضربة قويّة غير منتظرة.

المساعد وليد:هذا صحيح فموت "رشاد علي" المُتّهَم الرّئيسي في القضيّة يُعتبر خسارة شاهد رئيسي لإدانة "سليم شهاب" و سيفتح المجال للآخرين للإنكار

المُفتّش سامي: سوف لن يهدأ محامو المُتّهَمين قبل أن ينجحوا في إطلاق سراحهم اليوم بالذات فلم نعد نملك الدّليل القوي الذي يسمح لنا بالاحتفاظ بهم لأيّام طويلة.

المساعد وليد: و ما العمل الآن؟

المُفتّش سامي: ليس أمامنا الآن سوى إطلاق سراحهم و البحث على أدلّة جديدة في اتجاه آخر.

المساعد وليد: هذا سيعيدنا لنقطة البدايَة من جديد

المُفتّش سامي: هذه هي صعوبة عملنا

يُطلق المُفتّش سامي سراح المُتّهَمين الثلاثة و يُعلمهم بمنعهم من السّفر في الأسبوع القادم. يأمر المُفتّش في نفس الوقت مساعديه بتسجيل كلّ ما يدور في بيت و مكتب "سليم شهاب" علّهم يحصلون على معلومات مفيدة تدفع التّحقيق من جديد إلى الأمام.

يغادر المُفتّش سامي المباحث مُتّجها لبيته و قد أخذ منه التعب و التشاؤم نصيبا كبيرا حتّى أنّه كان يفكّر و هو في السيّارة بالانسحاب من التّحقيق و استلام وظيفته الجديدة في فرنسا. غذّت زوجته هذه الفكرة لديه فقالت له أنّه ليس من شيء يربطك بهذه القضيّة فلم لا تتركها لزملائك و نهتمُّ نحن بحياتنا و مستقبلنا.

لقد جافى النوم عينيّ المُفتّش سامي معظم الليل. بقي يسترجع شريط أحداث التّحقيق و يسأل نفسه "ما هو التّقصير الذي ارتكبه أو الشّيء الذي أغفله و الذي أدّى لتعثُّر التّحقيق بهذا الشكل؟". أخيرا استسلم للنوم عند الرابعة فجرا.

لم يكن نام سوى ثلاثة ساعات عندما استيقظ و خرج من البيت مسرعا في اتجاه المباحث. لقد ظهرت له أفكار جديدة يمكن أن تبعث التّحقيق من جديد.

☒ الأربعاء ١٧ يناير السابعة و النصف صباحا بالمباحث.

يصل المُفتّش سامي للمكتب قبل زملائه فلا يجد سوى الساعي راضي و هو ينظّف المكاتب. أعدَّ له قهوته المعتادة. يحتسى المُفتّش سامي القهوة ويتصفَّح أوراق دفتره الصغير في انتظار بقية الزملاء. يُقدِّم له الساعي جريدة الصباح. يفتحها فإذا به يقرأ في صفحة الحوادث " لغز مقتل مدير مكتب السيد مدير الأمن: انتحار أم قتل؟". يستاء المُفتّش سامي جدًّا من هذا الخبر. إنَّ هذا يعني أنَّ الصحافة دخلت في القضيَّة و هذا سيعطّل سير التَّحقيق.

يدخل المساعد وليد للمكتب و ينتبه لحضور المُفتّش المُبكّر.

المُفتّش سامي: كيف وصل خبر انتحار "رشاد علي" للصحافة؟

المساعد وليد: لا نعلم كيف سيِّدي فبعد انصارفك البارحة بقليل فوجئنا بعدد من الصحفيين يجتاحون المكان و وجدنا صعوبة كبيرة في صدِّهم. لم نعطهم أيَّة معلومات كما أوصيت و حاولنا إبعادهم قدر المستطاع.

المُفتّش سامي: و لكن النتيجة كانت عكسية. قلَّة المعلومات الرسميَّة أدَّت لظهور الإشاعات و الفرضيَّات الخاطئة فلقد طوَّر الصحفيون فرضيَّتين إما الانتحار أو القتل و هذا يعني أنَّنا مُتَّهمون بقتل المُتَّهَم. يجب علينا أن نقطع الطريق أمام الإشاعات و نُصدر بيانا رسميا نشرح فيه ما حصل بشكل يُرضي الصحافة و يسمح بسرية التَّحقيق.

المساعد وليد: لكنَّك أوصيت سيِّدي بإبعاد الصحافة

المُفتّش سامي: نعم لقد فعلت. أمَّا الآن و هي موجودة فعلا في القضيَّة فلا مجال لتجاهلها. اتّصل بأكبر الصحف و أعلمهم أنَّ المباحث الجنائيَّة ستُصدر بيانا عن حادثة انتحار "رشاد علي" اليوم على السَّاعة الثالثة عصرا. و سأطلب من الرَّئيس أن يقوم بهذا التصريح

المساعد وليد: حاضر سيِّدي

يدخل المساعد أشرف للمكتب و علامات التَّعب ظاهرة على وجهه.

المُفتّش سامي: مالك تبدو مرهقا يا أشرف؟

المساعد أشرف: لقد سهِرت إلى ساعة متأخرة في سيَّارة الشرطة التقنية أستمع للكلام الذي دار في بيت "سليم شهاب" برفقة بعض الزملاء

المُفتّش سامي: و هل هناك شيء يفيد القضيَّة؟

المساعد أشرف: لا على الإطلاق سيِّدي فلقد كان المُتَّهَم قليل الكلام و لم يتحدَّث أبدًا في موضوع القضيَّة

المُفتّش سامي: إذًا لا بدَّ أنَّه تفطَّن لمسألة أجهزة التصنُّت أو شكَّ بوجودها خاصَّة بعد أن نجحنا في تسجيل مكالمته مع رشاد علي.

المساعد أشرف: ما العمل الآن ؟

المُفتّش سامي: أبقي فريق التصنُّت في موقعه اليوم أيضا و إنْ لم نُحقق أيّ إنجاز فِعلي ألغي العمليَّة فلا فائدة تُنتظر منها

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي.

المساعد وليد: هل فكَّرت سيِّدي في طريقة نستأنف بها التَّحقيق؟

المُفتّش سامي: نعم لقد فكَّرت كثيرا و تقريبا لم أنم البارحة من كثرة التفكير و قد استعرضت كلّ أحداث القضيَّة و تطوُّراتها بكُلِّ تفاصيلها و لقد اكتشفت أنَّنا أهملنا عنصرا غايَة في الأهميَّة.

المساعد وليد: و ما هو سيِّدي؟

المُفتّش سامي: نحن متَّفقون أنَّ أساس القضيَّة برمَّتها هو تهريب سلع ممنوعة داخل البلاد أليس كذلك؟ و قد قمنا بِعملٍ كبيرٍ للتّعرّف على الشَّركة التي قامت بالاستيراد لكنَّنا فشلنا في الوصول إليها بما أنَّ أصحابها أزالوا كلّ أثر لها.

المساعد وليد: و ما الجديد في ذلك؟ ما هو الشيء الذي أهملناه؟

المُفتّش سامي: عمليَّة الاستيراد تتطلَّب طرفين على الأقل مستورِد و مُصدِّر. إذا فشلنا في اقتفاء أثر المستورِد فلماذا لا نقتفي أثر المُصدِّر و بذلك نفهم ما هي طبيعة السلعة المُهَرَّبَة.

يضرب المساعد وليد جبهته بيده علامة الحسرة

المساعد وليد: يجب علينا الرجوع لِملَفّات عمليَّات التَّوريد و معرفة الشَّركة المصدرة

المُفتّش سامي: بالضبط هذا ما يجب فعله فورا

يفتح المساعد وليد دُرج مكتبه و يُخرج مِلَفّات عمليَّات التَّوريد المشبوهة و يُلاحظ أنَّ الشَّرِكة المُصدِّرة هي نفسها في كلّ عمليَّة.

المساعد وليد: إنَّها شركة "الكِيميائيَّة العالمية"
المُفتّش سامي: أظُنّ أنَّ القتيل "حسين مالك" كان يحتفظ ببطاقة لأحد مسئولي هذه الشَّرِكة في محفظة أوراقه
المساعد وليد: نعم أتذكَّر ذلك سأجدها في الحال

يبحث المساعد وليد عن هذه البطاقة في كيس جُمعت فيه وثائق القتيل حتَّى يعثر عليها.
المُفتّش سامي: هل يوجد في البطاقة عُنوان موقع إنترنت الشَّرِكة؟
المساعد وليد: أجل سيِّدي
المُفتّش سامي: أرِنا كفاءتك في التَّعامل مع الكمبيوتر و الإنترنت و استخرج كلّ المعلومات الممكنة عن هذه الشَّرِكة.
المساعد وليد: بكُلُّ سرور سيِّدي

يُشغِّل المساعد وليد الكمبيوتر و يرتبط بشبكة الإنترنت في حين يُقَرِّب المُفتّش سامي و المساعد أشرف كراسيهما وراء وليد و يُطالعان في شاشة الكمبيوتر بكُلُّ اهتمام.

المساعد وليد: سأزور موقع هذه الشَّرِكة على الإنترنت لنعرف نشاطها الرَّئيسي.
المُفتّش سامي: دعنا نركز على صفحة أنشطة الشَّرِكة
المساعد وليد: الشَّرِكة مُتخصِّصة في الصِّناعات الكِيميائيَّة المتعدِّدة كالأسمدة و الأدوية و خامات الأدوية و معالجة التلوُّث الكيميائي و الإشعاعي كما أنَّها تُقدِّم خدمات استشارية متنوعة في مجال الصناعة الكِيميائيَّة و مشاكل التلوث البيئي. تأسَّست هذه الشَّرِكة منذ أربعين سنة تقريبا و لها اسم كبير في مجال الصناعة الكِيميائيَّة. يعمل بهذه الشَّرِكة أكثر من خمسة آلاف موظَّف و عامل و هي من أكبر الشَّرِكات في فرنسا و في أوروبا.
المُفتّش سامي: ماذا يمكن أن تُهرِّب هذه الشَّرِكة لبلادنا خِلسة؟ ما هو المنتج الممنوع و الذي تدفع من أجله مبالغ طائلة كرشوة و تقتل من أجله أناسا؟

المساعد وليد: دعنا نتصفَّح صفحات أكثر في الموقع علَّنا نجد معلومات أخرى مفيدة.

ينتقل وليد من صفحة لأخرى على موقع الشَّركة لكن دون فائدة تُذكر. يفتح صفحة النتائج المالية للشَّركة فيلاحظ تدهور وضعية الشَّركة المالية للثلاث سنوات الأخيرة حيث سجَّلت خسائر تفاقمت لتُهدِّد الشَّركة بالإفلاس.

المساعد وليد: هذه الشَّركة، رغم حجمها و عدد موظفيها الكبير، تعيش أزمة مالية خانقة منذ ثلاثة سنوات قد تسبب إفلاسها في القريب العاجل إن لم تحصل معجزة.
المُفتّش سامي: أظُنّ أنَّ هذا دافع كافي لتقوم الشَّركة بعمليَّات غير قانونية تصل حتَّى للقتل. كيف يمكن لنا أن نعرف ماذا حصل في الشَّركة في الأشهر الأخيرة و الذي يمكن أن ينقذها. أعني ما هي الصَّفقات أو العقود التي وُقِّعت في الفترة الأخيرة والتي من شأنها أن تُنقذ الشَّركة؟
المساعد وليد: الموقع لا يحتوي على معلومات أكثر. لكن دعنا نُجرِّب مُحرِّكات البحث و ذلك باستخدام اسم الشَّركة و بالتأكيد فإنَّنا سنجد بعض الأخبار الخاصة بصفقاتها الجديدة في الصَّحافة الإلكترونية.
المُفتّش سامي: هيا افعل ذلك.

يتفحص المُفتّش سامي شاشة الكمبيوتر بتعطُّش كبير لكلِّ معلومة أو خبر يخصُّ الشَّركة و يراقب المساعد وليد و سرعته في التَّعامل مع لوحة المفاتيح.
المُفتّش سامي: لم أكن أعرف أنَّك بهذه المهارة في مجال الكمبيوتر و الإنترنت. متى تعلمت كلّ هذا؟
المساعد وليد: حياة العزوبية تجعل لك الكثير من الوقت لتتعلَّم الكثير من الأشياء فالكمبيوتر هو تسليتي الأولى عندما أرجع للبيت مساءا
المُفتّش سامي: (مبتسما) ربَّ ضارَّة نافعة. أكون لك شاكرا إن علمَّتني بعض مهاراتك في الكمبيوتر و الإنترنت
المساعد وليد: بكُلُّ سرور سيِّدي.

ينتقل المساعد وليد بين الصفحات دون أن يحصل على معلومات مفيدة.

المساعد وليد: هناك للأسف عدد كبير من الأخبار غير المهمة و التي تُضيِّع وقتنا كما أنَّ سرعة الشَّبكة ضعيفة مِمَّا يتطلَّب وقتا كبيرا لتحميل صفحة واحدة

تمر فترة من الزمن قبل أن يتوقَّف وليد عند خبر صادر عن وزارة البيئة الفرنسية تعلن فيه عن إبرامها لصفقة مع شركة "الكِيميائيَّة العالمية" لمعالجة النِّفايات النوويَّة المتأتية من المفاعلات النوويَّة الفرنسية المدنية و العسكرية.

المساعد وليد: تبلغ قيمة هذه الصَّفقة عشرة ملايين دولار مِمَّا يُمكِّن الشَّرِكة من استرجاع توازنها المالي. تُبرِّر الوزارة إسناد الصَّفقة لهذه الشَّرِكة برغبتها في إنقاذها من الإفلاس و المحافظة على أكثر من خمسة آلاف وظيفة.

المُفتِّش سامي: متى تمَّ إبرام الصَّفقة؟

المساعد وليد: لقد تمَّ توقيع العقود في شهر مارس من السَّنة الماضية في مَقرِّ الوزارة بباريس.

المُفتِّش سامي: جيِّد جدًّا. هذا ينطبق تماما مع جدولنا الزَّمني

المساعد وليد: ماذا تقصد؟

المُفتِّش سامي: أقصد أنَّ الأمر في غايَة الخطورة فلو صحَّت توقُّعاتي فإنَّ هذه القضيَّة ستُفجِّر بركانا كبيرا.

المساعد وليد: هل تقصد أنَّ الشَّرِكة صدَّرت النِّفايات النوويَّة لبلادنا عوضًا عن معالجتها في مختبراتها؟

المُفتِّش سامي: هذا بالضبط ما أفكِّر فيه. لقد قلتَ أنَّ الشَّرِكة الفرنسية تعاني من تراكم الخسائر منذ ثلاثة سنوات و أنَّ وضعها المالي خطير للغايَة مِمَّا أدَّى بوزارة البيئة لإسناد صفقة معالجة النِّفايات النوويَّة لها مقابل مبلغ عشرة ملايين دولار. لو عالجت الشَّرِكة هذه النِّفايات كما يجب أن تفعل فإنَّ ذلك سيُكلِّفها الكثير من المال و الجهد و الوقت مِمَّا سيستنزف جزءا كبيرا من العشرة ملايين أمَّا إذا تخلَّصت منها بكُلِّ بساطة في مكان آخر بعيد فإنَّ ذلك لن يكلِّفها كثيرا و سيجعلها تربح العشرة ملايين بالكامل تقريبا.

المساعد وليد: يا إلهي إنَّ هذا الخبر مُرعب حقًّا. هل فعلا قامت الشَّرِكة الفرنسية برمي نِفايات نوويَّة في بلادنا؟ تهدِّد مباشرة صحَّتنا و بيئتنا؟ مقابل حفنة دولارات لبعض المرتشين و الخونة؟

المُفتِّش سامي: يبدو أنَّها ألقت بحمولة ثمانية حاويات بأكملها في بلادنا.

المساعد وليد: هذا أمر خطير جدًّا و لا يقبل التأخير فإنَّ أيَّ تسرُّب لهذه المواد سيؤدِّي لكارثة صحِّية و بيئيَّة و يتطلَّب التخلُّص من الإشعاعات المُتسرِّبة مئات إن لم نقل آلاف السنين.

المُفتّش سامي: إنَّه خطر لا يهدِّد أمن الدولة فقط بل أمن الأجيال القادمة أيضا و يجب أن نصل لمكان رمي هذه النِّفايات في أقرب وقت ممكن. لكن قبل كلّ هذا دعوني أخبر الرَّئيس بهذا التطوّر الجديد حتَّى يكون في الصُّورة و نرى ما يمكن فعله فيما بعد. بالنسبة لك يا وليد واصل البحث عن أيَّة معلومات أخرى عن هذه الشَّركة و عن الصَّفقة المشؤومة و جَمِّع جميع الوثائق ذات الصِّلة في مِلَفّ متكامل حتَّى نُدرجه في مِلَفّ القضيَّة.

المساعد وليد: حاضر سيِّدي

ينطلق المُفتّش سامي بسرعة لرئيسه ليخبره بالمعلومات الجديدة.

يُصعق الرَّئيس من هول الخبر و يتَّصل مباشرة بوزير الدَّاخليَّة فيُعلمه بالتطوّر الأخير للتَّحقيق و يطلب منه فريقا من خبراء وزارة البيئة حتَّى يساعدوا فريق التَّحقيق في القضيَّة.

الرَّئيس : لقد وافق معالي الوزير على طلبي و سيرسل لنا فريقا من الخبراء في مجال الإشعاع النووي. إنَّ معاليه متأثِّر جدًّا بهذا الخبر و سيُطلع فخامة رئيس الدولة عليه. إنَّه أوصاني بأن تكون أولوية التَّحقيق الآن هي الكشف عن مكان رمي النِّفايات و استخراجها حتَّى نمنع الكارثة البيئية و وفقا لذلك فعليك بتركيز كلّ جهودك على ذلك.

المُفتّش سامي: حاضر سيِّدي. سوف لن ندَّخر جهدا سيِّدي.

يرجع المُفتّش سامي لمكتبه و يتوجَّه للمساعد وليد.

المُفتّش سامي: هل هناك أخبار أخرى حول الشَّركة؟

المساعد وليد: لا سيِّدي فالأخبار على هذه الشَّركة شحيحة لم أنجح سوى في جمع بعض البيانات عن مسئولي الشَّركة الكبار. هناك بعض الصور التذكارية الموجودة على موقع الشَّركة يظهر فيها عدد من كبار مسئولي الشَّركة.

المُفتّش سامي: احتفظ بكُلُّ هذه البيانات في ذاكرة الكمبيوتر علنا نحتاجها لاحقا. لكنَّنا الآن نحتاج لنقطة ننطلق منها لمعرفة مكان رمي النِّفايات فهذه أولويتنا الآن

المساعد وليد: يمكن أن نحاصر المُتَّهَمين بالأدلَّة حتَّى يعترفوا لنا بكُلِّ شيء بما في ذلك مكان رمي النّفايات.

المُفتّش سامي: لكن هذا سيأخذ منا وقتا فكما لاحظت أنَّ هذه العصابة حريصة جِدًّا. يجب علينا انتهاج طريقة أخرى

المساعد أشرف: لو سمحت لي سيِّدي. لماذا لا نتتبع عمليَّة التَّوريد من بدايتها لنهايتها و نستجوب كلّ الأطراف المشاركة فيها؟

المُفتّش سامي: من تقصد بالضبط؟

المساعد أشرف: أقصد أنَّ الحاويات الثمانية التي دخلت الميناء و غادرته بعد حصولها على الموافقة من الجمارك لا بدَّ و أن تكون حُمِّلت على متن شاحنات كبيرة أوصلتها لعُنوانها الأخير.

المُفتّش سامي: فكرة ممتازة يا أشرف. كيف كانت هذه الفكرة غائبة عنِّي. يجب علينا تتبع الشَّرِكة التي نقلت الحاويات. أكيد أنَّ كلّ حاوية تخرج من الميناء تحصل على تصريح و في هذا التصريح يتمُّ كتابة أرقام الشاحنة التي تقوم بالنَّقل. لنرجع لِمَلَفّات عمليَّات التَّوريد.

يفتح المساعد وليد المِلَفّات من جديد و يستخرج تصريحات الخروج من الميناء. يبحث عن اسم شركة النَّقل و رقم الشاحنات.

المساعد وليد: نعم بالفعل ففي كلّ تصريح مذكور اسم شركة النَّقل و رقم الشاحنة و حتَّى اسم السائق و توقيعه على استلام الحاوية. كلّ الرحلات قامت بها شركة "النَّقل السريع" و على متن نفس الشاحنة و نفس السائق أيضا. هل هذه مصادفة؟

المُفتّش سامي: أرجو ألاّ يكون خيط الأمل هذا مقطوعا كسابقيه. رافقني يا أشرف في زيارة شركة النَّقل هذه. اعطني يا وليد اسم السائق و رقم الشاحنة و عُنوان الشَّرِكة.

المساعد وليد: لكنَّك سيِّدي ستكون على الميدان و هذا عكس الاِتِّفاق الذي أبرمته مع الرَّئيس .

المُفتّش سامي: نعم أعرف ذلك لكنَّني لم أعد أطيق صبرا على البقاء في المكتب كما أنَّ الأمور تغيَّرت و أصبحت أكثر خطورة

يخرج المُفتّش سامي و مساعده أشرف مسرعين لشركة "النَّقل السريع". يصلان بعد نصف ساعة تقريبا لمقرِّ الشَّرِكة. شركة متواضعة لا يحتوي مستودعها سوى على شاحنتين كبيرتين و ثلاثة

شاحنات صغيرة. مبنى الإدارة متكوِّن من دور أرضي فقط يبدو من طراز بناءه الأوروبي القديم أنَّه يعود للقرن الماضي و هو من بناء المستعمر.

يدخل المُفتِّش و مساعده لمدير الشَّركة. رجل تقدمت به السنُّ فلا تكاد تُفرِّق بينه و بين محتويات المكتب نظرا لسنوات العمل الطويلة التي قضاها في نفس المكان.

يُعرِّف المُفتِّش بنفسه و بمساعده و يسأل المدير.

المُفتِّش سامي: هل لديك شاحنة نقل بهذا الرقم؟ (و يعطيه الورقة التي سجَّل له فيها وليد رقم الشاحنة)

يلبس المدير نظاراته السميكة و يقرب الورقة من عينيه جيِّدا ثم يجيب

مدير شركة النَّقل: نعم بالفعل فهي من أحدث شاحناتنا. هل عملت حادثا لا سمح الله؟

المُفتِّش سامي: لا نريد فقط التحدَّث للسائق الذي كان يعمل عليها و الذي اسمه مسجَّل على الورقة التي بين يديك

يقرِّب الورقة من عينيه مجدَّدا باحثا عن اسم السائق

مدير شركة النَّقل: "الحاج سالم"؟ لقد غادرنا "الحاج سالم" منذ أسابيع عديدة.

المُفتِّش سامي: و أين ذهب؟

مدير شركة النَّقل: لقد تقاعد و لم يعد قادرا على مشقّة هذا العمل.

المُفتِّش سامي: هل تحتفظون بأرشيف كلّ عمليَّات النَّقل التي تقومون بها؟

مدير شركة النَّقل: (مبتسما) لا سيِّدي فنحن نقوم بآلاف عمليَّات النَّقل لفائدة عملائنا و لا نحتفظ إلاّ بالفواتير و الوثائق الرسميَّة لكنّ تفاصيل كهذه لا نحتفظ بها. أنا أدير هذه الشَّركة منذ وفاة والدي أي منذ أربعين سنة و هذه أول مرَّة يطالبني فيها أحد بشيء كهذا.

المُفتِّش سامي: طيّب أين يمكن لنا أن نعثر على السائق؟ هلا دللتنا على عُنوانه؟

مدير شركة النَّقل: هذا أمر مقدور عليه. "الحاج سالم" يسكن في الحي الشعبي الملاصق لهذه الشَّركة من الناحية الشرقية. و حتَّى لا تتعبوا في البحث عن بيته اسألوا عنه في مقهى "العروبة" إنَّه يجلس هناك لساعات طويلة كلّ يوم.

المُفتِّش سامي: شكرا لك

مدير شركة النَّقل: لكنك لم تخبرني عن سبب كلّ هذه الأسئلة. هل فعل "الحاج سالم" شيئا خطيرا؟

المُفتّش سامي: لا نحتاج فقط لشهادته في مسألة ثانية. مع السلامة.

تقف سيَّارة المُفتّش سامي أمام مقهى "العروبة". إنّها مقهى قديمة جدًّا و كلّ ما فيه يُذكّر بأوائل القرن الماضي و كأنَّ الزَّمن توقَّف عند حدودها. الطاولات و الكراسي قديمة و متآكلة. آلات صنع القهوة من الطراز القديم و كأنَّها أوَّل آلات دخلت البلد مباشرة بعد الثورة الصناعيَّة في أوروبا. صور زعماء عرب معلَّقة على جدرانها "جمال عبد الناصر"، "الملك فيصل" و "صدَّام حسين". وحتى الزبائن هم من كبار السِّن و أكثرهم من المتقاعدين.

يستدعي المُفتّش النَّادل و يسأله عن "الحاج سالم".
النَّادل: إنَّ موعد قدومه قد حان و لا بد أنَّه في الطريق فهو متعوِّد على القدوم للمقهى على السَّاعة العاشرة بالضّبط في كلّ يوم ما عدى الجمعة. تفضّلا و انتظراه فإنَّه لن يتأخَّر أكثر.

يجلس المُفتّش سامي و مساعده و يطلبان قهوة كابوتشينو
النَّادل: معذرةً سيِّدي فلا يوجد لدينا سوى شاي أو قهوة عربي على الفحم أو قهوة عاديَّة فهذه المقهى قديمة و كذلك آلاتها و معظم زبائنها.
المُفتّش سامي: قهوتان على الفحم إذًا.

ينصرف النَّادل ليحضر الطلبات
المساعد أشرف: هل تظنُّ أنَّ السَّائق سيساعدنا في الوصول لمكان النِّفايات؟
المُفتّش سامي: لا أدري لكن هذا هو الخيط الوحيد لدينا و يجب أن نتَّبعه لآخره

يُحضر النَّادل القهوة و يقدِّمها للمُفتِّش و مساعده.
النَّادل: خيرا إن شاء الله. فيما تريدان "الحاج سالم"؟
المُفتّش سامي: لأمر شخصي
النَّادل: على كلّ حال لقد وصل "الحاج سالم" و سأُخبره فورا بشأنكما

يقترب النَّادل من رجل عجوز لكن مازال يحتفظ بقوَّته و يُخبره بشأن الضُّيوف. يأتي "الحاج سالم" للمُفتِّش و مساعده و يبادرهما التَّحيَّة

الحاج سالم: أخبَرني النَّادل أنَّكما تودَّان التحدُّث إليَّ. خيرا إن شاء الله

المُفتّش سامي: أنا المُفتّش سامي من المباحث الجنائيَّة و هذا مساعدي أشرف. لدينا فقط بعض الأسئلة نودُّ طرحها عليك بخصوص عمليَّات نقل حاويات نفَّذتها في الفترة الأخيرة قبل تقاعدك

الحاج سالم: أنا في الخدمة سيِّدي. لكنَّك كما تعلم فأنا أقوم بالعديد من عمليَّات النَّقل يوميًّا فهل لك أن تحدِّد لي أيَّة عمليَّات تقصد؟

المُفتّش سامي: لقد كانت ثمانية حاويات قمتَ أنتَ بنقلها كلِّها من الميناء و هي ملك لشركة المنتجات الزراعيَّة. هذه الحاويات مُستورَدة من فرنسا و تحمل حسب الوثائق الرسميَّة أسمدة و أدوية زراعية.

الحاج سالم: نعم...نعم لقد تذكَّرتها. كانت فعلا حاويات غريبة.

المُفتّش سامي: غريبة؟ و ما وجه الغرابة فيها؟

الحاج سالم: لقد كان أصحاب هذه الحاويات يتصرَّفون بطريقة جافَّة و كانوا حريصين جدًّا، قليلي الكلام و سيِّئي المِزاج. لقد كنت أوصل في كلّ مرَّة الحاوية لقطعة أرض زراعيَّة فارغة. و عندما أرجع في المَرّة الثانية لا أجد لها أثرا. لقد استغربت و سالتُهَم ذات مرَّة عن محتوى الحاويات و أين يذهبون بها.

المُفتّش سامي: و ما كان ردهم؟

الحاج سالم: لقد نظروا إلي نظرة مخيفة و كأنَّني كفرت بالله و قالوا لي أنَّ هذا ليس شأنك و لا تسأل عمَّا ليس لك به دخل

المُفتّش سامي: هل تتذكَّر قطعة الأرض التي كنتَ توصل إليها الحاويات؟

الحاج سالم: بالطبع نعم فهذا عملي و أنا أعرف كلّ شبر من هذه المدينة. لقد رأيتها تنمو منذ أربعين سنة. كنت أجول في شوارعها يوميا. كيف لي أن أنسى مكانا ذهبت إليه تسعة مرات.

المُفتّش سامي: تقول تسعة مرات؟

الحاج سالم: أجل تسعة مرات

المُفتّش سامي: ألم تكن ثمانية حاويات؟ فماذا ذهبت تفعل في المَرّة التاسعة؟

الحاج سالم: لقد كنت أوصل الحاوية الممتلئة و أُرجِع الحاوية الفارغة و في المَرّة التاسعة و الأخيرة ذهبت لإحضار الحاوية الفارغة.

المُفتّش سامي: لماذا تمَّ تكليفك أنتَ بالذات بالقيام بهذه الرحلات؟

الحاج سالم: إنَّ من عاداتنا في الشَّرِكة أن يقوم نفس السائق بخدمة زبونه و ذلك بما أنَّه قد تعرَّف عليه و على العُنوان و بالتَّالي تُكلِّفني الشَّرِكة دائما بنقل هذه الحاويات.

المُفتّش سامي: نحن نحتاج أن ترافقنا للمكان الذي كنت تنزل فيه الحاويات. هل تنطلق معنا الآن؟

الحاج سالم: أجل سيِّدي فأنا في الخدمة

المُفتّش سامي: هيا بنا إذا

الحاج سالم: (مخاطبا النَّادل) أنا ذاهب مع الأخوة و سأرجع بعد قليل أخبر شلة الدومينو أنَّني سأعود قريبا

يركب الجميع السيَّارة و ينطلقون.

المُفتّش سامي: أين يوجد المكان؟

الحاج سالم: إنَّها قطعة أرض تقع شمال المدينة على بعد عشرين كيلو تقريبا

المُفتّش سامي: هل هي على الطريق الرَّئيسي؟

الحاج سالم: لا سيِّدي فيجب علينا الدخول في طريق زراعي سيئ جِدًّا و نمشي فيه قرابة الخمسة كيلو قبل أن نصل إليها

تتوجه السيَّارة للطريق الشمالي و تبعد تقريبا عشرين كيلو عندما يطلب "الحاج سالم" من المُفتّش أن يدور يسارا و يدخل في الطريق الزراعي. تتقدَّم السيَّارة ببطء في الطريق الزِّراعي فالأمطار نزلت مُؤَخَّرا في المنطقة و جعلت الطريق بحالة مزرية. أخذ السَّير في الطريق الزراعي وقت طويلا. أخيرا طلب "الحاج سالم" من المُفتّش التوقُّف.

الحاج سالم: هذه هي الأرض سيِّدي. لقد كنت أركن الشاحنة بجانب شجرة التوت الكبيرة هذه.

يذهل المُفتّش سامي من المنظر فلا يوجد بالأرض أيُّ شيء يدلُّ على أيّ شيء. بعض الأشجار المتفرقة هنا و هناك و لا شيء آخر سوى مجموعة منازل صغيرة بعيدة عن قطعة الأرض يتوسَّطها مسجد لا تكاد تُميِّزه عن بقية المنازل. لا توجد أيَّة علامات على الأرض و لو حتَّى علامات أقدام فالمطر مسحت كلّ أثر.

الحاج سالم: أليس هذا شيئا يثير الاستغراب فعلا؟ فماذا يفعلون بكُلُّ تلك الحاويات في مكان خالي كهذا و أين يذهبون بها؟

المُفتّش سامي: هذا أمر محير فعلا. شكرا لك يا حاج سالم على مساعدتك سترافق المساعد أشرف للمباحث الجنائيَّة الآن للإدلاء بشهادتك

الحاج سالم: حاضر سيِّدي أنا في الخدمة

المساعد أشرف: ألن ترجع معنا؟

المُفتّش سامي: لا عليّ الآن باستجواب أهالي تلك البيوت. أمَّا أنت فاذهب و أحضر فريق الخبراء حتَّى يفحصوا التربة علّهم يجدوا فيها آثار الإشعاعات.

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي

تعود السيَّارة أدراجها للمباحث الجنائيَّة و يتوجه المُفتّش سامي لمجموعة البيوت القريبة من قطعة الأرض. المشي في أرض مُبَلَّلة أمرٌ مُتعب جدًّا لم يتعود عليه المُفتّش حتَّى أنَّ حذاءه كان كثيرا ما يغوص كلِّيا في الوحل و يجد صعوبة في إخراجه. يقترب المُفتّش من البيت الأوَّل و هو عبارة عن غرفة واحدة تحيط بها ساحة كبيرة تحتوي على فرن حطب و بعض الماعز و الدجاج. السياج مكون من أغصان الأشجار و بعض الأعواد الخشبية و كلّ ما لم تعد العائلة تحتاجه من أدوات. نادى المُفتّش مخاطبا أهل الدار لكن لم يجبه أحد. تفطن لوجود عجوز في ركن في الساحة تعجن بعض أقراص الخبز. خاطبها لكنَّها لم تجبه. يبدو عليها أنَّها عجوز صمَّاء و ضعيفة النظر. يتقدَّم المُفتّش و يصل للمسجد. الباب مفتوح مع أنَّ وقت الصلاة لم يحن بعد. يترع حذاءه و يدخل. المسجد ضيق، قليل الارتفاع و لا يحتوي على أيِّ شيء له علاقة بالتكنولوجيا حتَّى أنَّه يفتقد للكهرباء. يجول ببصره في المسجد فيلاحظ شيخا طاعنا في السن منكبًّا على كتاب قرآن يقرأ منه محرِّكا رأسه إلى الأمام و إلى الخلف و مصدرا همهمة غير مفهومة. يقف المُفتّش سامي و يصلِّي ركعتين تحيةَ المسجد و يتوجَّه للشيخ. يرفع الشَّيخ رأسه متعجِّبا من هذا الرَّجل الغريب. ماذا يفعل في مسجده؟ لقد مضى وقت طويل جدًّا منذ

أن دخل غريب هذا المسجد و صلّى فيه فرُوّاده هم من شيوخ القرية الصغيرة الذين لم يسمح لهم سنُّهم و صِحَّتهم بالهجرة كبقية شبابها و لم يزرهم بعدُ ملك الموت و كأنَّهم منسيِّون من الكلّ. توقَّف الشَّيخ عن تلاوة القرآن و أغلق الكتاب مرحِّبًا بالضيف.

الشَّيخ: مرحبا بك أيُّها الغريب. ما خطبك و كيف وصلت إلى هنا؟

المُفتّش سامي: أنا المُفتّش سامي من المباحث الجنائيَّة و أنا هنا للتحقيق في قضيَّة جنائية

الشَّيخ: قضيَّة في قريتنا؟ هذا أمر لم نتعوَّد عليه و لم نسمع به إطلاقا فلا أنا و لا والدي رحمه الله و لا حتَّى جدِّي رحمه الله عِشنا أو سمعنا عن جريمة أو قضيَّة في قريتنا هذه. هنا الكلّ يعرف الكلّ و نلتجئ إلى العُرف و لكبار القرية لحلِّ الخلافات

المُفتّش سامي: القضيَّة لا تهمُّ أهل القرية

الشَّيخ: تهمُّ مَن إذًا؟

المُفتّش سامي: تهمُّ قطعة الأرض التي توجد مباشرة على الطريق الزراعية. ألم تلاحظ شيئا فيها في الفترة الأخيرة؟

الشَّيخ: نعم لقد عرفتها. في الأشهر القليلة الماضية كانت تحصل فيها حركة غير عاديَّة فتأتي شاحنات كبيرة مُحمَّلة بصناديق ضخمة ثم تأتي آلات حفر تقلب الأرض رأسا على عقب و كأنَّها تحفر آبار ماء ثم تعيد ردمها. إنَّنا هنا في القرية غير مُتعوِّدين على أصوات المُحرِّكات الكبيرة فأقوى صوت نسمعه هو نباح كلب أو صياح ديك. أصوات المُحرِّكات أفزعتنا و أقلَّت راحتنا حتَّى أنَّني في يوم من الأيَّام توجَّهت إليهم سائلا إيَّاهم متى ينتهوا من أعمالهم غير المجدية هذه

المُفتّش سامي: و ماذا رأيت لمَّا اقتربت منهم؟

الشَّيخ: فقط آلة الحفر الكبيرة و بعض البراميل و مجموعة من الشبان قليلي التربية و الاحترام. لم يوقِّروا سنِّي و طلبوا منِّي عدم التدخل في شؤونهم و تركهم و شأنهم.

المُفتّش سامي: ما نوع البراميل التي رأيتها؟

الشَّيخ: لقد كانت براميل كبيرة عليها ورقة صفراء اللون. هذا كلّ ما أتذكَّره.

المُفتّش سامي: هذه الأرض على ملك من؟

الشَّيخ: كانت ملك أحد شباب القرية الذي انتقل يعيش في المدينة منذ سنوات. لقد ورثها عن أبيه و لكنَّه باعها منذ أشهر قليلة. لقد سمعت أنَّهم عرضوا عليه سعرا جيِّدا. لكن أيّ سعر هذا يساوي قيمة الأرض؟

المُفتّش سامي: و من الذي اشتراها منه؟

الشَّيخ: لا أعلم فالصَّفقة تمت في المدينة و لم نرى أيّ شيء سوى تلك الجرَّافة و الشاحنات و لّما سألنا عن سبب مجيئهم قالوا أنّهم أصحاب الأرض الجدد

المُفتّش سامي: هل لاحظت شيئا آخر؟

الشَّيخ: لا هذا كلّ ما رأيته. لقد اختفى الجميع منذ بضعة أسابيع و عادت الأمور لسابق عهدها، هدوء و سكينة.

المُفتّش سامي: شكرا لك يا شيخ

يخرج المُفتّش سامي من المسجد و قد بدأت الأمور تتَّضح في ذهنه. يعود المُفتّش لقطعة الأرض و يجلس تحت ظلّ شجرة التوت. يتَّصل بمساعده أشرف فيعلمه أنَّه قارب على الوصول برفقة فريق خبراء الإشعاعات.

ينظر المُفتّش سامي للبيوت و المسجد و يتأسَّف على حال سُكَّانها الذين يعيشون بالقرب من نفايات نوويَّة مُشعَّة تُمثِّل تهديدا كبيرا على صِحَّتهم و هم غير واعين بحجم الخطر و الضرر و يواصلون حياتهم بكُلِّ بساطة. جال ببصره في بقيَّة الأراضي المحيطة ثم تسائل: ألا يمكن أن تكون تحت كلّ قطعة أرض كوارث من هذا النَّوع؟ لِمَ لا؟ لقد توصَّل لحقيقة هذه القضيَّة بالصُّدفة و إن لم يفعل لبقيَ الأمر سِرًّا دفينا لا يَشكُّ أحد في حصوله. بدأ القلق يتمكَّن منه. ما هي الحماية المثلى لهذا الوطن، لهذه الأرض و للمواطنين؟ القانون؟ يمكن. لكن يجب أن يتمَّ التفطن لهذه الجرائم. القانون لا يكفي. الضمير هو الوحيد القادر على منع حصول هذه الكوارث. لكن ماذا يحصل لو مات الضمير. ما يدرينا أيّ مصائب تحلّ بنا من حيث لا نعلم. هل نثق في الأجانب؟ لا أبدا إنَّهم لا يبحثون إلاّ على مصلحتهم و أمنهم و رخاءهم. لا يمكن التعويل إلاّ على الشرفاء من أبناء هذا الوطن. لكن أيّ شرفاء؟ لقد صارت كلمة شرفاء تعني "المساكين الأغبياء" الذين يعيشون في مستوى مادّي ضعيف لا يقدرون حتَّى على تسديد حاجياتهم الأساسية و يردِّدون شعارات لم يعد الزمن يعير لها أيّ اعتبار، شعارات مضحكة للكثيرين كالقناعة و الشرف و الحلال و الخير. هذه العُملة صارت نادرة و العُملة الطاغية هي المادة،

السيَّارات الفخمة و البيوت الفاخرة، الملابس ذات الماركات العالمية و السياحة في أفضل الفنادق. لا يهمُّ مِن أين أتى بالمال بقدر ما يهمُّ على كم حصل من المال. يشعر المُفتِّش سامي بالعجز أمام هذه التهديدات.

يستفيق من أفكاره عندما يلاحظ سيارتين قادمتين نحوه. الأولى سيارته يقودها المساعد أشرف برفقة المساعد وليد و الثانية سيَّارة كبيرة لخبراء الإشعاعات.

يترل الجميع و يقتربون من المُفتِّش

المساعد أشرف: هؤلاء هم الخبراء الذين أرسلتهم إلينا وزارة البيئة.

يصافح المُفتِّش سامي الخبراء الثلاثة.

المُفتِّش سامي: مرحبا بكم أيُّها السَّادة. إنَّنا أمام وضع خطير و نرجو أن يبقى سِريًّا حتَّى نهايَة التَّحقيق. إنَّ تحت هذه الأرض حمولة ثمانية حاويات من براميل النِّفايات المُشعَّة. دُفِنت كلّها هنا على عمق ليس بالكبير. مطلوب منكم أيُّها السادة أن تتحققوا من وجود أي تسريب ثم أن تستخرجوا هذه البراميل اللعينة حتَّى نتصرّف بها حسب الإجراءات القانونية.

كبير الخبراء: هل أنت مُتأكِّد أنَّها نفايات إشعاعية؟

المُفتِّش سامي: أنا في الحقيقة لست مُتأكِّدا مائة بالمائة لكن هذا هو أغلب الظن و كلّ الأدلَّة و الشهادات تشير لذلك. على كلّ حال فإن البراميل المدفونة في هذه الأرض تحتوي على مواد ممنوعة و علينا استخراجها فلنتوخى الحذر في ذلك و لنتوقع الأمر الأخطر.

كبير الخبراء: سوف نتصرّف بحذر و سنتأكد من ذلك فورا

المُفتِّش سامي: كيف قبل أن تحفروا و تخرجوا البراميل؟

كبير الخبراء: إنَّ الإشعاعات تتسرَّب مهما كانت البراميل محكمة الإغلاق و لو كان الأمر كما ذكرت فإننا سنجد نسبة إشعاعات أعلى و لو بقليل عن المستوى العادي.

يخرج الخبير جهاز من حقيبته، يشغله فإذا به "يطقطق" ببطء و كلما اقترب به من الأرض في أماكن مُعَيَّنة إلاّ و ازدادت سرعة الصوت و تحركت إبرة عدَّاد الجهاز.

كبير الخبراء: نسبة الإشعاعات بالفعل أكثر من النسبة العاديَّة و هذا يدلُّ على أنَّ هناك تسرُّبا بسيطا. أنا أؤكد نظريَّتك فالبراميل تحتوي على مواد مُشعَّة جدًّا و يجب أن لا ننتظر أكثر في استخراجها.

المُفتّش سامي: سأقوم بالاتّصالات اللازمة لطلب المساعدة. إلى ماذا تحتاجون؟

كبير الخبراء: نحتاج لجرَّافة و شاحنات خاصة بنقل المواد الخطيرة و فريق أكبر من الخبراء و لتجهيزات إضافية كملابس حماية و أحواض استحمام نتخلص فيها من الإشعاعات. كلّ هذه الأمور متوفِّرة لدينا في وزارة البيئة و سأطلبها بنفسي من رؤسائي. ما يمكن أن تساعدني فيه هو أن تضرب طوقا أمنيا على كلّ هذه المنطقة بحيث تمنع دخول أيِّ أحد إليها.

المُفتّش سامي: و ماذا عن سُكَّان القرية الصغيرة هناك؟

كبير الخبراء: سيقوم زميلي بزيارة القرية و يتأكد من نسبة الإشعاعات فيها. لو كانت النسبة عاديَّة فلا داعي لإبعادهم أما إذا وصلتهم الإشعاعات فعلينا إخلاء القرية و إجراء فحوصات طبية عليهم و إعطائهم بعض الأدوية الوقائية

المُفتّش سامي: و ماذا عليّ أنا شخصيًّا؟ هل أُصبت بهذه الإشعاعات؟

كبير الخبراء: كم بقيت في هذه الأرض؟

المُفتّش سامي: ساعتين تقريبا

كبير الخبراء: لا ليس هناك أيّ داعي للقلق فنسبة الإشعاعات الموجودة هنا لا تأثر في الإنسان إلاّ إذا تعرض لها لفترة طويلة أيَّاما و أسابيع مثلا. هذا لا يمنع من أن أطلب منك و من بقية زملاءك الابتعاد بما يكفي عن منطقة الحفر كإجراء وقائي أو أن تلبسوا البدلة الواقية من الإشعاعات.

المُفتّش سامي: لا. أُفضِّل أن أبقى بعيدا فلديَّ الكثير من التَّحقيقات التي يجب أن أقوم بها.

يلبس الخبراء بدلاتهم الواقية و يقوم كبيرهم بالاتّصالات مع رؤسائه. يخرجون كامل أدواتهم من السيَّارة. يثبتون شريطا طويلا حول قطعة الأرض التي سيُطهِّرونها. يبدو من حركتهم أنَّهم لن يتوقفوا عن العمل حتَّى يتمَّ تطهير المنطقة بالكامل و التخلُّص من كلّ المواد المُشعَّة.

يطلب المُفتّش سامي من مساعده أشرف أن يبقى على عين المكان و مراقبة الأشغال على أن يراقب من بعيد و أن يطلب قوَّة من الشرطة لتحرس المكان في حين ينطلق هو و مساعده وليد لاستكمال التَّحقيق.

☒ الأربعاء ١٧ يناير منتصف النهار و النصف في مطعم قريب من المباحث

يجلس المُفتّش سامي و مساعده وليد على طاولة الغداء في مطعم قريب من المباحث. تبدو على المُفتّش علامات التَّفكير و الانشغال. لم يتكلَّم كثيرا منذ أن جلس. يفاتحه المساعد وليد.

المساعد وليد: هل تعتقد أنَّ المواد المُشعَّة تسرَّبت بشكل كبير في الأرض أم أنَّ الخبراء سيخرجونها قبل ذلك؟

المُفتّش سامي: أظُنّ أنَّنا وصلنا في الوقت المناسب و يبدو من فريق الخبراء أنَّهم يفهمون عملهم جيِّدا و سيستخرجون البراميل و يُطهِّرون الأرض بشكل جيِّد .

المساعد وليد: إذًا لماذا كلّ هذا الوجوم البادي على وجهك؟

المُفتّش سامي: إنَّني أفكر في الطريقة التي سأوقع بها بالعصابة و لم أجد منفذا إلى حدِّ الآن

المساعد وليد: أظُنّ أنَّ معرفة صاحب الأرض سيساعدنا في ذلك. فصاحب الأرض هو المسؤول الأوَّل عن دفن النِّفايات فيها. نستطيع توجيه التُّهَمة إليه مباشرة و التَّحقيقات معه ستؤدي إلى باقي أفراد العصابة

المُفتّش سامي: ممتاز يا وليد. يبدو أنَّني بدأت أتعب و لم أعد أتفطَّن لأمور بديهية كهذه.

المساعد وليد: لا عليك سيِّدي فكلُّنا نمرُّ بحالات الإرهاق هذه. دع الأمر لي سأُحقق في مسألة ملكية الأرض في السّجلّ العقَّاري و سآتي لك بصاحب الأرض لتحقق معه بنفسك

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا يا وليد هذه الخطوة التي يجب القيام بها الآن. لكنَّنا لا يجب أن نتَّبِع فقط هذا الخيط. يجب التحرك في اتجاه آخر أيضا.

المساعد وليد: أي اتجاه؟

المُفتّش سامي: يجب تتبُّع الرُّكن المادي في ظل صعوبة الإمساك بالمُتَّهَمين. عمليَّة دفن النِّفايات تطلبت جرَّافة و سائق لها و بالتَّالي يجب علينا الوصول للشَّرِكة التي وفَّرتهما للعصابة.

المساعد وليد: على ماذا تنتظر أن تحصل من هذه الشَّرِكة؟

المُفتّش سامي: أيَّة معلومات يمكن أن تفيدنا. يجب أن نحاول.

المساعد وليد: عدد الشَّركات التي تؤجر هذا النَّوع من المُعدَّات في مدينتنا ليس كبيرا و يمكن لنا العثور عليها بسرعة كما أنَّني لا أعتقد أنَّ العصابة أجَّرت الجرَّافة من مدينة أخرى و ذلك لصعوبة نقلها.

المُفتّش سامي: كيف يمكن لنا الوصول لهذه الشَّركات؟

المساعد وليد: الأمر بسيط فكُلُّ هذه الشَّركات موجودة في نفس المنطقة و تسمى "منطقة المقاولات".

المُفتّش سامي: إذًا لنذهب إليها بعد الغداء مباشرة

المساعد وليد: حاضر سيِّدي. دعنا فقط ننتهي من هذا الدجاج المشوي على الفحم قبل ذلك

بعد انتهاء الغداء ينطلق المُفتّش سامي و مساعده لمنطقة المقاولات. مجموعة كبيرة من المحلات ذات النشاط المرتبط بالمقاولات: تأجير معدَّات، بيع مواد بناء و تقديم خدمات أخرى. يلاحظ المُفتّش أربعة شركات تؤجر المُعدَّات الثقيلة في كلّ المنطقة. يتوجه للشَّركة الأولى و يستجوب صاحبها فينكر أن يكون قد أرسل جرَّافات إلى الأراضي الزراعيَّة في الأشهر الأخيرة. يخيب رجاء المُفتّش مع الشَّركة الثانية و الثالثة. حظُّ المُفتّش مع الشَّركة الرَّابعة كان أفضل. لقد تذكَّر صاحب المحل أنَّه و على امتداد ثمانية أسابيع كان يؤجِّر نفس الجرَّافة لنفس الأشخاص لتعمل على بعد عشرين كيلو شمال المدينة. يتنفس المُفتّش سامي الصعداء و يبتسم لمساعده.

المُفتّش سامي: هل لك أن تذكر لنا تفاصيل أكثر عن هذه العمليَّات. مَن العميل؟ كيف شكله؟ كيف كان يدفع؟ من هو سائق الجرَّافة؟

يُدقِّق صاحب المحل في سجلات تأجير المُعدَّات

صاحب المحل: الذي أجَّر الجرَّافة كان اسمه "رجب سالم"

المُفتّش سامي: من؟ "رجب سالم"؟ هل كان شيخا؟

صاحب المحل: لا لقد كان شابا طويل القامة

ينظر المُفتّش سامي لمساعده و كأنَّه يقول له ألاّ فائدة فالعصابة حريصة جدًّا و كلّ شيء قامت به كان باسم "رجب سالم"، الشَّيخ المدمن على الخمر و الذي توفي منذ أيام

المُفتّش سامي: كيف كان يدفع الأجر؟

صاحب المحل: كان دائما ما يدفع نقدا

المُفتّش سامي: أين سائق الجرَّافة لأستجوبه؟

صاحب المحل: إنَّه في إجازة مرضية منذ فترة. فبعد انتهاءه من العمل في قطعة الأرض تلك مباشرة بدأت تظهر عليه علامات مرض غريب.

المُفتّش سامي: ماذا كان مرضه؟

صاحب المحل: لقد كان كثير التقيؤ و يشعر بحالة من الإعياء المستمر كما ظهرت على يديه و بعض مناطق جسمه التهابات تشبه الحروق

المُفتّش سامي: و أين هو الآن؟

صاحب المحل: إنَّه في المستشفى الجامعي. لم يعد يقدر أن يغادره كما أنَّ الأطباء احتاروا في أمره و طلبوا منه البقاء تحت ملاحظتهم.

المُفتّش سامي: ألم يترك العميل الذي أجَّر منك الجرَّافة أي أثر. رقم هاتف أو عُنوان؟ ألم تلاحظ السيَّارة التي كان يركبها؟

صاحب المحل: (بعد فترة تذكّر) لقد لاحظت مرَّة توقف سيَّارة مرسيدس فخمة سوداء اللون. لقد كان بها رجل ثري أعطى للشاب الطويل شيكا ليدفعه مقابل تأجير الجرَّافة في إحدى المرَّات

المُفتّش سامي: ماذا؟ ألم تقل قبل قليل أنَّه كان يدفع نقدا؟

صاحب المحل: أجل لقد كان يدفع دائما نقدا ما عدا مرَّة واحدة فلم يكن عند الشَّاب ما يكفي من المال فامتنعت أن أسلِّمه الجرَّافة إلاّ بعد حصولي على كامل مبلغ التأجير بالإضافة للتأمين. عندها اتّصل الشَّاب بصاحب المرسيدس الذي قدِم بسرعة و سلَّمه شيكا كضمان على أن يسلِّمني المال و يستعيد الشِّيك في الغد.

المُفتّش سامي: و ماذا حصل؟

صاحب المحل: لقد نسي أن يسترجع الشِّيك و اضطررت لتقديمه للبنك و صرفه

يذهل سامي من هول هذه المفاجأة. هل يمكن أن تكون العصابة قد ارتكبت أخيرا خطآ بدائيا كالدفع مقابل شيك؟ لكن لِمَ لا فالكلّ يمكن أن يخطئ أو ينسى

المُفتّش سامي: هل لك صورة من هذا الشّيك؟
صاحب المحل: لا سيِّدي و لماذا احتفظ بصورة له؟ لقد صرفته و أخذت مالي و انتهى الأمر
المُفتّش سامي: اعطنا رقم حسابك و اسم البنك الذي تتعامل معه

يكتب صاحب المحل على ورقة اسم البنك و رقم حسابه و يسلمها للمُفتِّش.
صاحب المحل: تفضّل سيِّدي هذا هو
المُفتّش سامي: كم كان مبلغ الشّيك؟
صاحب المحل: كان خمسمائة دولار و كان تاريخه في أواخر أغسطس على ما أظن
المُفتّش سامي: ما اسم السائق المريض؟
صاحب المحل: اسمه "عادل" سيِّدي
المُفتّش سامي: شكرا لك. لو تذكّرت أي شيء آخر اتّصل بي على أحد هذه الأرقام

ينطلق المُفتّش سامي و مساعده للبنك و يطلبان من مدير الفرع أن يمدَّهما بكشف حساب صاحب المحل في الفترة المشبوهة. يدقق المُفتّش سامي في مختلف العمليَّات البنكية و يركز على مبلغ خمسمائة دولار. يعثر على العمليَّة بتاريخ الثلاثين من أغسطس. يطلب المُفتّش من مدير البنك أن يمدَّه برقم حساب صاحب الشّيك و كامل البيانات عليه.

يغيب مدير البنك لفترة ثم يعود و معه البيانات.
مدير البنك: صاحب الشّيك هو "المُنصف أبو ضياء" و هو رجل أعمال في مجال المقاولات لديه حساب لدينا و هذه أرقام الهاتف و هذا عُنوانه.

يُسلِّم مدير البنك ورقة ببيانات صاحب الشّيك.
المُفتّش سامي: نريد منك أيضا كشف حساب "المُنصف أبو ضياء" للأشهر الستة الأخيرة و صورة من الشّيك
مدير البنك: حاضر سيِّدي

يطلب المدير من أحد الموظفين الكشف و يتساءل عن سبب طلب هذه المعلومات. يخبره المُفتِّش سامي أنَّه بصدد التَّحقيق في قضيَّة مُهِمَّة و هذه المعلومات مُهِمَّة جِدًّا للتحقيق.

يأتي الموظف و معه صورة من الشِّيك و الكشف المُكَوَّن من عدد كبير من الصفحات. يُدقِّق المُفتِّش سامي و مساعده في الكشف باحثين على أيّ مبالغ كبيرة دخلت حساب المُتَّهَم. يلاحظان أنَّه في نهايَة يونيو تمَّ تعزيز رصيد المُتَّهَم نقدا بمبلغ مائة ألف دولار و كذلك الأمر في آخر يوليو و أغسطس. لقد أودع المُتَّهَم ثلاثمائة ألف دولار نقدا في حسابه في الأشهر الثلاثة المتوافقة مع عمليَّات التهريب و هذا أمر في غايَة الغرابة. ينظر المُفتِّش سامي لمساعده

المُفتِّش سامي: الآن عندنا مُتَّهم واضح نمسك بأدلَّة واضحة ضده

يشكر المُفتِّش سامي مدير البنك و يأخذ الكشوفات البنكية و صورة من الشِّيك و ينطلق مع مساعده للمستشفى الجامعي أين يرقد "عادل" سائق الجرَّافة. يدخلان المستشفى و يسألان عليه. يخبرونهما أنَّه في غرفة العنايَة المركزة و أنَّ حالته خطيرة. يتوجهان إلى غرفة العنايَة المركزة فيلاحظان من خلال البلّور أنَّ المريض نائم و الأجهزة مرتبطة بجسمه تساعده على التنفس و تراقب نبض قلبه.

يأتي إليهما الطبيب المباشر لـــ"عادل" و يسألهما عن سبب تواجدهما في جناح العنايَة المركزة.
يعرف المُفتِّش سامي بنفسه و بمساعده و يطلب منه تفصيلا عن حالة المريض.
الطبيب: في الحقيقة لقد احترنا في أمرنا فهذه أوَّل مرَّة أواجه فيها مرضا كهذا
المُفتِّش سامي: و ما وجه الغرابة؟
الطبيب: المريض بحالة سيئة و لم نفهم سبب مرضه فقد أجرينا كلّ الفحوصات اللازمة و كانت كلها سَلْبيَّة فلا توجد جراثيم أو فيروسات و لا تسمم و لا خلل في وظائف الأعضاء الحيوية. كلّ شيء يبدو على ما يرام لكن مع هذا فإنَّ حالته سيئة. لم يستجب المريض لأيِّ علاج قدَّمناه له.
المُفتِّش سامي: و ما حكاية الحروق و الالتهابات التي على جلده؟

الطبيب: هذا أيضا لغز آخر فحسب كلام المريض لم يتعرض لحروق بالنار و لا بمواد كيميائيَّة خطيرة. لقد نام ذات ليلة بصفة عاديَّة و عندما استيقظ اكتشف هذه الالتهابات. قمنا بإجراء اختبارات حساسية لكنها كانت سَلْبيَّة. هذا أمر محيِّر فعلا.

المُفتّش سامي: يبدو أنَّ لي معلومات يمكن أن تفيدك في تشخيص حالته.

الطبيب: ما هي ؟

المُفتّش سامي: هل من الممكن أن تكون هذه الأعراض نتيجة تعرض المريض لإشعاعات نوويَّة قوية؟

الطبيب: ماذا؟ إشعاعات نوويَّة؟ و الله هذا جائز جدًّا...بل أنَّ هذا هو التشخيص الأنسب لأعراض المريض. كيف كان هذا غائبا عنّا؟

المُفتّش سامي: كيف يمكن أن تكونوا أهملتم فرضية كهذه؟

الطبيب: لم نفترض مسألة الإشعاعات لأنَّنا لم نعالج و لا حالة مماثلة في بلدنا. ليست لنا مفاعلات نوويَّة و لا حوادث من هذا النَّوع فلم نشكَّ للحظة بذلك؟

المُفتّش سامي: هل يمكن لي أن أستجوبه؟

الطبيب: لا. ليس الآن فقد أعطيناه جرعات كبيرة من المورفين حتَّى ينام و لا يشعر بالآلام و لن يستيقظ منها سوى غدا صباحا.

المُفتّش سامي: إذا سنعود غدا و نستجوبه

الطبيب: شكرا لك على المعلومة لكنَّنا سنضطر لمعرفة المزيد عن حادثة الإشعاعات فعادة ما يتضرر منها أناس كثيرون و تُشكِّل خطرا على صحة الجميع و نتعامل معها على أساس أنَّها وباء

المُفتّش سامي: سأمدُّك بكُلُّ المعلومات في الوقت المناسب. اعتنوا جيِّدا بالمريض فهو شاهد مهم في قضيَّة كبيرة.

يعود المُفتّش سامي و مساعده لمكتبهم في المباحث الجنائيَّة و ينطلق المساعد وليد لإحضار "المُنصِف أبو ضياء".

☒ الأربعاء ١٧ يناير الثالثة بعد الزوال في المباحث الجنائيَّة

يدخل المساعد وليد المكتب برفقة المُتَّهَم "المُنصِف أبو ضياء". يطلب المُفتِّش من المُتَّهَم الجلوس. يدخل في نفس الوقت المساعد أشرف الذي اطمئن لوجود قوة كافية من الشرطة لحراسة قطعة الأرض. يطلب المُفتِّش من المساعد أشرف أن يرافقه إلى الغرفة الثانية و هناك يسأله عن آخر تطورات عمليَّة استخراج النِّفايات.

المساعد أشرف: لقد حَضَرت على عين المكان تجهيزات و مُعدّات تابعة لوزارة البيئة و قد تمَّ بالفعل الحفر و تمَّ استخراج أولى البراميل و يبدو أنَّ عددها كبير. لقد وضعوها في حاوية كبيرة محكمة الإغلاق و تأكّدوا إن كانت هناك تسرُّبات في كلّ برميل أو لا. إنَّهم سيعملون بدون انقطاع ليلا نهارا و قد جلبوا كشّافات كبيرة حتَّى يُضيئوا بها المنطقة ليلا و قد علمت أنَّ فريقا ثانيا سيحضر قريبا ليُؤمِّن فريق عمل اللَّيل.

المُفتِّش سامي: جيِّد جدًّا فالموضوع الآن بأيدي أمينة. و ماذا عن سُكَّان القرية؟

المساعد أشرف: لقد قام أحد الخبراء بقياس نسبة الإشعاعات في أماكن مختلفة من القرية و لم يُسجِّل أيَّة نسبة أعلى من المعدَّل العادي و بالتَّالي ليس هناك داعي للقلق فالتسرب الذي وقع صغير و موضعي.

المُفتِّش سامي: الآن يجب علينا أن نعرف مَن صاحب الأرض التي دُفنت فيها النِّفايات. انتقلْ بسرعة للسجل العقَّاري و اطلبْ هويَّة صاحب قطعة الأرض تلك و وافيني بالنتيجة خلال هذا المساء

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي سأذهب حالا.

يعود المُفتِّش سامي لمكتبه و يجد المُتَّهَم جالسا و المساعد وليد يُسجِّل بياناته. يجلس المُفتِّش سامي على مكتبه و ينظر للمُتَّهم و يُدقِّق فيه. إنَّه في الخمسينات من العمر. فَقَدَ أكثر شعر رأسه و يلبس نظارات سميكة. تبدو على وجهه علامات الخبث و الدهاء.

المُفتِّش سامي: إذًا أنت هو "المُنصِف أبو ضياء"؟

المُنصف أبو ضياء: نعم أنا هو بعينه. هل أنا مُتَّهم بشيء لا سمح الله؟ لا أفهم لماذا قبضتم عليَّ و أحضرتموني إلى هنا. ما الحكاية؟

المُفتّش سامي: الحكاية لا تسُرُّ يا منصف فأنت مُتورِّط بصفة مباشرة في قضيَّة كبيرة تَمسُّ من أمنِ البلاد و العباد

المُنصف أبو ضياء: أنا أحتجُّ على هذا الأسلوب. لو عندكم أيّة تهمة واضحة و أدلَّة قوية تفضّلوا و قدِّموها. أمَّا أن تسحبوني من شركتي و أمام الموظفين لتقولوا لي كلامَ إنشاءٍ فهذا غير مقبول. البلد فيها قانون و أنا أعرف حقوقي جيِّدا و قد طلبت من محاميَّ أن يحضر إلى هنا و سأخرج في أقلَّ من ساعة.

المُفتّش سامي: لا تكن مُتأكِّدًا جِدًّا من خروجك بسرعة. أستطيع أن أُؤكِّد لك أنَّك ستبقى معنا لفترة طويلة...طويلة جِدًّا...أكثر ممَّا تتوقع.

المُنصف أبو ضياء: هل يمكن لي أن أعرف ما هي تهمتي على الأقل فهذا من أبسط حقوقي أليس كذلك؟

المُفتّش سامي: نعم هذا من حقِّك. أنت مُتَّهم بتهريب نِفايات مُشِعَّة ممنوع اِستيرادها و إدخالها للبلاد و دفْنها بصفة غير قانونية في قطعة أرض زراعيَّة.

يتغيَّر وجه المُتَّهَم و يصمت للحظات. الاتِّهام مباشر و صريح و السِّر الذي كان يظن أنَّه محمي جيِّدا عُرف و توصَّل هذا المُفتّش إلى كشفه. لقد أصابه في مقتل. لكن سرعان ما تمالك نفسه و عاد عقله ليعمل من جديد و يُسيطر على الموقف.

المُنصف أبو ضياء: هل لك أيّ دليل...دليل واحد على هذه الخرافات التي تتوهَّمها؟

يخرج المُفتّش سامي الشِّيك الذي أجَّرَ به المُتَّهَم الجرَّافة.

المُفتّش سامي: هذا الشِّيك لك أليس كذلك؟

يستلم المُتَّهَم الشِّيك و ينظر إليه فترة ثم يُصْعَق لَمَّا يتعرَّف عليه. لم يكن يخطر بباله أنَّ هذا الشِّيك لا يزال موجودا و لم يتِمَّ التَّخلُّص منه. لقد أكَّد على الشَّاب الطويل أن يستلمه و يحرقه و لا يدع له أيَّ

أثر. ما الذي أظهر هذا الشّيك من جديد؟ يحاول المُتَهَم من جديد أن يتماسك و يُظهر رباطة جأش و ثقة بالنفس.

المُنصِف أبو ضياء: و ماذا في ذلك. أنا أصدر يوميًّا العديد من الشّيكات، فأنا رجل أعمال. هل أصبَحَ إصدار الشّيكات جريمة يعاقب عليها القانون كما أنَّ رصيدي دائما كافي لتسديد كلّ شيكاتي.

المُفتّش سامي: دعنا لا نستعجل في التّحقيق فسنصل لمسألة رصيدك الممتلئ بل و المُتَضخّم بطريقة تُثير الشُّبهات. دعنا الآن في مسألة الشّيك. هل تتذكّر لمن أعطيت هذا الشّيك و في مقابل ماذا؟

المُنصِف أبو ضياء: إنّني كما تعلم مقاول و أحتاج ضمن إطار مشاريعي لأعمال حفر و تجريف و قد أجَّرت جرَّافة من محلٍّ مختصٍّ في حي المقاولات لهذا الغرض. هذا كلّ ما في الأمر.

المُفتّش سامي: هل يمكن لك أن تذكر لنا ما هو المشروع الذي أجَّرت من أجله هذه الجرَّافة؟

المُنصِف أبو ضياء: كما تعلم فإنَّ لديَّ الكثير من المشاريع التي أنفِّذها في نفس الوقت كما أنّني أقوم بتأجير العديد من الآليَّات و في نفس الوقت و لا يمكنني أن أتذكّر ما هي الآليَّة التي استعملتها في هذا المشروع أو ذاك؟

المُفتّش سامي: أنا سأقول لك. لقد أكَّد لنا صاحب محلٍّ تأجير الجرَّافة أنَّ المشروع كان في قطعة أرض تبعُد عشرين كيلو شمال المدينة كما أكَّد لنا أنَّه كان مشروعا غريبا فبعد تأجيرك لهذه الجرَّافة لثمانية مرَّات متتالية لم يُبْنَى أيُّ شيء في الأرض. لقد كانت الجرَّافة تحفر ثم تدفن في عمق الأرض براميل ثم تردمها من جديد. هذا هو المشروع و لديَّ العديد من الشُّهود مثل صاحب الجرَّافة و سُكَّان القرية و سائق الجرَّافة أيضا المصاب بإشعاعات نفاياتكم و المريض في المستشفى الآن بين الحياة و الموت.

المُنصِف أبو ضياء: هذا كلام غير صحيح و لا علم لي بهذه الأرض و لا بالنّفايات. و أنا أشكُّ أصلا في وجود هذه النّفايات المزعومة.

المُفتّش سامي: الآن هناك فريق من خبراء وزارة البيئة يستخرجون البراميل الحاوية للنّفايات المُشعَّة. القضيَّة أكيدة و الأدلَّة كثيرة منها الماديَّة كالشّيك الذي بين يديك و براميل النّفايات و منها شهادات الشهود كسائق الجرَّافة و سائق الشاحنة التي أوصلت الحاويات من الميناء لقطعة الأرض و سُكَّان القرية و سائق الجرَّافة. إنَّك مُتورِّط فعلا في هذه القضيَّة و لا أرى لك أيّ مَنفذ منها

في الأثناء يدخل المحامي و يطلب معرفة أسباب توقيف مُوكّله و التُّهَمة المُوَجَّهة إليه و الأدلَّة. يُعيد له المُفتّش عناصر التُّهَمة.

يطلب المحامي الإفراج عن مُوكِّله بكفالة لكنَّ المُفتِّش سامي يرفض نظرا لحجم القضيَّة و إمكانيَّة هروب المُتَّهَم.

المُفتّش سامي: لا فائدة من إنكارك لمسألة دفنك للنّفايات فكُلُّ الأدلَّة تحاصرك و تتَّهمك مباشرة. لكن دعنا الآن نخوض في مسألة رصيدك البنكي. هل لك أن تفسِّر لنا مصدر الثلاثمائة ألف دولار التي دخلت حسابك على ثلاثة دفعات و كانت على شكل إيداعات نقدية؟

المُنصف أبو ضياء: إنَّ حسابي يشهد الكثير من العمليَّات و بمبالغ متفاوتة فأنا رجل أعمال و عادة ما يدخل في حسابي مبالغ كبيرة و هي مقابل أعمال المقاولات التي أقوم بها.

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. إذًا ستستدعي مسؤول المحاسبة لديك في الشَّركة حتَّى يبحث في الدفاتر و السّجلاّت عن أسماء العملاء الذين دفعوا لك هذه المبالغ و الفواتير الموافقة لها. أظُنّ أنَّ أيَّ شركة مُنظَّمَة و لها محاسبة دقيقة لا تعجز عن تبرير مثل هذه العمليَّات.

المُنصف أبو ضياء: سأفعل ذلك طبعا. ليس لديَّ شيء أُخفيه

المُفتّش سامي: دعني استفسر عن شيء ثاني. هل يُسدِّد عملائك لك مبالغ ضخمة كهذه نقدا؟ ألم يسمعوا باختراع اسمه الشِّيك؟

المُنصف أبو ضياء: إنَّ معظم عملائي هم مِن التُّجَّار الذين لا يجيِّدون القراءة و الكتابة و لا يستعملون الشِّيكات.

المُفتّش سامي: لديَّ تفسير آخر أكثر منطقية و هو أنَّ مصدر هذه الأموال قذر و بالتَّالي لا تريد أن يعلم أحد عن مصدره و هوية الشخص الذي منحك إيَّاه و هذه تقنيات و محاذير بديهية تستعملها العصابات. على كلّ حال سنستمع لمحاسبك غدا و نتأكَّد بالدَّليل القاطع من مصدر هذه الأموال. لكن الآن دعنا نتحدَّث عن أصدقاءك و عن سهراتك في فِيلاّ "وردة الرمال".

يزداد وجه المُتَّهَم احمرارًا كلَّما تكلَّم المُفتّش سامي و قدَّم له أدلَّة جديدة و سأله أسئلة حسّاسة. لقد بدأ يشعر المُتَّهَم أنَّ الطوق يضيق على رقبته و أنَّ المُفتّش سامي مستعدٌّ جيِّدا و على علم بكُلِّ صغيرة و كبيرة في القضيَّة و أنَّه من الصعب جدًّا المراوغة. يفتح ربطة عنقه و كأنَّ الهواء لا يدخل صدره بما فيه الكفاية. يلاحظ المُفتّش سامي حركات المُتَّهَم و يُدرك أنَّه بدأ يعصره مِمَّا يُشجِّعه على مزيد محاصرته بالأسئلة.

المُنصف أبو ضياء: ماذا عن السَّهر في فِيلاّ "وردة الرمال" و هل السَّهر فيها ممنوع. إنَّ أكبر الشخصيات في البلاد يسهرون هناك فلم لا تقبضون عليهم؟

المُفتّش سامي: نحن لا نقبض على كلّ من يسهر في الفِيلاّ. إنَّنا نقبض فقط على المُتورِّطين في قضيَّة تهريب النّفايات المُشعَّة. مع مَن تقضي سهراتك؟ أقصد من هم أفراد عصابتك؟

المُنصف أبو ضياء: ليس لي عصابة بل أنا أتعامل مع كلّ الناس

المُفتّش سامي: بل لديك عصابة و تسهر معها باِستمرار و تلعبون القمار. و من بين أعضاء هذه عصابة "سليم شهاب" و "برهان" و "عماد".

يَضيق الخناق أكثر على المُتَّهَم. إنَّ المُفتّش يعلم حتَّى مع من يسهر.

المُنصف أبو ضياء: و ماذا في ذلك فنحن نلهو قليلا كلّ ليلة فحسب و لا نفعل أيّ شيء مخالف للقانون.

المُفتّش سامي: يا ليت لو كنتم فقط تلهون لهوا بريئا للتَّرفيه عن أنفسكم. أنتم لستم شِلَّة لهو بل عصابة إجرامية

المُنصف أبو ضياء: أنا أحتجُّ على هذا الوصف. ليس لك أيُّ دليل على ذلك. كيف تتَّهِم أناسا شرفاء من صفوة المجتمع بتكوينهم عصابة إجرامية؟

المُفتّش سامي: دعك من مسألة الأدلَّة فتلك من اِختصاصنا فلدينا شهود رأوك أنت و أفراد العصابة تتآمرون على تهريب النّفايات المُشعَّة و تتآمرون على قتل "حسين مالك" موظَّف الجمارك المسكين الذي أغريتموه بالمال و اللَّهو ثم قتلتموه عندما صار يُمَثِّل خطرًا عليكم.

المحامي: مُوكِّلي ليست له أيَّة علاقة بجرائم قتل. لقد وجَّهت له تهمة تهريب مواد ممنوعة و أرجو أن نبقى في هذه التُّهَمة

المُنصف أبو ضياء: أنا لا أعرف "حسين مالك" حتَّى أقتله

المُفتّش سامي: أوّلاً إنَّ كلّ هذه الجرائم مرتبطة ببعضها بشكل وثيق فكُلُّ جريمة أدَّت للأخرى و بالتَّالي مُوَكِّلك سيُتَّهم بالضُّلوع في كلّ الجرائم التي قامت بها العصابة. ثانيا إنَّك تعرف جيِّدا "حسين مالك" حيث أنَّك كنتَ تلعب معه القمار على نفس الطاولة و ذلك لليالي كثيرة و لديَّ شهود يقدِرون أن يؤكِّدوا ذلك.

الخناق يشتدُّ على المُتَّهَم. إنَّه يشعر كما لو أنَّ الكرسي الذي يجلس عليه يخسف به في كلّ مرَّة يتكلَّم فيها المُفتّش حتَّى أنَّه يخيَّل إليه أنَّه بعد قليل ستبتلعه الأرض. يبدأ العرق يتصبَّب منه و دقَّات قلبه تتسارع. هل سيُتَّهم بتهريب النِّفايات المُشعَّة و قتل "حسين مالك" لوحده. هل سيكون هو كبش الفداء؟ لماذا لم يقبض المُفتّش على الآخرين؟ أفكار سوداء بدأت تغلي في رأسه لكنَّه يحاول الظُّهور بمظهر المتماسك الواثق بنفسه.

المُنصف أبو ضياء: أنا ألعب مع كثير من النّاس و لا أعرف أكثرهم. يمكن أن أكون قد لعبت مع "حسين مالك" هذا مرَّة أو اثنتين لكن من أدراني أنَّه هو و أنَّه سيُقتَل.
المُفتّش سامي: أسلوبك في الدِّفاع غير مجدي فالأدلَّة واضحة جدًّا لو قدَّمتُها للقاضي بشكل متسلسل فإنَّه سيقتنع بها و لن تدع أدنى مجال للشك لإدانتك بكُلِّ هذه الجرائم. هل تعلم ماذا ستكون عقوبتك؟ الإعدام أو المؤبَّد في أحسن الحالات.
المُنصف أبو ضياء: أنا لا أعلم شيئا عن الكلام الذي تقوله فأنا بريء و ليس لي دخل بكُلِّ هذه التُّهَم
المُفتّش سامي: ما يَحزُّ في نفسي حقًّا هو أنَّني أعلم أنَّك لست المشارك الوحيد في هذه الجرائم بل أنا مُتأكِّد من أنَّك لست المُدَبِّر الرَّئيسي لهذه الجرائم و أنَّ البقية مُتورِّطون أكثر منك لكنَّك ستتحمَّل أنت و لوحدك كامل المسؤولية و ستدفع ثمن كلّ هذه الجرائم بمفردك. هم سيواصلون حياتهم و يستمتعون بآلاف دولاراتهم و يلعبون القمار و يلهون و يربحون المال في حين أنَّك ستقبع في السجن وحيدا محروما من كلّ مباهج الدنيا. هل إلى هذا الحدّ تضحّي بنفسك من أجل أصدقائك؟ هذا فعلا تصرُّفٌ أحترمه فيك فأنت رجل وفيٌّ و لكن هل سيفعل أيُّ واحد منهم مثلك لو كان مكانك. أنا مُتأكِّد أنَّهم سيحاولون إلقاء التُّهَم على الآخرين و يشهدوا ضدَّهم حتَّى يُخفَّف عنهم الحكم.

تنزل هذه الكلمات كالقنابل شديدة الانفجار على المُتَّهَم. يبدو فعلا أنَّه سيتحمَّل كامل المسؤولية و سوف لن يتحرَّك أيُّ واحد من بقيَّة أفراد العصابة لنجدته بل أنَّهم ربَّما يحاولون توريطه أكثر و يُلقون عليه كلّ شيء حتَّى ينفذون من القضيَّة. يراقب المُفتّش سامي المُتَّهَم و كأنَّه يقرأ أفكاره و يحاول أن "يغرس السكين" أكثر و يُعمِّق الجرح.

المُفتّش سامي: ما رأيك لو نعقد صفقة سويّا، فالإنكار كما تعلم و يعلم محاميك لن يجديك نفعا و لن تقدر أن تُعوِّل على بقية أفراد العصابة ليُنقذوك فأكثرهم سيتنكَّر لك و يتبرَّأ منك. إنَّني أقترح عليك أن

تكون متعاونا معنا و تُقرُّ لنا بكُلِّ تفاصيل الجرائم التي قمتم بها و يُسَجَّل ذلك في محضرٍ رسمي تُوقِّع عليه و أنا أتعهَّد لك بأنَّني سأذكر للقاضي أنَّك تعاونت معنا و ساهمت في الكشف عن الجريمة بما يُمَثِّل ذلك من ظروف تخفيف تُمَكِّنك من الحصول على أخفِّ عقوبة ممكنة سوف لن تتجاوز أكثر من بضعة سنوات سجن.

المُنصف أبو ضياء: و ماذا إذا رفضت عرضَك؟

المُفتّش سامي: إذا رفضت فإنَّك ستتحمَّل وحدك كامل مسؤولية الجرائم التي قامت بها العصابة و سوف لن تكون هناك ظروف تخفيف و بالتَّالي ستحصل على العقوبة القصوى و هي الإعدام. على كلّ حال سأدعك تتشاور مع محاميك و أنا مُتأكِّد أنَّه يعلم أنَّه لا يمكن لك أن تتهرَّب من التُّهَم المُوَجَّهة ضدّك و أنَّ هذه الصَّفقة تستحقُّ التَّفكير على الأقلّ. لكن يجب العلم أنَّني سوف لن أُقدِّم لك هذا العرض مرَّة أخرى بل سأُقدِّمه لبقيّة أفراد العصابة واحدًا تلو الآخر و أنا واثق من أنَّ أوَّل من أُقدِّم له عرضا سخيًّا كهذا سوف يوافق فورا عليه و يُرسِل الجميع إلى الجحيم فأنتم عصابة إجرامية ليست لها أيَّة أخلاق. سأدَعُكما تُفكِّران في الموضوع و سأعود بعد ربع ساعة.

ينظر المُتَّهَم لمحاميه فيومئ له هذا الأخير بالموافقة. ارتاح المُفتّش سامي لقبولهم فكرة دراسة العرض. يخرج المُفتّش سامي من مكتبه و يتوجَّه لمكتب رئيسه حيث يُطلعه على آخر التطورات و يُطمئنه على استخراج النِّفايات و يعلمه أنَّه سينهي القضيَّة خلال يومين على الأكثر.

يعود المُفتّش سامي لمكتبه و في الطريق يلتقي بالمساعد أشرف.

المُفتّش سامي: ما هي الأخبار؟

المساعد أشرف: لا شيء جديد فصاحب الأرض هو "رجب سالم". لقد استعملوا هذا الشَّيخ في جميع تعاقداتهم الرسميَّة و بالتَّالي سوف لن يفيدنا هذا في شيء.

المُفتّش سامي: ماذا عن المساعديْن الآخريْن ألَم يُنهيا بعد تحرِّياتهما عن ثروة المُتَّهَمين؟

المساعد أشرف: لقد اتّصلتُ بهما اليوم و أعلماني أنَّهما بصدد وضع اللَّمسات الأخيرة و أنَّ تقريرهما أوشك على الاكتمال

المُفتّش سامي: جيِّد جدًّا. التحق بنا في التَّحقيق مع "المُنصف أبو ضياء" إنَّه يوشك أن يعترف بكُلِّ شيء.

يدخل المُفتّش سامي للمكتب و يلاحظ أنَّ المحامي يُحدِّث موكله في حين أنَّ هذا الأخير يومئ برأسه بالموافقة. يجلس المُفتّش على كرسيِّه و يتوجَّه للمُتَّهم و محاميه.

المُفتّش سامي: إذًا؟ ما هو قراركما؟ التَّعاون و تخفيف الحكم أم الإنكار و العقوبة القصوى؟

المحامي: لقد قرَّر مُوكِّلي أن يتعاون معكم و أنَّه نادم بالفعل على ما ارتكبه من أخطاء و مُستعدٌّ أن يُكفِّر عنها لكنَّه في نفس الوقت بريء من الكثير من التُّهَم المُوَجَّهة إليه فلم يشارك في القتل و لا في تهريب النِّفايات. اشترك فقط مع العصابة في نقل المواد من الميناء إلى قطعة الأرض و دفنها و هذه هي كلّ مشاركته. أمَّا باقي الجرائم فإنَّه بريء منها

المُفتّش سامي: هذا قرار صائب و ممتاز و أنا أُصدِّقك. لكن عليك أن تحكي لنا كلّ تفاصيل العمليَّة منذ بدايتها. مَن هُم أفراد العصابة؟ ما هو دور كلّ واحد منهم؟ ما هي الجرائم التي ارتكبوها بتفاصيلها؟ كم قيمة المبالغ التي حَصَلوا عليها؟ كيف تمَّ قتل "حسين مالك"؟ من هو الشَّاب الطويل؟ من زعيم العصابة؟ هل للعصابة جرائم أخرى؟...كلُّ شيء و بأدقِّ التَّفاصيل. و لنأخذ كامل وقتنا.

المُنصف أبو ضياء: أنا جاهز سيِّدي للاعتراف الكامل لكن ما الذي يضمن لي أنَّه سيتمُّ تخفيف الحكم عليَّ؟

المُفتّش سامي: إنَّنا هنا في المباحث الجنائيَّة أي أنَّنا نُمثِّل القانون و لسنا عصابة نَنقلِب على اتِّفاقاتنا قلتُ لك أنَّ هذا حقًّا من حقوقك و وعدتك بأن تستفيد منه و هذا كافي.

المحامي: أجل سيِّدي نحن نثق بكم. مُوكِّلي قلقٌ بعض الشيء فقط

المُفتّش سامي: لا داعي للقلق هات اعترافاتك و لا تشغل بالك بمسألة التَّخفيف فهي أكيدة. و لتبدأ من البدايَة. كيف تكوَّنت العصابة و كيف تعرَّفتم على بعضكم؟

المُنصف أبو ضياء: إنَّ أغلب أفراد العصابة هم من رجال الأعمال الذين لهم علاقة بطريقة أو بأخرى بالمقاولات. لقد كنَّا مجموعة أصدقاء فقط نجتمع من حين لآخر في نادي الغولف و ليست لدينا أيُّ أنشطة مخالفة للقانون.

المُفتّش سامي: من أنتم بالضبط؟

المُنصف أبو ضياء: أنا و "سليم شهاب"، و "برهان سبسي" و "عماد تركي". كنَّا كما قلتُ لك مجموعة أصدقاء نلتقي في النَّادي لنلهو قليلا و نعقد بعض الصَّفقات من حين لآخر.

المُفتّش سامي: كيف تطوّرت الأمور و أصبحتم عصابة؟

المُنصِف أبو ضياء: في يوم من الأيَّام و نحن نلعب الغولف اقترح علينا "سليم شهاب" أن نقضي سهرة نهايَة الأسبوع عند أصدقاء جُدُد له في الضاحية الشمالية. لقد وعدنا بلهو و مرح كبيرين في السهرة. و بالفعل ذهبنا كُلُّنا لفيلاّ "وردة الرمال" و قضينا هناك سهرة نهايَة الأسبوع. لقد كانت سهرة رائعة و سعدنا بها جدًّا. فالفيلاّ كانت فخمة و جميلة و أصحاب الفيلاّ كانوا أشخاصا مُرحِّبين و لطفاء جدًّا. كلّ الضُّيوف كانوا من رجال الأعمال و الشخصيات المُهمَّة من رجال سياسة و فكر. كان كلّ شيء متوفرا خلال هذه السهرة. كلّ المُحرَّمات كانت متوفرة: شرب من أرقى الأنواع، فتيات جميلات، حشيش، قمار، رقص و موسيقى و حتَّى أنَّ بعض الشَّواذ كانوا حاضرين في الحفلة.

المُفتّش سامي: هل كانت هذه أوَّل حفلة نُظِّمت هناك؟

المُنصِف أبو ضياء: لا لم تكن الأولى فـــ"سليم شهاب" حضر حفلات كثيرة فيها و هو الذي أخبرنا بها لكنَّها كانت أوَّل حفلة نحضر فيها نحن.

المُفتّش سامي: و ما هو الهدف من وراء تنظيم حفلات من هذا النَّوع و هي حفلات مُكلِفة على صاحب الفيلاّ؟

المُنصِف أبو ضياء: ما فهمته هو أنَّ صاحب الفيلاّ يُنظِّم هذه الحفلات حتَّى يجمع أثرياء و مشاهير البلد و يروِّج بينهم الحشيش من ناحية و يُنظِّم لعب القمار و كان يتقاضى نسبة مُعَيَّنة على أرباح كلّ طاولة كما أنَّ صاحب الفيلاّ كان وسيطا في صفقات تُعقَد بين رجال الأعمال و كان يقبض عمولته منهم. لقد كان أيضا وسيطا بين رجال الأعمال و كبار موظفي الدولة حيث أنَّه كان يُسهِّل عمليَّات الارتشاء و يأخذ عمولته منها أيضا. كانت عمليَّة مُربحة جدًّا بالنِّسبة لصاحب الفيلاّ. لقد كان يُسمِّي عمله "علاقات عامة" و كان لا يهدر أيَّة فرصة لإقامة حفلة في فيلَّته: عيد ميلاد أحد الزُّوار، نهايَة السَّنة، دخول الربيع... ثم أصبحت الحفلات تقام بشكل يومي بدون انقطاع بما أنَّ الكلّ وجد مصلحته فيها فالأعمال تسير أفضل بفضل تسهيلات موظفي الدولة و العقود المبرمة بسرعة و فعالية مع رجال الأعمال الآخرين بالإضافة إلى المرح و اللهو الذي توفِّره سهرات الفيلاّ

المُفتّش سامي: كيف بدأ التَّدبير لعمليَّة تهريب النِّفايات؟

المُنصِف أبو ضياء: في إحدى السهرات بينما كنَّا نلعب القمار جلس "فيليب" صاحب الفيلاّ إلى جانبنا و قال لنا أنَّنا يمكن أن نربح أضعاف، أضعاف ما نربحه من القمار و من أعمالنا بطريقة سهلة و سريعة. استغربنا من حديثه هذا لكنَّنا تشوَّقنا لمعرفة الكيفيَّة فالأمر كان مُغْرٍ و مُثير للفضول. طلب منَّا

أن نأتي في الغد قبل المغرب لمقابلة رجل أعمال فرنسي لديه بعض الأعمال في البلاد و يبحث عن شركاء له. و بالفعل كنَّا أربعتنا في الفيلاّ قُبَيل المغرب. عرَّفَنا "فيليب" بـــ"إيف لاروش" على أنَّه مدير مبيعات في أضخم شركة كيماويات في فرنسا و أنَّ لديه صفقة تساوي ثلاثة ملايين دولار على ذمَّة من يُنفِّذها. لم يكن الأمر يحتاج لكثير من التَّفكير فمبلغ كهذا مُغْرٍ جِدًّا بالنسبة لنا فاهتممنا بالموضوع و أعربنا على استعدادنا للتعاون معه و أنَّه لن يجد ضالَّته بعيدًا.

المُفتّش سامي: كيف قدم لكم هذه الصَّفقة؟

المُنصف أبو ضياء: لقد شرح لنا أنَّ الشَّركة التي يعمل بها تبحث عن شريك حتَّى يساعدها في نقل بعض المواد الكيميائيَّة من فرنسا إلى غايَة بلدنا و يتمُّ تخزينها في مكان آمن. لقد ظننَّا في البدايَة أنَّ الأمر سهل. عمليَّة نقل و تخزين فقط. إنَّها مسألةٌ مقدورٌ عليها. لكن سرعان ما تفطنت أنَّ مبلغ ثلاثة ملايين دولار أكبر بكثير من قيمة العمل و لقد استغربنا و شعرنا أنَّ هناك شيئا غريبا في الموضوع. سألناه عن محتوى الشحنة فأجاب بصراحة أنَّها لنفايات المفاعلات النوويَّة الفرنسية و أنَّ القانون في فرنسا يمنع دفنها مباشرة في الأرض أمَّا في بلدكم فلا يوجد أصلا قانون مثل هذا نظرا لعدم وجود نشاط نوويٍّ أصلا. و شرح لنا أنَّه ليست علينا أيَّة مسؤولية قانونية في غياب قانون خاص بهذه المنتجات و أكَّد لنا أنَّه حتَّى لو صدر قانون مثل هذا فإنَّه سيكون بعد تنفيذ العمليَّة و بالتَّالي سوف لن يُطبَّق علينا.

المُفتّش سامي: صحيح أنَّه لا يوجد قانون في بلدنا يمنع دفن النِّفايات النوويَّة على وجه الخصوص لكن لدينا الكثير من القوانين التي تمنع الإضرار بالغير و القتل على وجه الخطأ و تهريب ممنوعات و أيَّة مواد خطرة و المواد المُشعَّة تدخل تحت باب المواد الخطرة فكيف اقتنعتم بهذه الخرافات؟

المُنصف أبو ضياء: في الحقيقة كنَّا مقتنعين أنَّه عمل غير قانوني لكنَّ المبلغ المقترح كان ضخما و بدأنا نختلق الأعذار و الحجج حتَّى نجعله قانونيا كما أنَّ "إيف لاروش" شرح لنا أنَّ دخول الشحنة للميناء ستكون تحت مُسمَّى أسمدة و أدوية زراعيَّة و أنَّه سيكون لنا مساعدون في الميناء و الجمارك يُسهِّلون علينا إخراجها بدون أيَّة خطورة و أنَّه في ظرف أسابيع قليلة سينتهي كلّ شيء و تُدفن النِّفايات في الأرض و يُغلق الموضوع للأبد و تربحون ثلاثة ملايين دولار

المُفتّش سامي: ألم يتساءل أحد عن إمكانية وقوع تسريب حتَّى و لو بعد فترة من الزمن و ما يمكن أن ينجرَّ عن ذلك من أضرار على البيئة و البشر؟

المُنصف أبو ضياء: نعم لقد سأله أحدنا عن هذه النقطة و أكّد لنا "إيف لاروش" أنّ النّفايات ستكون في براميل خاصة مُقفَلة بإحكام شديد و تصمد للآلاف السنين فهي لا تصدأ و لا تتحلّل بسرعة و أنّه بعد آلاف السنين ستكون الإشعاعات قد خفّت و أصبحت عاديَّة حيث أنّه حتّى و لو صار تسريب فلن يضرَّ البيئة.

المُفتّش سامي: و هل أقنعكم هذا الكلام؟

المُنصف أبو ضياء: في الحقيقة كنّا نبحث عن أيِّ عذر أو أيّة حُجَّة نُخَدِّر بها ضمائرنا و نُبَرِّر بها عملنا هذا و كانت تبريرات "إيف" كافية لنا في ذلك الوقت. لقد أكّد لنا مرارا أنّهم كانوا سيدفنوها في فرنسا لولا صعوبة القوانين المُنَظِّمة للمسألة و لهذا تمّ اختيار بلدنا الذي يفتقر لهذه القوانين.

المُفتّش سامي: ماذا جرى بعد ذلك؟

المُنصف أبو ضياء: لقد وافقنا على العمليَّة فورًا و بدأنا نقاش التفاصيل و توزيع المهام حيث تمّ تكليف "سليم شهاب" باستدراج موظفين في الجمارك و رشوتهم و تمّ تكليف "عماد" بتوفير الرجال الميدانيين الذين سيُنفِّذون فعلا العمليَّة و تكليف "برهان سِبسِي" بإنشاء الشَّركة الوهمية المستورِدة و القيام بكُلِّ الإجراءات القانونية الأخرى كشراء قطعة الأرض في حين أُوكِل إليَّ نقل النّفايات من الميناء و حتَّى قطعة الأرض ثم دفنها.

المُفتّش سامي: هذا جيِّد جدًّا. فلندرس كلّ مُهِمَّة على حدا و لنبدأ بمُهمَّتك

المُنصف أبو ضياء: لقد تعاقدت مع إحدى شركات النَّقل و التي كنت أتعامل معها منذ مدَّة لتأجير شاحنة كبيرة و أجَّرت الجرَّافة لدفن هذه النّفايات و كلّ ذلك كان عن طريق "عنتر" رجلنا الميداني

المُفتّش سامي: إنَّه الشَّاب طويل القامة أليس كذلك؟

المُنصف أبو ضياء: نعم إنَّه هو الذي كان يظهر على الميدان. لقد اتَّفقنا ألاّ يكون لنا أيُّ ظهور و أن تتم كلّ العمليَّات من خلال "عنتر" و الذي يتمُّ تسفيره عند الانتهاء من الصَّفقة لبلد بعيد و بالتَّالي ينقطع كلّ خيط يمكن أن يوصل الشرطة لنا.

المُفتّش سامي: ما اسمه الحقيقي الكامل و أين يوجد حاليا؟

المُنصف أبو ضياء: لا أظُنّ أنَّ اسمه الحقيقي "عنتر" فهو أحد رجال "عماد" الذي يستعملهم كحرّاس شخصيِّين و يُؤدِّب بهم أعداءه و "عنتر" هي كِنايَة على القُوَّة و البطش و ليس اسما حقيقيا. لم نكن نحاول أن نعرف اسمه الحقيقي بقدر ما كان يهمُّنا أنَّه سيُنفِّذ العمليَّة ثم سيتبخَّر و لن يترك أيَّ أثر. و أظُنّ أنَّه سافر منذ شهرين لجنوب إفريقيا مع مبلغ مائتي ألف دولار ليبدأ حياته هناك بعيدا عنَّا.

المُفتّش سامي: يا أشرف لتتّصل بإدارة الجمارك و المطار و تتحصّل على قائمة بكُلِّ من سافروا لجنوب إفريقيا منذ شهرين و بكُلِّ التفاصيل عنهم

المساعد أشرف: حاضر سيِّدي على الفور.

المُفتّش سامي: و سارت الأمور كما تريد و كما خطّطتَ لها لولا هذا الشِّيك اللعين

المُنصف أبو ضياء: نعم سيِّدي فقد سارت الأمور بصفةٍ جيِّدة و بدون متاعب. كنَّا ندفع نقدا و لا نترك أيَّ أثر. و ذات يوم اتّصل بي "عنتر" ليُخبرني أنَّ صاحب الجرَّافة رفض أن يسلِّمها له دون دفع مبلغ خمسمائة دولار و أنَّه لا يملك هذا المبلغ نقدا و كان الوقت يقترب من مغيب الشمس و كان من الضروري أن تُدفَن الشُّحنة قبل حلول الظلام. ذهبت إليه و سلَّمته شيكا على أن يستبدله في الغد بالمال و يحرقه و قد وعدني بذلك لكن لا هو و لا أنا تذكرنا الموضوع و لم أتذكَّر مسألة الشِّيك إلاّ لمَّا قدَّمت لي منه صورة. هذا هو الخطأ الذي أوقع بنا.

المُفتّش سامي: يا للغرابة فعصابة على هذا المستوى من الحرص و التخطيط ترتكب خطآ بسيطا لكن مكلفا كهذا. يجب أن تعلم أنَّ قدرة الله فوق كلّ شيء و الله غالب على أمره.

المُنصف أبو ضياء: نعم هذا صحيح لقد خطَّطنا لكل شيء و حسبنا حساب كلّ شيء و رغم ذلك كُشف أمرنا.

المُفتّش سامي: لننتقل الآن لدور "سليم شهاب"

المُنصف أبو ضياء: "سليم شهاب" كان الشخصيّة الأقوى في المجموعة و كان المُسيطر و الدِّماغ المُفكِّر. كان هو الذي يُنسِّق جميع العمليَّات. كان زعيمنا. لقد تحمَّل "سليم شهاب" مسؤولية استدراج مسئولي الجمارك و رشوتهم

المُفتّش سامي: و كيف كان ذلك؟ احكي لنا كلّ التفاصيل.

المُنصف أبو ضياء: بحكم تعاملاته الكثيرة مع الجمارك من خلال توريده للكثير من المنتجات كان يعرف المسؤولين البارزين هناك و على اتّصال بهم. لقد اختار "حسين مالك" كونُه المسؤول الأوَّل عن إعطاء تصاريح مغادرة الميناء و رئيسه المباشر "محي شرف الدين" و ذلك حتَّى يُسهِّل له عمله و يُغطِّي عليه.

المُفتّش سامي: إذًا كلٌّ من "حسين مالك" و "محي شرف الدين" مُتورِّطان في القضيَّة؟

المُنصف أبو ضياء: نعم هو كذلك لقد قبض كلّ واحد منهما مبلغ مائتي ألف دولار على دفعات عديدة حسب التَّقدم في تنفيذ العمليَّة.

المُفتّش سامي: كيف تمَّ استدراج "حسين مالك"؟

المُنصِف أبو ضياء: لقد أجرى "سليم شهاب" بعض التحريات عليه عَلِم من خلالها حاجة "حسين" الأكيدة للمال و للسعادة و النِّساء. استغلَّ نقطة الضَّعف هذه بأن أرسل إليه إحدى عشيقاته حتَّى توقع به

المُفتّش سامي: تقصد "جيهان كامل"؟

المُنصِف أبو ضياء: نعم بالضَّبط. يبدو أنَّك على علم بكُلِّ التَّفاصيل. "جيهان" تعمل في فندق الشيراتون و لَمَّا علم "سليم شهاب" أنَّ الجمارك نظمت دورة تدريبية في هذا الفندق و أنَّ "حسين مالك" سيشارك فيها كلف "جيهان" بأن ترمي شباكها عليه و أن تُوقِعه في غرامها. و لم يكن الأمر صعبا عليها فلديها الخبرة الكافية من ناحية و استعداد "حسين مالك" النَّفسي كان أيضا كبيرا. لم تمضي سوى أيام قليلة حتَّى كان مُغرَما بها جدًّا. بعد أن تأكَّدت "جيهان" من تعلُّق "حسين" بها اقترحت عليه أن يرافقها في بعض سهرات الفِيلاّ و هناك وقع الاهتمام به و التعامل معه على أنَّه شخصيّة هامَّة رغم أنَّه موظف بسيط فقط. بدأ الجميع يعامله بشكل مُتميِّز و يُبجِّلونه حتَّى أنَّهم كانوا يدعوه للعب القمار و يعطونه مبالغ من المال ليلعب بها.

المُفتّش سامي: و طبعا كان دائما ما يربح

المُنصِف أبو ضياء: في البدايَة فقط. لقد كانت الخِطَّة أن نجعله يربح مبالغ كبيرة في كلّ ليلة. لقد اغترَّ و فهم أنَّه لاعب قمار جيِّد و سيواصل الرِّبح دون توقُّف و بدأ يصرف المال ببذخ على "جيهان" و على عائلته و لما شعر "سليم شهاب" أنَّ "حسين" تعوَّد على المال قرَّر أن نتوقَّف عن الخسارة المُتَعَمَّدة أمامه و بدأ "حسين" يخسر كلّ ليلة تقريبا حتَّى انتهى المال الذي كسبه من القمار عندها تبدأ "جيهان" باصطناع الخلافات و تُهدِّد بتركه إن لم يلبي لها احتياجاتها الماديَّة. تحت تأثير غرامه "بجيهان" و تعوُّده على المال الوفير تمَّت مفاتحته في موضوع التهريب و طلب مساعدته على أن يُمنَح مبلغ مائتي ألف دولار. لم يتردَّد كثيرا في القبول فلم يكن يتخيَّل أن يحرم من "جيهان" التي كانت تمثل له مصدر سعادته

المُفتّش سامي: و ماذا كان دور "جيهان" بعد الإيقاع به؟ فعلاقتهما تواصلت و كانت ستؤدي للزَّواج

المُنصِف أبو ضياء: كان دور "جيهان" أن تنقل لـــ"سليم" أخبار "حسين مالك": فيما يفكِّر؟ كيف يتصرَّف؟ هل يمكن أن يُفشي السر؟... و تسلَّمت من عند "سليم شهاب" مبلغ ثلاثين ألف دولار نظير خدماتها لكن حصل ما لم يكن في الحسبان فلقد أحبَّت "جيهان" فعلا "حسين مالك" و بدأت

تفكر فعليا في الزواج به و قطع علاقتها مع "سليم شهاب" ممَّا أثار غضب هذا الأخير و عزَّز فكرة التخلص منه

المُفتّش سامي: إذًا وقع "حسين مالك" في الفخ بطريقة لا تسمح له بالفرار

المُنصف أبو ضياء: كان تخطيط "سليم شهاب" غايَة في الدهاء لقد كان يتحكَّم في "حسين مالك" و كأنَّه يتحكم في جهاز روبوت. إنَّ "سليم شهاب" يتميَّز بثقافة واسعة في علم النَّفس و أسراره و كان يتعامل مع كلّ واحد منا بطريقة مختلفة.

المُفتّش سامي: كيف تمَّ استدراج "محي شرف الدين"؟

المُنصف أبو ضياء: كان استدراجه أسهل فلقد كان يستلم من "سليم شهاب" بعض الهدايا و المنح من حين لآخر حتَّى يُسهِّل الإجراءات الجمركية و يُخفِّض في قيمة الرُّسوم.

المُفتّش سامي: لكنَّ إدارة الجمارك لم تتفطَّن لذلك مطلقا.

المُنصف أبو ضياء: "محي شرف الدين" شخصيّة حريصة جدًّا. إنَّه لا يقوم بأيِّ شيء إلاّ ضمن الإطار القانوني و ذلك بأن يحتفظ في كلّ عمليَّة بالمستندات التي تبرِّر تصرُّفاته و تحقِّق له أمنه. لقد كان يبحث عن الثغرات القانونية التي تسمح "لسليم شهاب" بتوريد سلعه و دفع أقلِّ الرسوم الممكنة و كان هذا يُمَثِّل توفيرا كبيرا لشركات "سليم شهاب". نقدر أن نقول أنَّه مستشار لدى "سليم شهاب" و ولائه له أكثر من الجمارك. لم يواجه "سليم شهاب" إذًا صعوبة في طرح الموضوع على "محي شرف الدين" و استدراجه خاصة و أنَّ المبلغ كبير. لم يكن مطلوبا من "محي شرف الدين" أن يقوم بأي شيء فقط ألاّ يثير التساؤلات حول الحاويات المشبوهة و عند اكتشاف الموضوع فإنَّه لا يتحمَّل أيَّة مسؤولية بما أنَّ الذي يكشف على الحاويات و يُعطيها تصريح الخروج هو "حسين مالك".

المُفتّش سامي: إذًا أخذ مائتي ألف دولار مقابل صمته و دون تحمل لأيَّة مسؤولية

المُنصف أبو ضياء: هو ذلك بالفعل لكنَّ شراء سكوته أمر مهمٌّ جدًّا لأمن العمليَّة

المُفتّش سامي: ما هي علاقة "رشاد علي" بالموضوع؟

المُنصف أبو ضياء: لـــ"سليم شهاب" علاقات كبيرة و له نفوذ في كلّ إدارات الدَّولة تقريبا و عندما تطوَّر البحث الجنائي في قضيَّة مقتل "حسين مالك" و لم تُحفَظ على أساس أنَّها كانت حادث مرور عاديٍّ بدأ القلق يدبُّ داخلنا من إمكانية وصول التَّحقيقات إلينا و كشف العمليَّة كلّها. اجتمعنا لتدارس الموضوع لمرَّات عديدة و اقترح علينا "سليم شهاب" تجنيد ضابط كبير في وزارة الدَّاخليَّة حتَّى يُطلِعنا على تطوُّرات التَّحقيق و يتدخَّل لحمايتنا في الوقت المناسب مقابل مبلغ خمسين ألف دولار.

المُفتّش سامي: و كيف تمَّ استدراجه؟

المُنصف أبو ضياء: بنفس الطريقة التي استدرج بها "حسين مالك". تمَّ إرسال "جيهان" لـــ"رشاد علي" و استدرجته إلى سهرات الفيلاّ و تورَّط في القمار أيضا و انصاع مثله مثل "حسين مالك" لإرادة "سليم شهاب". لقد أصبح عيننا على التَّحقيق و كان يمدُّنا يوميًّا بتطوُّراته و لَّما شعرنا أنَّك اقتربت من كشف الحقيقة قرَّرنا إبعادك عن القضيَّة بطريقة لا تُثير الشُّبهات و قد اقترح "رشاد علي" أن يتمَّ تكليفك بمهمَّة في باريس.

المُفتّش سامي: و كيف تمكَّن في فعل ذلك؟

المُنصف أبو ضياء: لقد أدرج اسمك في كشف الضبَّاط المُرشَّحين للمهمة و أثنى عليك بشكل كبير عند مدير الأمن ممَّا أدى بهذا الأخير لتوقيع أمر تكليفك بمُهمَّة باريس.

المُفتّش سامي: لننتقل لدور "برهان سبسي" في العمليَّة

المُنصف أبو ضياء: "برهان سبسي" هو محامي و صاحب مكتب استشارات قانونية و هو خبير متميِّز في القانون التِّجاري. تمَّ تكليفه بتأسيس الشَّركة الوهمية التي تستورد النِّفايات و قد قام بتغطية ممتازة للعمليَّة بحيث لم يدع أي ثغرة أو أثر لها. لقد رشَّح لنا رجلا كبيرا في السِّن و مُدمنا على الخمر اسمه على ما أظُنّ "رجب سالم" حتَّى تكون كلّ الإجراءات باسمه و يتحمَّل هو كامل المسؤولية في حين لا تكون لنا أيَّة صلة به. لقد اشترى أيضا قطعة الأرض التي دَفنَّا بها البراميل من صاحبها الذي أعلن في إحدى الجرائد عن رغبته في بيعها.

المُفتّش سامي: ماذا كان دور "عماد"؟

المُنصف أبو ضياء: "عماد محمود" صاحب مجموعة من الملاهي الليليَّة و المطاعم السياحيَّة. له علاقات عديدة مع المجرمين و أصحاب السوابق. هو أصلاً كان حارسا في إحدى الملاهي الليليَّة قبل أن يتزوَّج من صاحبة الملهى ثم يُصبح هو المدير الفعلي له. إنَّ له علاقات بعالم الجريمة و بالتَّالي تمَّ تكليفه بتجنيد الرجال الميدانيين و التعامل معهم بعيدا عنَّا. و قد قام بتجنيد "عنتر" الذي كان يعمَل حارسا شخصيًّا له للقيام بالعمليَّات الرَّئيسية بالإضافة لبعض الرجال الآخرين الذين ساهموا في عمليَّة دفن النِّفايات. إنَّ "عماد محمود" كان ذراعنا القوية التي نُنفِّذ من خلالها عمليَّاتنا. كان المطلوب منه أن يوفِّر لنا رجالا يضمَنهم شخصيًّا و يأتمرون بالكامل بأمره و هذا ما فعل فقد كان "عنتر" ذكيا و مطيعا و يُنفِّذ الأوامر دون مناقشة.

المُفتّش سامي: نصل لمسألة مقتل "حسين مالك". من الذي قتله؟ كيف و لماذا؟

المُنصف أبو ضياء: بعد أنّ تمّ الاتّفاق مع "حسين مالك" على تهريب النّفايات مقابل مبلغ مائتي ألف دولار بدأ القتيل يصرف ببذخ. اشترى سيَّارة فخمة و بيتا كبيرا وسط البلد و صرف الكثير من الأموال على "جيهان" و الأخطر من ذلك أنّه أصبح مُدمنا على القمار و كان يلعب بمبالغ كبيرة. بعد انتهاء العمليَّة و تَسلُّمِ كلّ واحد منا لنصيبه لم يعد "حسين مالك" يُمَثِّل لنا و لا لصاحب الفيلاّ أيَّة أهمية فتغيَّر أسلوب التعامل معه. إلاّ أنّه أصرَّ على الحضور يوميًّا و لعِب القمار و كان يخسر مبالغ كبيرة حتَّى أنّه أشرف على الإفلاس. و في الأيّام الأخيرة قبل مقتله كان يثير الكثير من المشاكل على طاولة القمار و يطلب من الجميع أن يقرضوه المال ليلعب. أصبح القتيل يُمَثِّل عبئًا علينا و مصدر خطر. تفاقم الموضوع عندما صار يُهدِّدنا بأنّه سيكشف سرَّ العمليَّة لو لن نُمَكِّنه من المال المطلوب. عندها اجتمعنا و كان قرار التَّخلُّص منه جاهزا عند كلّ واحد منا و بمجرَّد أن اقترح "سليم شهاب" قتل "حسين مالك" حتَّى حصل على الموافقة من كلّ أفراد المجموعة. اقترح "سليم" أن يأخذ مقتل "حسين مالك" شكل حادث مرور عاديّ و قد تمَّت مناقشة تفاصيل الحادثة المُدبَّرة و تمَّ تكليف "عماد محمود" بتنفيذ العمليَّة من خلال "عنتر". و بالفعل فَلَيْلة مقتل "حسين مالك" كان "عنتر" متواجدا على طريق عودة القتيل لبيته في مكان يتَّسِم أصلا بخطورته و كُنَّا نعلم أنَّ القتيل يقود بسرعة جنونية. ليلة الحادثة صارت مُشادَّة كلامية بين القتيل و صاحب الفيلاّ و تدخَّل "سليم شهاب" لفضِّ المشكل و أقرض القتيل المال الذي كان يطلبه. عند انصراف القتيل اتّصل "عماد محمود" "بعنتر" و أخبره أنَّ الهدف في طريقه إليه. استعد "عنتر" و قبيل وصول سيَّارة القتيل بقليل وضع المسامير على الطريق و وقف بجانبه يُمَثِّل دور كانس شارع. مباشرة بعد مرور السيَّارة و انفجار العجلات جمع "عنتر" بقيَّة المسامير و انطلق لسيارته و ابتعد عن المكان. لقد كان التَّخطيط محكما.

المُفتّش سامي: كم كان نصيب كلّ واحد منكن في هذه العمليَّة؟

المُنصف أبو ضياء: تمَّ توزيع مبلغ سبعمائة ألف دولار على المتعاونين معنا بالإضافة للمصاريف الأخرى كتأسيس الشَّركة و تأجير الشاحنات و الجرَّافة و إيجار الفيلاّ... أخذ "سليم شهاب" مبلغ ثمانمائة ألف دولار و كان نصيب الأسد في حين أخذت أنا و "عماد محمود" و "برهان سبسي" مبلغ نصف مليون دولار لكل واحد منَّا و هذا هو تقسيم مبلغ ثلاثة ملايين دولار قيمة العمليَّة الإجماليَّة

المُفتّش سامي: و ماذا عن صاحب الفيلاّ؟

المُنصف أبو ضياء: لا نعلم كم تسلَّم مقابل خدماته فلقد كان باتّصال مباشر بالشَّركة الفرنسية و تفاهم معها مباشرة

المُفتّش سامي: هل سَجَّلت شهادة المُتَّهَم بالكامل يا وليد؟
المساعد وليد: نعم سيِّدي و هي جاهزة للتَّوقيع
المُفتّش سامي: تفضّل وقِّع على محضر التَّحقيق

يتقدم المُتَّهَم و يوقع على محضر التَّحقيق.
المُفتّش سامي: يُحبَس المُتَّهَم أربعة أيَّام على ذمَّة التَّحقيق على أن يُراعى التَّجديد في موعده و لا يُسمح له بالخروج بكفالة. قرَّرنا أيضا إلقاء القبض و جلب كلّ من، "سليم شهاب"، "عماد محمود"، "برهان سبسي"، "محي شرف الدين"، "فيليب بارتران" و زوجته و "جيهان كامل" و إحضارهم فورا. أُغلِق المحضر في ساعته و تاريخه.

يأمر المُفتّش سامي من الحارس أن يودع المُتَّهَم في الزنزانة و تشديد الحراسة عليه.
يتوجَّه المُفتّش سامي لرئيسه المباشر و يُعلمه بتطوّر التَّحقيق و الاعتراف الكامل لأحد أهمِّ المُتَّهَمين.

المُفتّش سامي: لقد انتهى تقريبا التَّحقيق. لدينا أدلَّة واضحة و مادية على تورط كافة أعضاء العصابة تكفي لإدانتهم.
الرَّئيس : هذا عمل جيِّد يا سامي لقد قمت بمجهود كبير.
المُفتّش سامي: أريد أن أعرف ما الذي سيحصل في مسألة النّفايات. إنَّها مسألة تتجاوز صلاحياتي.
الرَّئيس : لقد تحدثت مع الوزير منذ قليل على الهاتف و صرَّح لي أنَّ الموضوع اتَّخذ صبغة سياسيَّة و قد أجرى اتّصالات مع نظيره الفرنسي و أعلمه بتفاصيل القضيَّة و طلب منه أن تتمَّ إعادة تصدير النّفايات لفرنسا لمعالجتها هناك و تغريم شركة "الكيميائيَّة العالمية" بكامل المصاريف و دفع كلّ التعويضات الناتجة عن التلوُّث. و قد وعد الوزير الفرنسي بفتح دعوى قضائية ضدَّ هذه الشَّركة و التَّنسيق الأمني الكامل مع أجهزتنا.
المُفتّش سامي: إذًا يمكن أن أعتبر أنَّ الموضوع انتهى؟
الرَّئيس : نعم هذا صحيح فلقد أُغلق تقريبا الموضوع و لم تعد هناك سوى مسألة إجراءات.
المُفتّش سامي: سأُعدُّ حقائبي إذًا لتسلُّم مُهمَّتي الجديدة.
الرَّئيس : نعم إنَّك تستحقُّ فعلا هذا التَّكليف

☒ الخميس ١٨ يناير الثامنة صباحا في الطريق للمباحث الجنائيَّة

يتوجه المُفتِّش سامي ليبت مساعده وليد ليصطحبه للمباحث الجنائيَّة. المساعد وليد بانتظاره في الشَّارع. يركب وليد بسرعة و تنطلق السيَّارة.

المساعد وليد: صباح الخير سيِّدي

المُفتِّش سامي: صباح الخير. هل أنت مستعد لتحقيقات اليوم؟ لدينا الكثير من العمل

المساعد وليد: هذا صحيح لكن الأمر صار أكثر سهولة الآن فسواء اعترف المُتَّهَمون أم أنكروا فالتُّهَم ثابتة عليهم. لو سمحت سيِّدي هل يمكن أن تتوقَّف عندَ مَحَلّ التصوير الفوتوغرافي هذ؟. أحتاج لبعض صور الهوية لتجديد جواز سفري

المُفتِّش سامي: جيِّد سأنتظرك في هذه الحديقة العمومية. لا تتأخَّر كثيرا

المساعد وليد: عشرة دقائق على أقصى حد

يركن المُفتِّش سامي السيَّارة و يترل منها. يدخل الحديقة العمومية و إذا بها عدد قليل من كبار السن الذين يسكنون في العمارات القريبة. يغتنمون فرصة الطقس الجميل و يقضون ساعات طويلة فيها تحت أشعَّة شمس الشتاء الدافئة. المنظر أخضر جميل و أشعة الشمس تنعكس على صفحة ماء البحيرة و ريش الإوز و البط السابح بها. يتوجَّه المُفتِّش سامي إلى أحد الكراسي و يجلس بالقرب من شيخ كبير. يسرح المُفتِّش سامي لفترة في القضيَّة و مُلابساتها حين يقطع الشَّيخ تفكيره.

الشَّيخ: غالبا ما نتخيَّل أنَّنا عَرفنا كلّ شيء و كشفنا أسرار الحياة و لكنَّنا كلَّما تقدَّمنا في العمر علِمنا أنَّنا لا نملك من الحقيقة إلاّ قليلها و أنَّ أكثر الأشياء غابت علينا

ينظر إليه المُفتِّش سامي باستغراب

المُفتِّش سامي: هذه فلسلفة منطقية و صحيحة لحد كبير

الشَّيخ: و أنت هل تعتقد أنَّك عرفت كلّ شيء و كشفت كلّ الأسرار؟

قبل أن يجيب المُفتِّش يسمع صوت المساعد وليد و هو يناديه. يلتفت إليه و يشير له أنَّه قادم. يلتفت مُجدَّدا للشَّيخ ليجيبه فلا يجده. يفزع المُفتِّش من ذلك. أين ذهب لقد كان جالسا هنا؟ يبحث عنه من

حوله و من خلال الأشجار فلا أثر له. هل كان هناك فعلا شيخ يتحدث معه أم أنَّ ذلك كان من نسج خياله؟

يطرد المُفتّش سامي هذه الأفكار و يعتبر مُجَرّد التّفكير في إمكانية عدم وجود الشَّيخ ضربا من الجنون أو على الأقل انعدام الثقة بالنفس.

يركب المُفتّش سامي السيَّارة و ينسى موضوع وجود الشَّيخ من عدمه لكن يبقى سؤاله مُلِحًّا في ذهنه. هل عرفتُ كامل الحقيقة أم لا؟ و ماذا لو كانت هناك جرائم أخرى نفَّذها العصابة و لم يعترف بها المُتَّهَمون؟

المُفتّش سامي: لقد كشفنا جريمة و لكن هل هي الجريمة الوحيدة التي قامت بها العصابة؟ و هل هناك عصابة واحدة تعمل في هذا المجال أم أنَّ هناك عصابات أخرى لا زالت خفيَّة؟

المساعد وليد: ماذا تقصد؟ لقد نجحنا في حل هذه القضيَّة و هذا كلّ ما في الأمر

المُفتّش سامي: لقد كشفنا حقيقة لكن ماذا عن بقية الحقائق؟

انتهى

يبدأ المفتش سامي تحقيقه في قضيَّة مقتل "حسين مالك" موظف الجمارك على إثر حادث مرور على الطريق الفرعي الجنوبي للمدينة.

كل شيء يُشير لحادث مرور عاديّ إلاّ أنَّ بعض التطوّرات تحصل و تدفع المفتش لمزيد التَّحقيق.

ما هي حقيقة الأمر؟

هل هو حادث عادي أم مُدبر؟

نبذةعن المؤلف:

محمد عبد العزيز قبادو
عضو هيئة التدريس بكلية المجتمع بجدة – جامعة الملك عبد العزيز

حاصل على ماجستير إدارة الأعمال من الجامعة التونسية سنة ٢٠٠٤ م.